١٢

أعلام الهداية

الإمام علي بن محمد عليه السلام

«الهادي»



المجمع العالمي لأهل البيت

أعلام الهداية

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

«قم المقدسة»

اسم الكتاب: أعلام الهداية (ج ١٢)
الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام
المؤلف: لجنة التأليف
الموضوع: كلام وتاريخ
الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
الطبعة الاولى: ١٤٢٢ هـ ق
الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ ق
المطبعة: ليلى
الكمية: ٥٠٠٠
شابك: ٠-٢٨-٥٦٨٨-٩٦٤ ISBN: 964-5688-28-0

www.ahl-ul-bayt.org

أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً

سورة الأحزاب / آية: ٣٣

أهل البيت عليهم السلام
في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي أهل بيتي
ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا

«الصحاح والمسانيد»

فهرس إجمالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفىٰ محمد (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحققاً لأغراضه وأهدافه.

وقد جعل الله العقل المميّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ أُخرىٰ.

قال تعالى:

﴿ قُلْ إنّ هُدى الله هو الهُدىٰ ﴾ [الانعام (٦) : ٧١].

﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة (٢): ٢١٣].

﴿ والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل ﴾ [الاحزاب (٣٣) : ٤].

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [آل عمران (٣) : ١٠١].

﴿ قل الله يهدي للحقّ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون ﴾ [يونس (١٠) : ٣٥].

﴿ ويرى الذين أُوتوا العلم الذي أُنزل اليك من ربّك هو الحقّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [سبأ (٣٤) : ٦].

﴿ ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله ﴾ [القصص (٢٨) : ٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله في فطرة الانسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالى: ﴿ وما خلقتُ الجنّ والإنس إلّا ليعبدونِ ﴾ [الذاريات (٥١): ٥٦]. وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، صارت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال.

وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب والشهوة ليوفر له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر

أدوات المعرفة ـ الى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيء، كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً:

﴿ **إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد** ﴾ [الرعد (١٣): ٧].

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في:

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ [الانعام (٦): ١٢٤] و ﴿ **الله يجتبي من رسله من يشاء** ﴾ [آل عمران (٣): ١٧٩].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن أُرسلوا إليه، ويتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى: ﴿ **كان الناسُ أُمّةً واحدةً فبعث اللهُ النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه** ﴾ [البقرة (٢) : ٢١٣].

٣ ـ تكوين أُمةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: ﴿ **يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة** ﴾ [الجمعة (٦٢): ٢] والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة** ﴾ [الاحزاب (٣٣) : ٢١].

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمّى بالعصمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ سياسيٍّ يتولّى إدارة شؤون الأُمة على أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة

الدينية من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبياً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها .

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاق، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّؤا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (ﷺ) وحمّله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (ﷺ) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتاجٍ ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية ، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي :

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف .

٣ ـ تكوين أُمةٍ مسلمةٍ تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة .

٤ ـ تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء .

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته (ﷺ) .

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري :

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر .

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول (صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته .

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتولّي مهمة إدامة الحركة النبوية العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله: «**إنّي تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**» .

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأُمّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ودراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأُمّة ووجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة

الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأُمة جمعاء .

وتبلورت سيرة الأئمّة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأُمة عليهم والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على الله لنيل مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذائبين في الشوق اليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود .

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبير .

ولا يستطيع المؤرّخون والكتاب أن يلمّوا بجميع زوايا سيرتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكلٍ كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبساتٍ من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق ، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق .

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء **محمد بن عبدالله** (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، **محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه** وأنار الأرض بعدله.

ويختص هذا الكتاب بدراسة حياة **الإمام علي بن محمد الهادي** (عليه السلام)، عاشر أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وهو المعصوم الثاني عشر من أعلام الهداية الذي جسّد الإسلام العظيم في القول والعمل كآبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزاء الذين بذلوا جهداً وافراً وشاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك وإخراجه إلى عالم النور، لاسيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

ولا يسعنا إلّا أن نبتهل الى الله تعالىٰ بالدعاء والشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا ونعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

قم المقدسة

الباب الأول

فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الإمام الهادي (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني :

انطباعات عن شخصية الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثالث :

مظاهر من شخصية الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الأول

الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في سطور

الإمام علي بن محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو عاشر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

فمعدنه هو معدن الرسالة والنبوة وهو فرع هذا البيت النبوي الطاهر الذي جسّد للانسانية خطّ محمد خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) وجمع كل المكارم والمآثر الزاخرة بالعطاء والهداية الربانية مؤثراً رضا الله تعالىٰ علىٰ كل شيء في الحياة.

ولد الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) محاطاً بالعناية الإلهية. فأبوه هو الإمام المعصوم والمسدَّد من الله محمّد الجواد (عليه السلام) وأُمّه الطاهرة التقيّة سمانة المغربية.

ونشأ علىٰ مائدة القرآن المجيد وخلق النبي العظيم المتجسّد في أبيه الكريم خير تجسيد.

لقد بدت عليه آيات الذكاء الخارق والنبوغ المبكر الذي كان ينبئ عن الرعاية الالهية التي خُصّ بها هذا الإمام العظيم منذ نعومة أظفاره.

وقد تقلّد منصب الإمامة الإلهي بعد أبيه في الثامنة من عمره الشريف فكان مثالاً آخر للإمامة المبكّرة التي أصبحت أوضح دليل على حقّانية خط

أهل البيت الرسالي في دعوى الوصية والزعامة الدينية والدنيوية للامة الإسلامية خلافة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونيابة عنه في كل مناصبه القيادية والرسالية .

وتنقسم حياة هذا الإمام العظيم إلىٰ حقبتين متميّزتين : أمضىٰ الأُولى منهما مع أبيه الجواد (عليه السلام) وهي أقلّ من عقد واحد . بينما أمضى الثانية وهي تزيد عن ثلاثة عقود ، عاصر خلالها ستة من ملوك الدولة العباسية وهم : المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز . واستشهد في ايام حكم المعتز عن عمر يناهز أربعة عقود وسنتين . وقد عانىٰ من ظلم العباسيين كما عانىٰ آباؤه الكرام حيث أحكموا قبضتهم على الحكم واتخذوا كل وسيلة لإقصاء أهل البيت النبوي وابعادهم عن الساحة السياسية والدينية ، وإن كلّفهم ذلك تصفيتهم جسدياً كما فعل الرشيد مع الامام الكاظم ، والمأمون مع الامام الرضا ، والمعتصم مع الامام الجواد (عليهم السلام) .

وتميّز عصر الإمام الهادي (عليه السلام) بقربه من عصر الغيبة المرتقب ، فكان عليه أن يهيّئ الجماعة الصالحة لاستقبال هذا العصر الجديد الذي لم يُعهد من قبل حيث لم يمارس الشيعة حياتهم إلّا في ظل الارتباط المباشر بالأئمة المعصومين خلال قرنين من الزمن . ومن هنا كان دور الإمام الهادي(عليه السلام) في هذا المجال مهمّاً وتأسيسياً وصعباً بالرغم من كل التصريحات التي كانت تتداول بين المسلمين عامة وبين شيعة أهل البيت خاصة حول غيبة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أي المهدي المنتظر الذي وعد الله به الأُمم .

وبالرغم من العزلة التي كانت قد فرضتها السلطة العباسية على هذا الإمام حيث أحكمت الرقابة عليه في عاصمتها سامراء ولكن الإمام كان

يمارس دوره المطلوب ونشاطه التوجيهي بكل دقّة وحذر ، وكان يستعين بجهاز الوكلاء الذي أسسه الإمام الصادق (عليه السلام) وأحكم دعائمه أبوه الإمام الجواد (عليه السلام) وسعى من خلال هذا الجهاز المحكم أن يقدّم لشيعته أهمّ ما تحتاج إليه في ظرفها العصيب . وبهذا أخذ يتّجه بالخط الشيعي أتباع أهل البيت (عليهم السلام) نحو الاستقلال الذي كان يتطلّبه عصر الغيبة الكبرى ، فسعى الإمام علي الهادي (عليه السلام) بكل جدّ في تربية العلماء والفقهاء إلىٰ جانب رفده المسلمين بالعطاء الفكري والديني ـ العقائدي والفقهي والأخلاقي ـ.

ويمثّل لنا مسند الإمام الهادي (عليه السلام) جملة من تراثه الذي وصل إلينا بالرغم من قساوة الظروف التي عاشها هو ومن بعده من الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

فسلام عليه يوم ولد ويوم تقلّد الامامة وهو صبيّ لم يبلغ الحلم ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً .

* * *

الفصل الثاني

انطباعات عن شخصية الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

تعطي كلمات العلماء والعظماء في الإمام أبي الحسن علي بن محمّد الهادي (عليه السلام)، صورة من إكبار المؤالف والمخالف له (عليه السلام)، وإجماع المسلمين على جلالته وعظمته .

وإليك بعض الانطباعات التي وصلتنا من معاصريه ومن تلاهم من العلماء والمؤرخين عن هذه الشخصية الفريدة .

١ ـ من كتاب للمتوكل العباسي إلىٰ الإمام الهادي (عليه السلام) : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد : إنّ أمير المؤمنين عارف بقدرك ، راعٍ لقرابتك ، موجب لحقك ، مؤثر في الأُمور فيك وفي أهل بيتك لما فيه صلاح حالك وحالهم ، وتثبيت عزك وعزهم ، وادخال الأمر عليك وعليهم ، يبتغي بذلك رضىٰ الله واداء ما افترضه عليه فيك وفيهم .

ثمّ ختمه بقوله: وأمير المؤمنين مشتاق اليك ، ويحب احداث العهد بقربك والتيمن بالنظر إلىٰ ميمون طلعتك المباركة[1] .

٢ ـ قال يحيى بن هرثمة ـ الذي ارسله المتوكل لاشخاص الإمام (عليه السلام) إلىٰ سر من رأى ـ : فذهبت إلىٰ المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي الهادي ، وقامت الدنيا علىٰ ساق ، لأنه كان

---

(١) أصول الكافي: ٥٠٢/١، الفصول المهمة: ٢٦٥ .

محسناً اليهم ، ملازماً للمسجد ، لم يكن عنده ميل إلىٰ الدنيا ، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلّا مصاحف وأدعية وكتب العلم ، فعظم في عيني ، وتوليت خدمته بنفسي ، وأحسنت عشرته ، فلما قدمت به بغداد وبدأت باسحاق الطاهري وكان والياً علىٰ بغداد ، فقال لي : يايحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والمتوكل من تعلم فإن حرّضته عليه قتله ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) خصمك يوم القيامة، فقلت له : والله ما وقفت منه إلّا على كل أمر جميل(١).

٣ـ قال أبو عبد الله الجنيدي : والله تعالى لهو خير أهل الأرض ، وأفضل من برأه الله تعالى (٢).

٤ ـ قال يزداد الطبيب : إذا كان مخلوق يعلم الغيب فهو(٣).

٥ ـ وقال ابن شهرآشوب : وكان أطيب الناس بهجةً وأصدقهم لهجة وأملحهم من قريب وأكملهم من بعيد ، إذا صمت علته هيبة الوقار ، وإذا تكلّم سماه البهاء ، وهو من بيت الرسالة والإمامة ومقرّ الوصية والخلافة شعبة من دوحة النبوّة منتضاة مرتضاة ، وثمرة من شجرة الرسالة مجتناة مجتباة (٤).

٦ ـ قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي : وأمّا مناقبه : فمنها ما حل في الآذان محل حلاها باشنافها واكتنفته شغفاً به اكتناف اللئالئ الثمينة باصدافها وشهد لأبي الحسن أنّ نفسه موصوفة بنفائس اوصافها ، وأنّها نازلة من الدوحة النبوية في ذرى اشرافها ، وشرفات اعرافها (٥).

٧ ـ قال أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : أبو الحسن علي الهادي

(١) تذكرة الخواص: ٢٠٢ .

(٢) مآثر الكبراء: ٩٦/٣ .

(٣) بحار الانوار: ١٦١/٥٠ .

(٤) المناقب: ٤ / ٤٣٢ .

(٥) مطالب السؤول: ٨٨ .

ابن محمد الجواد بن علي الرضا(عليهما السلام) ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر ، وكان قد سعي به إلى المتوكل وقيل : إنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته ، واوهموه انه يطلب الأمر لنفسه فوجه اليه بعدة من الاتراك ليلاً فهجموا عليه في منزله على غفلة ، فوجدوه في بيت مغلق عليه ، وعليه مدرعة من شعر ، وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن والوعد والوعيد ، ليس بينه وبين الأرض بساط إلّا الرمل والحصى(١) .

٨ ـ قال عبد الله بن أسعد اليافعي : أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني ، عاش اربعين سنة ، وكان متعبداً فقيهاً إماماً (٢) .

٩ ـ قال الحافظ عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير : وأمّا أبو الحسن علي الهادي فهو ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن علي ابن أبي طالب ، أحد الأئمة الاثني عشر ، وهو والد الحسن بن علي العسكري ، وقد كان عابداً زاهداً، نقله المتوكل إلى سامراء فاقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر ، ومات بها في هذه السنة ـ سنة اربع وخمسين ومائتين ـ وقد ذكر للمتوكل أنّ بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرة من الناس ، فبعث كبسة فوجدوه جالساً مستقبل القبلة وعليه مدرعة من صوف ، وهو على التراب ليس دونه حائل ، فأخذوه كذلك فحملوه إلى المتوكل...(٣)

١٠ ـ قال محمد سراج الدين الرفاعي : الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ولقبه النقي والعالم والفقيه والامير والدليل والعسكري

---

(١) وفيات الاعيان: ٤٣٥/٢ .

(٢) مرآة الجنان: ١٦٠/٢ .

(٣) البداية والنهاية: ١٥/١١ .

والنجيب ، ولد في المدينة سنة اثنتي عشرة ومائتين من الهجرة ، وتوفي شهيداً بالسم في خلافة المعتز العباسي يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنة اربع وخمسين ومائتين وكان له خمسة اولاد : الإمام الحسن العسكري ، والحسين، ومحمد، وجعفر، وعائشة، فالحسن العسكري اعقب صاحب السرداب الحجة المنتظر ولي الله محمد المهدي [١].

١١ ـ قال احمد بن حجر الهيثمي : علي العسكري سمي بذلك لأنه لما وجه لاشخاصه من المدينة النبوية إلى سر من رأى واسكنه بها ،كانت تسمى العسكر فعرف بالعسكري ، وكان وارث أبيه علماً وسخاء [٢].

١٢ ـ قال أحمد بن يوسف بن احمد الدمشقي القرماني : الفصل التاسع في ذكر بيت الحلم والعلم والأيادي ، الإمام علي بن محمد الهادي ، رضي الله عنه : ولد بالمدينة وأمه أُم ولد ، وكنيته أبو الحسن ، ولقبه الهادي والمتوكل ، وكان اسمر ، نقش خاتمه «الله ربي وعصمتي من خلقه» وأمّا مناقبه فنفيسة ، وأوصافه شريفة [٣].

١٣ ـ قال عبد الله الشبراوي الشافعي : العاشر من الأئمة علي الهادي ، ولد (عليه السلام) بالمدينة في رجب سنة اربع عشرة ومائتين ، وكراماته كثيرة [٤].

١٤ ـ قال محمد أمين السويدي البغدادي : ولد بالمدينة وكنيته أبو الحسن ، ولقبه الهادي ، وكان اسمر اللون ، نقش خاتمه «الله ربي وهو عصمتي من خلقه» ومناقبه كثيرة [٥].

١٥ ـ قال مؤمن الشبلنجي : ومناقبه (عليه السلام) كثيرة ، قال في الصواعق :كان

---

(١) صحاح الاخبار: ٥٦ .

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٠٥ .

(٣) أخبار الدول: ١١٧ .

(٤) الاتحاف بحب الاشراف: ١٧٦ .

(٥) سبائك الذهب: ٥٧ .

أبو الحسن العسكري وارث ابيه علماً وسخاءاً ، وفي حياة الحيوان : سمي العسكري لأن المتوكل لما كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة وأقرّه بسر من رأى(١).

١٦ ـ قال محمد امين غالب الطويل :كان حسن الخلق حتى لم يكن أحد يشك في عصمته ، ولكن خطر الإمامة أوهم الخليفة المتوكل بالخطر ، وقد وشي به اليه أنّه جمع في بيته معدات واسلحة استعداداً للخروج عليه ، والادعاء بالخلافة ، فأرسل الخليفة حينئذٍ عساكره التركية فهجموا ليلاً على بيته ، وقد اختار الخليفة العساكر التركية لسوء ظنه بالعرب المسلمين ، لأنهم يعرفون من الأحق بالخلافة ، أمّا الاتراك فكانوا حديثي عهد بالاسلامية ، وكانوا لا يعرفون غوامضها ، بل كانوا يناصرون العباسيين الذين اعتادوا التزوج من بنات الاتراك .

ذهبت العساكر التركية ليلاً إلىٰ بيت الإمام ، ورأوه جالساً على التراب ، ملتفاً برداء صوف ، وهو يقرأ القرآن وبعد تفتيش جميع زوايا بيته أحضروه الى الخليفة وأخبروه بالقصة ، وكيف أنّهم رأوا الإمام زاهداً ، وأنّهم لم يجدوا عنده شيئاً من العدة(٢) .

١٧ ـ قال السيد عبد الوهاب البدري : وبقي الإمام الهادي يتنقل في مجالس سامراء ، يواسي ذوي المصاب ويساعد المحتاج ، ويرحم المساكين ، ويشفق على اليتيم ويدلف ليلاً إلىٰ الارامل والثكالى وثوبه كله «صرر» فينثرها عليهم ﴿ لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾ يذهب نهاره إلىٰ عمله فيقف تحت الشمس يعمل في مزرعته حتى يتصبب العرق من جسمه ، وعندما يقبل الليل يتّجه إلىٰ ربه ساجداً راكعاً خاشعا ليس بين جبينه الوضاح

---

(١) نور الابصار: ١٤٩.

(٢) تاريخ العلويين: ١٦٧ .

وبين الأرض سوى الرمل والحصى ، وانّه يردد دعاءه المشهور «**الهي مسيء قد ورد ، وفقير قد قصد ، لا تخيب مسعاه وارحمه واغفر له خطأه**» [١] .

١٨ ـ قال خير الدين الزركلي : أبو الحسن العسكري علي الملقب بالهادي ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر ، الحسيني الطالبي ، عاشر الأئمة الإثني عشر ، وأحد الأتقياء الصلحاء ، ولد بالمدينة ، ووشي به إلى المتوكل العباسي فاستقدمه إلىٰ بغداد ، وأنزله في سامراء[٢] .

١٩ ـ قال دوايت م رونلدسن بعد أن فصّل الحديث عنه (عليه السلام) : قصده كثيرون للأخذ عنه من البلاد التي يكثر فيها شيعة آل محمد ، وهي : العراق وايران ومصر [٣] .

٢٠ ـ وقال فضل الله بن روزبهان الشافعي : اللهم صلّ وسلّم على الإمام العاشر مقتدى الحيّ والنادي سيّد الحاضر والبادي ، حارز نتيجة الوصاية والإمامة من المبادي ، السيف الغاضب علىٰ رقبة كلّ مخالفٍ معادي ، كهف الملهوفين في النوائب والعوادي قاطع العطش من الأكباد الصوادي ، الشاهد بكمال فضله الأحباب والأعادي ، ملجأ أوليائه بولائه يوم ينادي المنادي أبي الحسن عليّ النقي الهادي بن محمّد الشهيد بكيد الأعداء ، المقبور بسرّ من رأىٰ[٤].

(١) سيرة الإمام علي الهادي(عليه السلام): ٥٩ .

(٢) الاعلام: ٥/١٤٠ .

(٣) عقيدة الشيعة: ٢١٥ .

(٤) وسيلة الخادم الى المخدوم : صلوات الإمام الهادي (عليه السلام) .

الفَصلُ الثّالِثُ

مظاهر من شخصية الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

لقد تحلّى الإمام الهادي(عليه السلام) بمكارم الأخلاق التي بعث جدّه الرسول الأعظم لتتميمها، واجتمعت في شخصيته كل عناصر الفضل والكمال التي لا يسعنا الاحاطة بها ولا تصويرها، ولكن هذا لا يمنع أن نشير الى جملة من مكارم أخلاقه التي تجلّت في صور من سلوكه. وإليك بعض هذه المكارم التي نصّت عليها كتب السيرة والتاريخ.

١ ـ الكرم :

كان (عليه السلام) من أبسط الناس كفاً ، وأنداهم يداً ، وكان على غرار آبائه الذين أطعموا الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، وكانوا يطعمون الطعام حتى لا يبقى لأهلهم طعام، ويكسونهم حتى لا يبقى لهم كسوة[1] .

وقد روى المؤرّخون بوادر كثيرة من برّ الإمام الهادي (عليه السلام) واحسانه إلى الفقراء وإكرامه البائسين ، نقتصر منها على ما يلي :

١ ـ وفد جماعة من أعلام الشيعة على الإمام الهادي (عليه السلام) وهم أبو عمرو عثمان بن سعيد ، وأحمد بن اسحاق الأشعري ، وعلي بن جعفر الحمداني ،

---

(١) صفة الصفوة: ٩٨/٢ .

فشكا إليه أحمد بن اسحاق ديناً عليه ، فالتفت (عليه السلام) إلىٰ وكيله عمرو ، وقال له: ادفع له ثلاثين ألف دينار ، والى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار ،كما أعطى وكيله مثل هذا المبلغ .

وعلّق ابن شهرآشوب على هذه المكرمة العلوية بقوله : « فهذه معجزة لا يقدر عليها إلّا الملوك ، وما سمعنا بمثل هذا العطاء »[١].

٢ ـ اشترى اسحاق الجلاب لأبي الحسن الهادي (عليه السلام) غنماً كثيرة يوم التروية ، فقسمها في أقاربه[٢].

٣ ـ وكان قد خرج من سامراء إلىٰ قرية له ، فقصده رجل من الأعراب ، فلم يجده في منزله فأخبره أهله بأنه ذهب إلىٰ ضيعة له ، فقصده ، ولما مثل عنده سأله الإمام عن حاجته ، فقال بنبرات خافتة: يابن رسول الله ، أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسكين بولاية جدك علي بن أبي طالب ، وقد ركبني فادح ـ أي دين ـ أثقلني حمله ، ولم أرَ من أقصده سواك.

فرقّ الإمام لحاله ، وأكبر ما توسل به ، وكان (عليه السلام) في ضائقة لا يجد ما يسعفه به ، فكتب (عليه السلام) ورقة بخطّه جاء فيها: أن للأعرابي ديناً عليّ ، وعيّن مقداره ، وقال له : **خذ هذه الورقة ، فإذا وصلت إلى سر من رأى، وحضر عندي جماعة فطالبني بالدين الذي في الورقة ، وأغلظ عليّ في ترك إيفائك ، ولا تخالفني فيما أقول لك.**
فأخذ الأعرابي الورقة ، ولما قفل الإمام إلىٰ سرّ من رأى حضر عنده جماعة كان فيها من عيون السلطة ومباحث الأمن ، فجاء الأعرابي فأبرز الورقة ، وطالب الإمام بتسديد دينه الذي في الورقة فجعل الإمام(عليه السلام) يعتذر إليه ، والأعرابي يغلظ له في القول ، ولما تفرّق المجلس بادر رجال الأمن إلىٰ

(١) المناقب: ٤/٤٠٩ .

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٤٣.

المتوكل فأخبروه بالأمر فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم إلى الإمام فحملت له ، ولما جاء الأعرابي قال له الإمام(عليه السلام):

« خذ هذا المال واقضِ منه دينك ، وانفق الباقي على عيالك وأهلك واعذرنا... ».

وأكبر الاعرابي ذلك ، وقال للامام : ان ديني يقصر على ثلث هذا المبلغ. فأبى الإمام(عليه السلام) أن يسترد منه من الثلاثين شيئاً ، فولّى الاعرابي وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته[١].

٢ ـ الزهد :

لقد عزف الإمام الهادي(عليه السلام) عن جميع مباهج الحياة ومتعها وعاش عيشة زاهدة إلى أقصى حدّ ، لقد واظب على العبادة والورع والزهد ، فلم يحفل بأي مظهر من مظاهر الحياة ، وآثر طاعة الله على كل شيء ، وقد كان منزله في يثرب وسرّ من رأى خالياً من كل أثاث ، فقد داهمت منزله شرطة المتوكل ففتّشوه تفتيشاً دقيقاً فلم يجدوا فيه شيئاً من رغائب الحياة ، وكذلك لما فتّشت الشرطة داره في سرّ من رأى، فقد وجدوا الإمام في بيت مغلق ، وعليه مدرعة من شعر وهو جالس على الرمل والحصى ، ليس بينه وبين الأرض فراش [٢] .

٣ ـ العمل في المزرعة :

وتجرّد الإمام العظيم من الأنانية ، حتى ذكروا إنّه كان يعمل بيده في أرض له لإعاشة عياله ، فقد روى عليّ بن حمزة حيث قال : «رأيت أبا

---

(١) الاتحاف بحب الاشراف: ١٧٦ . والفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٧٤. والصواعق المحرقة: ٣١٢.

(٢) أصول الكافي: ٤٩٩/١؛ وعنه في الارشاد: ٣٠٢/٢، ٣٠٣ وعن الكليني في اعلام الورى: ١١٩/٢. والفصول المهمة: ٣٧٧.

الحسن الثالث يعمل في أرض وقد استنقعت قدماه من العرق فقلت له : جعلت فداك أين الرجال ؟

فقال الإمام : **يا علي قد عمل بالمسحاة من هو خير منّي ومن أبي في أرضه .**

قلت: من هو ؟

قال: **رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وآبائي كلّهم عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيّين والمرسلين والأوصياء الصالحين»** [1] .

٤ ـ إرشاد الضالين :

واهتمّ الإمام الهادي (عليه السلام) اهتماماً بالغاً بإرشاد الضالين والمنحرفين عن الحق وهدايتهم إلىٰ سواء السبيل ، وكان من بين من أرشدهم الإمام وهداهم أبو الحسن البصري المعروف بالملاح ، فقد كان واقفياً يقتصر على إمامة الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) ولا يعترف بإمامة أبنائه الطاهرين ، فالتقى به الإمام الهادي فقال له : « **الى متى هذه النومة ؟ أما آن لك أن تنتبه منها؟!**» .

وأثّرت هذه الكلمة في نفسه فآب إلىٰ الحقّ ، والرشاد [2] .

٥ ـ التحذير عن مجالسة الصوفيين :

وحذّر الإمام الهادي(عليه السلام) أصحابه وسائر المسلمين من الاتصال بالصوفيين والاختلاط بهم لأنهم مصدر غواية وضلال للناس ، فهم يظهرون التقشّف والزهد لاغراء البسطاء والسذّج وغوايتهم .

فلقد شدّد الإمام الهادي(عليه السلام) في التحذير من الاختلاط بهم حتى روى

---

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه: ٣ / ١٦٢ .

(٢) إعلام الورى: ١٢٣/٢ عن كتاب الواحدة للمقي، وعن الاعلام في بحار الأنوار: ١٨٩/٥٠.

الحسين بن أبي الخطاب قال: كنت مع أبي الحسن الهادي (عليه السلام) في مسجد النبيّ (صلى الله عليه وآله) فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري، وكان بليغاً وله منزلة مرموقة عند الإمام (عليه السلام) وبينما نحن وقوف اذ دخل جماعة من الصوفية المسجد فجلسوا في جانب منه، وأخذوا بالتهليل، فالتفت الإمام إلىٰ أصحابه فقال لهم:

«لا تلتفتوا إلىٰ هؤلاء الخدّاعين فإنّهم حلفاء الشياطين، ومخرّبو قواعد الدين، يتزهّدون لإراحة الأجسام، ويتهجّدون لصيد الأنعام، يتجرّعون عمراً حتى يديخوا للايكاف (١) حمراً، لا يهللون إلّا لغرور الناس، ولا يقلّلون الغذاء إلّا لملء العساس واختلاس قلب الدفناس (٢)، يكلّمون الناس بإملائهم في الحبّ، ويطرحونهم بإذلالهم في الجب، أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنّم والتغنية، فلا يتبعهم إلّا السفهاء، ولا يعتقد بهم إلّا الحمقاء، فمن ذهب إلىٰ زيارة أحدهم حياً أو ميتاً، فكأنّما ذهب إلىٰ زيارة الشيطان وعبادة الأوثان، ومن أعان واحداً منهم فكأنّما أعان معاوية ويزيد وأبا سفيان».

فقال أحد أصحابه: وإن كان معترفاً بحقوقكم ؟.

فزجره الإمام وصاح به قائلاً: **«دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنّهم أخسّ طوائف الصوفية، والصوفية كلهم مخالفونا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلّا نصارى أو مجوس هذه الأُمة، أُولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون»** (٣).

---

(١) يديخوا: أي يذلوها ويقهروها.

(٢) الدفناس: الغبيّ والأحمق، كما في مجمع البحرين: ٧١/٤.

(٣) حديقة الشيعة للاردبيلي: ٦٠٢، ٦٠٣ عن المرتضى الرازي في كتاب الفصول، وابن حمزة في كتاب الهادي الى النجاة كلاهما عن الشيخ المفيد، وعنه في روضات الجنّات: ١٣٤/٣.

٦ ـ تكريمه للعلماء :

وكان الإمام الهادي (عليه السلام) يكرم رجال الفكر والعلم ويحتفي بهم ويقدّمهم على بقية الناس لأنّهم مصدر النور في الأرض ، وكان من بين من كرّمهم أحد علماء الشيعة وفقهائهم ، وكان قد بلغه عنه انه حاجج ناصبياً فأفحمه وتغلّب عليه فسرّ الإمام (عليه السلام) بذلك ، ووفد العالم على الإمام فقابله بحفاوة وتكريم ، وكان مجلسه مكتظّاً بالعلويين والعباسيين ، فأجلسه الإمام على دست ، وأقبل عليه يحدّثه ، ويسأل عن حاله سؤالاً حفياً ، وشقّ ذلك على حضار مجلسه من الهاشميين فالتفتوا إلى الإمام ، وقالوا له :كيف تقدّمه على سادات بني هاشم ؟

فقال لهم الإمام : «إيّاكم أن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولّى فريق منهم وهم معرضون ﴾ [(١)] أترضون بكتاب الله عزّوجلّ حكماً ؟»

فقالوا جميعاً : بلى يابن رسول الله[(٢)] .

وأخذ الإمام يقيم الدليل على ما ذهب إليه قائلاً : أليس الله قال: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ـ إلى قوله ـ : والذين أُوتوا العلم درجات ﴾ [(٣)] فلم يرض للعالم المؤمن إلّا أن يرفع على المؤمن غير العالم ، كما لم يرض للمؤمن إلّا أن يرفع على من ليس بمؤمن ، أخبروني عنه قال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات ﴾ أو قال : يرفع الله

(١) آل عمران (٣): ٢٣ .

(٢) كذا، والصحيح: ألا ترضون .. وإلّا فالجواب بنعم وليس ببلى .

(٣) المجادلة (٥٨): ١١ .

الذين أُوتوا شرف النسب درجات؟! أو ليس قال الله : ﴿...هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟...﴾(١) .

فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله ، إنّ كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علمه إياها لأشرف من كل شرف في النسب.

وسكت الحاضرون ، فقد ردّ عليهم الإمام ببالغ حجّته ، إلّا ان بعض العبّاسيين انبرى قائلاً :

ياابن رسول الله لقد شرّفت هذا علينا ، وقصرتنا عمن ليس له نسب كنسبنا ، وما زال منذ أول الاسلام يقدم الأفضل في الشرف على من دونه.

وهذا منطق رخيص فإن الاسلام لا يخضع بموازينه إلّا للقيم الصحيحة التي لم يعِها هذا العباسي ، وقد ردّ عليه الإمام (عليه السلام) قائلاً :

سبحان الله! أليس العبّاس بايع أبا بكر وهو تيمي ، والعباس هاشمي ، أو ليس عبد الله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب ، وهو هاشمي أبو الخلفاء ، وعمر عدوي ، وما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى ، ولم يدخل العباس؟! فإن كان رفعاً لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكراً ، فأنكروا على العباس بيعته لأبي بكر وعلى عبد الله بن عباس بخدمته لعمر ، فإن كان ذلك جائزاً فهذا جائز»(٢).

٧ ـ العبادة :

إنّ الاقبال على الله والإنابة إليه واحياء الليالي بالعبادة ومناجاة الله وتلاوة كتابه هي السمة البارزة عند أهل البيت(عليهم السلام).

أما الإمام الهادي (عليه السلام) فلم يرَ الناس في عصره مثله في عبادته وتقواه

(١) الزمر (٣٥): ٩ .
(٢) الاحتجاج للطبرسي: ٢ / ٢٥٩ .

وشدّة تحرّجه في الدين ، فلم يترك نافلة من النوافل إلّا أتى بها ، وكان يقرأ في الركعة الثالثة من نافلة المغرب سورة الحمد وأول سورة الحديد إلىٰ قوله تعالى : ﴿ انّه عليم بذات الصدور ﴾ وفي الركعة الرابعة سورة الحمد وآخر سورة الحجرات (١).

٨ ـ استجابة دعائه :

وقد ذكرت بوادر كثيرة من استجابة دعاء الإمام (عليه السلام) عند الله كان منها :

١ ـ ما رواه المنصوري عن عمّ أبيه، قال : قصدت الإمام عليّاً الهادي ، فقلت له : يا سيّدي ان هذا الرجل ـ يعني المتوكّل ـ قد اطرحني ، وقطع رزقي ، وملّني وما اُتّهم به في ذلك هو علمه بملازمتي بك ، وطلب من الإمام التوسط في شأنه عند المتوكّل ، فقال (عليه السلام) : **تُكفى إن شاء الله** ، ولما صار الليل طرقته رسل المتوكل فخفّ معهم مسرعاً إليه ، فلما انتهى إلىٰ باب القصر رأى الفتح واقفاً على الباب فاستقبله وجعل يوبّخه على تأخيره ثم أدخله على المتوكّل فقابله ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً : يا أبا موسى تنشغل عنّا . وتنسانا؟! أي شيء لك عندي؟

وعرض الرجل حوائجه وصِلاته التي قطعها عنه ، فأمر المتوكّل بها وبضعفها له ، وخرج الرجل مسروراً .

وانصرف الرجل فتبعه الفتح فأسرع إليه قائلاً :

لست أشكّ أنك التمست منه ـ أي من الإمام ـ الدعاء ، فالتمس لي منه الدعاء.

ومضى ميمّماً وجهه نحو الإمام (عليه السلام) فلمّا تشرّف بالمثول بين يديه

(١) وسائل الشيعة: ٧٥٠/٤.

قال (عليه السلام) له : يا أبا موسى هذا وجه الرضا.

فقال الرجل بخضوع : ببركتك يا سيّدي ، ولكن قالوا لي : إنّك ما مضيت إليه ولا سألته.

فأجابه الإمام ببسمات قائلاً : **ان الله تعالى علم منّا أنّا لا نلجأ في المهمات إلّا إليه ، ولا نتوكّل في الملمّات إلّا عليه ، وعوّدنا إذا سألناه الإجابة ، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا.**

وفطن الرجل إلى ان الإمام قد دعا له بظهر الغيب ، وتذكّر ما سأله الفتح فقال : يا سيّدي ان الفتح يلتمس منك الدعاء .

فلم يستجب الإمام له وقال : **ان الفتح يوالينا بظاهره ، ويجانبنا بباطنه ، الدعاء انّما يدعى له إذا أخلص في طاعة الله ، واعترف برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبحقّنا أهل البيت**[1] .

٢ ـ روي أن عليّ بن جعفر كان من وكلاء الإمام (عليه السلام) فسعي به إلى المتوكّل فحبسه ، وبقي في ظلمات السجون مدّة من الزمن ، وقد ضاق به الأمر فتكلّم مع بعض عملاء السلطة في إطلاق سراحه ، وقد ضمن أن يعطيه عوض ذلك ثلاثة آلاف دينار ، فأسرع إلى عبيد الله وهو من المقرّبين عند المتوكّل ، وطلب منه التوسط في شأن عليّ بن جعفر ، فاستجاب له ، وعرض الأمر على المتوكل ، فأنكر عليه ذلك وقال له :

لو شككت فيك لقلت : إنّك رافضي ، هذا وكيل أبي الحسن الهادي وأنا على قتله عازم .

وندم عبيد الله على التوسط في شأنه ، وأخبر صاحبه بالأمر ، فبادر إلى عليّ بن جعفر وعرّفه أن المتوكّل عازم على قتله ولا سبيل إلى إطلاق

---

(١) أمالي الطوسي : ٢٨٥ ح ٥٥٥ وعنه في بحار الأنوار : ٥٠/١٢٧ وفي المناقب: ٤/٤٤٢ .

سراحه ، فضاق الأمر بعليّ بن جعفر ، فكتب رسالة إلى الإمام جاء فيها: « يا سيّدي الله الله فيّ ، فقد خفت أن أرتاب، فوقع الإمام على رسالته: « **أمّا إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك** »، وأصبح المتوكّل محموماً دنفاً ، وازدادت به الحمّى فأمر باطلاق جميع المساجين ، وأمر بإطلاق سراح علي بن جعفر بالخصوص ، وقال لعبيدالله : لِمَ لَمْ تعرض عليّ اسمه ؟ فقال : لا أعود إلى ذكره أبداً ، فأمره بأن يخلّي عنه ، وأن يلتمس منه أن يجعله في حلّ مما ارتكبه منه ، وأطلق سراحه، ثم نزح إلى مكّة فأقام بها بأمر من الإمام »[١].

هذه بعض البوادر التي ذكرها الرواة من استجابة دعاء الإمام ، ومن المؤكّد ان استجابة الدعاء ليس من عمل الانسان وصنعه ، وانّما هو بيد الله تعالى فهو الذي يستجيب دعاء من يشاء من عباده ، ومما لا شبهة فيه ان لأئمّة أهل البيت(عليهم السلام) منزلة كريمة عنده تعالى لأنّهم أخلصوا له كأعظم ما يكون الاخلاص ، وأطاعوه حقّ طاعته وقد خصّهم تعالى باستجابة دعائهم كما جعل مراقدهم الكريمة من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء [٢].

(١) رجال الكشي: ٦٠٦ ح ١١٢٩ وعنه في بحار الأنوار : ٥٠/١٨٣ .

(٢) راجع حياة الإمام علي الهادي : ٤٢ ـ ٦٢ .

الباب الثاني

فيه فصول :

الفصل الأوّل :

نشأة الإمام علي بن محمّد الهادي (عليه السلام)

الفصل الثاني :

مراحل حياة الامام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثالث :

الإمام الهادي (عليه السلام) في ظل أبيه (عليه السلام)

الفصل الأول

نشأة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

١ ـ نسبه الشريف

هو أبو الحسن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وهو العاشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

أُمّه أم ولد يقال لها سمانة المغربية[١] وعرفت بأُمّ الفضل[٢].

٢ ـ ولادته ونشأته

ولد (عليه السلام) للنصف من ذي الحجة أو ثاني رجب سنة اثنتي عشرة أو أربع عشرة ومائتين.[٣]

وكانت ولادته (عليه السلام) في قرية (صريا) التي تبعد عن المدينة ثلاثة أميال.[٤]

---

(١) أصول الكافي : ١ / ٢٩٨ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٣، وعنه في بحار الأنوار : ٥٠ / ١١٤ .

(٣) أصول الكافي : ١ / ٤٩٧، والارشاد : ٣٦٨، والمصباح: ٥٢٣ .

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٣ ، وثلاثة أميال تعادل خمسة كيلومترات .

٣ ـ بشارة الرسول (صلى الله عليه وآله) بولادته

وبشّر الرسول (صلى الله عليه وآله) بولادته في حديث طويل حول الأئمة (عليهم السلام) بقوله: «... وأن الله ركب في صلبه ـ اشارة إلى الإمام الجواد (عليه السلام) ـ نطفة لا باغية ولا طاغية، بارّة مباركة، طيبة طاهرة، سماها عنده علي بن محمد فألبسها السكينة والوقار، وأودعها العلوم، وكل سرّ مكتوم، من كفيه، وفي صدره شيء أنبأه به، وحذره من عدوه...».[١]

٤ ـ كنيته وألقابه

يكنّى الإمام (عليه السلام) بأبي الحسن، وتمييزاً له عن الإمامين الكاظم والرضا (عليهما السلام) يقال له أبو الحسن الثالث.

أمّا ألقابه فهي: الهادي، والنقيّ وهما أشهر ألقابه، والمرتضى، والفتّاح والناصح، والمتوكل، وقد منع شيعته من أن ينادوه به لأنّ الخليفة العباسي كان يُلقّب به[٢].

وفي المناقب ذكر الألقاب التالية: النجيب، الهادي، المرتضى، النقي، العالم، الفقيه، الأمين، المؤتمن، الطيب، العسكري، وقد عرف هو وابنه بالعسكريين (عليهما السلام)[٣].

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١ / ٦٢، ح ٢٩.

(٢) كشف الغمة: ٢ / ٣٧٤.

(٣) المناقب: ٤ / ٤٣٢.

الفصل الثاني

مراحل حياة الإمام الهادي (عليه السلام)

يمكن تقسيم حياة الإمام الهادي (عليه السلام) التي ناهزت الأربعين سنة إلىٰ مراحل متعددة بلحاظ طبيعة مواقفه وطبيعة الظروف التي كانت تحيط به .

غير أن التقسيم الثنائي يتواءم والمنهج الذي اتّبعناه في دراسة حياة الأئمة (عليهم السلام) ، والذي يرتكز علىٰ تنوّع مسؤولياتهم وأدوارهم بحسب الظروف والملابسات السياسية والاجتماعية التي كانت تحيط بكل واحدٍ منهم ووحدة الهدف الذي يعدّ جامعاً مشتركاً لكل مواقفهم (عليهم السلام) والذي يتمثّل في صيانة الشريعة من التحريف وحفظ الأُمة الإسلامية من الانحراف عن عقيدتها ومبادئها وصيانة دولة الرسول (صلى الله عليه وآله) من التردّي ما أمكن والتمهيد لاستلام زمام الحكم حينما لا يتنافىٰ مع القيم التي شُرّع الحكم من أجل تطبيقها وصيانتها .

والمرحلة الأُولىٰ من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) تتمثّل في الحقبة الزمنية التي عاشها في ظلال إمامة أبيه الجواد(عليه السلام) وهي بين (٢١٢ هـ) إلىٰ (٢٢٠ هـ) ويبلغ أقصاها ثمان سنوات تقريباً .

وقد عاصر فيها كلاً من المأمون والمعتصم العباسيين.

والمرحلة الثانية تتمثل في الفترة الزمنية بين توليه (عليه السلام) لمنصب الإمامة في نهاية سنة (٢٢٠ هـ) والى حين استشهاده (عليه السلام) في سنة (٢٥٤ هـ) وهي اربع وثلاثون سنة تقريباً.

وقد عاصر في هذه الفترة ستة من ملوك بني العباس، وهم على الترتيب:

١ ـ المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ).

٢ ـ الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢ هـ).

٣ ـ المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ).

٤ ـ المنتصر (٢٤٧ ـ ٢٤٨ هـ).

٥ ـ المستعين (٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ).

٦ ـ المعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ).

وسوف نتابع المرحلة الأولى من حياة هذا الإمام العظيم في الفصل الثالث من الباب الثاني، ونقف عند أهم الأحداث التي ترتبط به في فترة حياته في ظل أبيه (عليه السلام).

وأما المرحلة الثانية من حياته المباركة فسوف ندرس ظروفها ونقف عند ملامحها ومتطلباتها خلال الأبواب الثلاثة الأخيرة.

الفصل الثالث

الإمام علي بن محمد الهادي في ظل أبيه الجواد (عليهما السلام)

لقد تقلّد الإمام محمد الجواد (عليه السلام) الزعامة الدينية والمرجعية الفكرية والروحية للشيعة بعد استشهاد الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) سنة (٢٠٢ هـ)[١].

وكان عمره الشريف حوالى سبع سنوات وكان مع حداثته يدبّر أمر الرضا (عليه السلام) بالمدينة ويأمر الموالي وينهاهم لا يخالف عليه أحد منهم[٢].

وقال صفوان بن يحيى: قلت للرضا (عليه السلام): قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول يهب الله لي غلاماً فقد وهب الله وأقرّ عيوننا فلا أرانا الله يومك فإذا كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر (عليه السلام) وهو نائم بين يديه. فقلت: جعلت فداك هو ابن ثلاث سنين![٣]

فقال له أبو الحسن (عليه السلام): **إن الله بعث عيسى بن مريم قائماً بشريعته وهو في دون السنّ التي يقوم فيها أبو جعفر على شريعتنا**[٤].

وعاش بعد أبيه تسع عشرة سنة إلّا خمساً وعشرين يوماً[٥] وهي مدة إمامته (عليه السلام).

---

(١) إثبات الوصية: ١٨٤.

(٢) إثبات الوصية: ١٨٥.

(٣ و ٤) إثبات الوصية: ١٨٥ و ١٨٦.

(٥) الكافي: ١ / ٥٧٢، ح ١٢.

الشيعة وإمامة الجواد (عليه السلام)

بعد التحاق الإمام الرضا (عليه السلام) بالرفيق الأعلى، كان عمر الإمام الجواد (عليه السلام) سبع سنوات وهذه الإمامة المبكرة كانت أول ظاهرة ملفتة للنظر عند الشيعة أنفسهم فضلاً عن غيرهم. واحتار بعض رموز الشيعة فضلاً عن غيرهم بالرغم من التمهيد لهذه الظاهرة من قبل الإمام الرضا (عليه السلام) قبل إشخاصه إلى خراسان وبعده.

من هنا اجتمع جملة من كبار الشيعة في بيت أحدهم يتداولون في أمر الإمامة، وكان من بين هؤلاء المجتمعين، الريان بن الصلت، ويونس، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمن بن الحجاج، فجعلوا يبكون، فقال لهم يونس: دعوا البكاء حتى يكبر هذا الصبي ـ أي الإمام الجواد (عليه السلام) ـ فردّ عليه الريان بن الصلت قائلاً:

«إن كان أمر من الله جلّ وعلا، فابن يومين مثل ابن مائة سنة وإن لم يكن من عند الله فلو عمّر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة ما كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة أو بعضه، وهذا مما ينبغي أن ينظر فيه ...»[1].

ويتضح من النص السابق تأكيد الريان على مفهوم الإمامة باعتبارها منصباً إلهياً كالنبوة من حيث الاختيار والانتخاب لهذا المنصب. فإنه بيد الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ وليس للناس فيها أمر واختيار.

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٠٥.

عصر الإمام الجواد

عـاصر الإمـام الجـواد (عليه السلام) مـن خـلفاء بـني العـباس المأمـون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) والمعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ)، وكان المأمون يتظاهر بالتودّد للإمام الجواد(عليه السلام) وزوجه ابنته أم الفضل ، ومن قبل قد صاهر المأمون الإمام الرضا(عليه السلام) وولاه عهده وقرّب العلويين[١] . أمّا حكم المعتصم فكان حكماً استبدادياً مقروناً بشيء من العطف وحسن التدبير ، وقد وصفه المسعودي [٢] بحسن السيرة واستقامة الطريقة .

وقد اعتمد الخلفاء العباسيون الأوائل في إنشاء حكومتهم واستمرارها على الفرس دون العرب وأسندوا إليهم المناصب المدنيّة والعسكرية ، مما أدىٰ إلىٰ سيادة الفرس في مختلف الميادين وضمور دور العرب في الدولة العباسية ومؤسساتها المختلفة ، وأثمرت هذه الظاهرة التنافس بين العرب والفرس ، حتىٰ جاء المعتصم ـ وكانت أمه تركيّة ـ فاعتمد علىٰ العنصر التركي واتّخذهم حرساً له ، وأسند إليهم مناصب الدولة وقلّدهم ولاية الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة وأخرج العرب من ديوان العطاء وأحل محلهم الترك فحقد العرب والفرس عليهم جميعاً .

ولم يقتصر الصراع علىٰ ما كان بين العرب والفرس والترك بل تعدّاه إلىٰ قيام المنافسة بين العنصر العربي نفسه ، فاشتعلت نيران العصبية بين عرب الشمال المضريين ، وعرب الجنوب اليمنيين[٣] . وهذا يوضح لنا شدّة

---

(١) تاريخ الاسلام : ٢ / ٦٦ ـ ٦٧ للدكتور حسن إبراهيم حسن .

(٢) مروج الذهب : ٣ / ٤٧٦ .

(٣) تاريخ الاسلام : ٣٩٥ .

الصراع داخل الأُسرة الحاكمة نفسها .

فكان شعب الدولة العباسية في نهاية العصر الأوّل يتكون من :

١ ـ العرب (المضريين واليمنيين) .

٢ ـ الفرس (الخراسانيين) الذين ساعدوا العباسيين في انشاء حكومتهم.

٣ ـ الترك ، الذين آلت إليهم إدارة الدولة .

٤ ـ أهل الذمة (أهل الكتاب) وهم : اليهود والنصارىٰ.

وكانت الطوائف الدينية منفصلة بعضها عن بعض تمام الانفصال ، وكان لا يجوز للمسيحي أن يتهوّد ولا لليهودي أن يتنصّر ، واقتصر تغيير الدين علىٰ الدخول في الإسلام ، وكان الرقيق يكوّنون طبقة كبيرة من طبقات المجتمع الاسلامي وكانت سمرقند تُعدّ من أكبر أسواق الرقيق ، إذ كان أهلها يتخذون ذلك صناعة لهم يعيشون منها .

وكان لاتساع رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثرواتها ، ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل حتى لقد غدا الناس جميعاً من الخليفة إلىٰ العامة طلاباً للعلم أو علىٰ الأقلّ أنصاراً للأدب ، وكان الناس في عهد هذه الدولة يجوبون ثلاث قارّات سعياً إلىٰ موارد العلم والعرفان ليعودوا إلىٰ بلادهم وهم يحملون أصنافاً من العلم ، ثم يصنّفون ما بذلوه من جهد متصل بمصنفات هي أشبه شيء بدوائر المعارف . والّتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل[1].

هذا في الشرق الإسلامي .

---

(١) تاريخ الإسلام : ٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٣ .

وأما في الغرب فقد نافست قرطبة بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط فأصبحت حاضرة الاندلس حتىٰ جذبت مساجدها الأُوربيين الذين وفدوا لارتشاف العلم من مناهله والتزوّد من الثقافة الإسلامية ، ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأُدباء والفلاسفة والمترجمين والفقهاء وغيرهم. ولم يقتصر اهتمام العلماء المسلمين علىٰ العلوم النقلية مثل علم التفسير ، والقراءات وعلم الحديث والفقه والكلام ، بل شمل اهتمامهم العلوم العقلية ، كالفلسفة ، والهندسة ، وعلم النجوم ، والطب ، والكيمياء ، وغيرها .

وفي العصر العباسي الأول اشتغل الناس بالعلوم الدينية وظهر المتكلّمون وتكلّم الناس في مسألة خلق القرآن ، وتدخّل المأمون في ذلك ، فأوجد مجالس للمناظرة بين العلماء في حضرته ، ولهذا عاب الناس عليه تدخّله في الأُمور الدينية كما عابوا عليه تفضيل علي بن أبي طالب (عليه السلام) علىٰ سائر الخلفاء(١).

وفي هذا العصر ظهر صنفان من العلماء :

الصنف الأول : هم الذين كان يغلب علىٰ ثقافتهم النقل والاستيعاب ويسمون أهل علم .

والصنف الثاني : هم الذين كان يغلب علىٰ ثقافتهم الابتداع والاستنباط ويسمون أهل عقل(٢).

كما نشطت في هذا العصر أيضاً ، في ميدان الفقه مدرستان : مدرسة أهل الحديث في المدينة ومدرسة الرأي في العراق .

---

(١) تاريخ الاسلام : ٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٣ .

(٢) تاريخ الاسلام : ٢ / ٣٢٤ .

الحالة السياسية

كانت تولية العهد إلى أكثر من شخص واحد عاملاً مهمّاً في اختلال الوضع الأمني داخل الدولة الإسلامية نتيجة التنازع والصراع على السلطة بين ولاة العهد لأن أحدهما كان يرى أن يولي العهد ابنه بدلاً عن أخيه الذي سبق أن عهد إليه أبوه بالولاية كما تجلّى ذلك بوضوح في عهد الأمين والمأمون (١).

وقد كان الأمين شديد البطش لكنه كان عاجز الرأي ضعيف التدبير وتجلّى ضعف تدبيره في الاضطرابات التي نشأت نتيجة صراعه مع المأمون على السلطة، والتي استمرت من سنة (٩٣ ـ ٩٨ هـ) حيث تمكن أعوان المأمون من قتل محمد الأمين والاستيلاء على بغداد، ومن ثم تفرّد المأمون في إدارة الحكم وعزل قوّاد وولاة أخيه الأمين، وأبدلهم بأنصاره وأعوانه الذين مكّنوه من الانتصار على الأمين.

وفي عهد المأمون قد حدثت عدّة ثورات وحركات مسلّحة تمكن منها جيش الدولة، وأعاد الامصار التي حصلت فيها تلك الثورات وانفصلت عن الدولة إلى الخضوع إلى سلطان الخليفة، وكان بعد استقرار الوضع واستتباب السيطرة للمأمون أن قام بغزو بلاد الروم عام (٢١٧ هـ)(٢).

ويصور أحد شعراء العصر العباسي الأول ـ من أهل بغداد وهو يعرف بعلي ابن أبي طالب الأعمى ـ الحالة السياسية والاجتماعية في هذه الفترة من زمن الدولة العباسية فيما أنشده بقوله:

---

(١) مروج الذهب: ٤ / ٢٥٠ ـ ٢٥٣.

(٢) تاريخ الطبري، تاريخ الامم والملوك، أحداث السنين (١٩٩ ـ ٢١٧ هـ).

أضاع الخلافة غِشُّ الوزير ... وفِسقُ الإمام ورأي المشير
وما ذاك إلّا طريق الغرور ... وشر المسالك طُرقُ الغرور
فعال الخليفة أعجوبة ... وأعجب منه فعال الوزير
وأعجب من ذا وذا أننا ... نبايع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يُحسن مسح أنفه ... ولم يخل من متنه حجرُ ظير
وما ذاك ، إلّا بباغ وغاوٍ ... يريدان نقض الكتاب المنير
وهذان لولا انقلاب الزمان ... أفي العير هذان أم في النفير
ولكنها فتن كالجبا ... ل نرتع فيها بصنع الحقير[1]

ولما قتل الأمين حمل رأسه إلى خراسان إلى المأمون فأمر بنصب الرأس في صحن الدار على خشبة ، وأعطى الجند ، وأمر كل من قبض رزقه أن يلعنه ، فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس ، فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له : إلعن هذا الرأس فقال : لعن الله هذا ولعن والديه وما ولدا وأدخلهم في كذا وكذا من اُمّهاتهم ، فقيل له : لعنت أمير المؤمنين! بحيث يسمع المأمون منه فتبسّم وتغافل ، وأمر بحطّ الرأس ورده إلى العراق[2].

وجابه حكم المأمون تحديات عديدة وخطيرة كادت أن تسقط دولته وأهم الأحداث التي كانت أيام حكومته هي :

١ ـ ثورة ابن طباطبا [3] سنة (١٩٩ هـ) بقيادة أبي السرايا .

وهي من أعظم الثورات الشعبية التي حدثت في عصر الإمام الجواد(عليه السلام) وقد رفعت شعار الدعوة إلى الرضى من آل محمد (صلى الله عليه وآله) . وكادت

---

(١) مروج الذهب : ٣ / ٣٩٧ .

(٢) مروج الذهب : ٣ / ٤١٤ .

(٣) هو محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

أن تعصف هذه الثورة بالدولة العباسية إذ استجاب لها الكثير من أبناء الشعب المسلم . واستطاع أبو السرايا بعقله الملهم أن يجلب الكثير من أبناء الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ويجعلهم قادة في جيشه مما أدىٰ إلىٰ اندفاع الجماهير بحماس بالغ إلىٰ الانضمام لثورته .

ووجّه إليه المأمون ، زهير بن المسيب علىٰ عشرة آلاف مقاتل ، ولكن زهيراً انهزم جيشه واستبيح عسكره ، وقد قوي شأنهم بعد ذلك وهزموا جيشاً آخر أرسله المأمون إليهم ، واستولوا علىٰ (واسط) .

ثم التقىٰ بهم جيش آخر بقيادة هرثمة بن أعين ، فهرب أبو السرايا إلى القادسية ، ودخل هرثمة إلىٰ الكوفة ، ثم قتل أبو السرايا ، وكان ذلك في سنة (٢٠٠ هـ) [١].

٢ ـ ولاية العهد للإمام علي بن موسىٰ الرضا (عليه السلام) .

وفي سنة احدىٰ ومائتين فرض المأمون على الإمام علي بن موسىٰ الرضا قبول ولاية العهد وأمر عمّال الدولة برمي السواد ولبس الخضرة فشق ذلك علىٰ العباسيين وقامت قيامتهم بإدخاله الرضا (عليه السلام) في الخلافة فخالفوا المأمون وبايعوا عمه المنصور بن المهدي فضعف عن الأمر ، وقال بل أنا خليفة المأمون فأهملوه وأقاموا أخاه ابراهيم بن المهدي فبايعوه وجرت لذلك حروب عديدة [٢].

وبعد أن عجز المأمون عن تحقيق اغراضه من فرض ولاية العهد ـ كما يريد ـ على الإمام الرضا (عليه السلام) قام بدس السمّ إليه واغتياله وذلك في سنة ثلاث

---

(١) تاريخ الذهبي، دول الإسلام : ١١٢ ـ ١١٣ .

(٢) تاريخ الذهبي، دول الإسلام : ١١٢ ـ ١١٣ .

ومائتين[١].

٣ ـ احداث سنة ست ومائتين: وفي هذه السنة استفحل أمر بابك الخرمي بجبال آذربيجان وأكثر الغارة والقتل وهزم عسكر المأمون وفعل القبائح[٢].

٤ ـ احداث سنة تسع ومائتين: وفي هذه السنة ظهر نصر بن اشعث العقيلي، وكانت بينه وبين عبد الله بن طاهر الخزاعي قائد جيش المأمون حروب كثيرة وطويلة الأمد[٣].

٥ ـ غزو بلاد الروم: وفي سنة خمس عشرة ومائتين غزا المأمون بلاد الروم وأقام هناك ثلاثة أشهر وافتتح عدة حصون وبث سراياه تغير وتسبي وتحرق ثم قدم دمشق ودخل الى مصر[٤].

وامتدت هذه الحروب اكثر من سنتين، وقد أسرت الروم قائد جيش المأمون وحاصرت جيش المسلمين عام (٢١٧ هـ).

الإمام الجواد (عليه السلام) والمأمون العباسي

لقد انتهج المأمون سياسة خاصة تجاه الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) تباين سياسة أسلافه من ملوك بني العباس. ويُعد هذا التحول في العلاقة بين السلطة والأئمة دليلاً على اتّساع المساحة التي كان يشغلها تأثير الأئمة وسط الأمة والمجتمع الاسلامي مع انشداد الغالبية المؤثرة بالأئمة (عليهم السلام) والقول

(١) إثبات الوصية: ١٨١ ـ ١٨٣.

(٢) تاريخ الذهبي، دول الاسلام: ١١٤.

(٣) تاريخ الذهبي، دول الإسلام: ١١٥ ـ ١١٧.

(٤) تاريخ الذهبي دول الإسلام: ١١٥ ـ ١١٧.

بمرجعيتهم الفكرية والروحية ، وكانت ولاية العهد للإمام الرضا (عليه السلام) أحد أوجه هذا التحول في السياسة والذي يعبر عن ذكاء ودهاء المأمون في محاولته تلك للحد من تأثير الإمام (عليه السلام) ووضعه قريباً منه لتحديد تحركه وتحجيم دوره إضافة لرصد تحركه وتحرك القواعد الشعبية المؤمنة بقيادة أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم الريادي في الأُمة ، فبعد استشهاد الإمام الرضا(عليه السلام) عمد المأمون الىٰ إشخاص الإمام الجواد من المدينة إلىٰ بغداد وتزويجه بإبنته أم الفضل مع احتجاج الاسرة العباسية علىٰ هذا التقريب والتزويج ، فالمأمون كان بعيد النظر في تعامله هذا ، وكان يرمي من ورائه إلىٰ أهداف تخدمه وتضفي نوعاً من الشرعية علىٰ سلطته ، وقد خدع الأكثرية من أبناء الأُمة بإظهاره الحب والتقدير للإمام الجواد (عليه السلام) من أجل إزالة نقمتهم التي خلّفتها عهود الخلفاء قبله لاستبدادهم وبطشهم فضلاً عن إسرافهم في اللهو والترف وخروجهم عن مبادئ الاسلام الحنيف في كثير من مظاهر حياتهم الخاصة والعامة . ومما يؤكد لنا وجهة النظر هذه في سياسة المأمون أنه في عام (٢٠٤ هـ) وفي شهر ربيع الأول قدم بغداد ولباسه ولباس قواده وجنده والناس كلهم الخضرة فأقام جمعة ـ اي سبعة أيام ـ ثم نزعها وأعاد لباس السواد[1]. والذي كان قد أمر بنزعه بعد توليه الحكم والعهد بالولاية من بعده للإمام الرضا(عليه السلام) سنة (٢٠١هـ).[2] والتي انتهت باستشهاد الإمام الرضا(عليه السلام) بعد دس السم له سنة (٢٠٣ هـ).

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٩٣ .

(٢) تاريخ أبي الفداء : ١ / ٣٢٨ .

زواج الإمام الجواد (عليه السلام)

واستمراراً لتوطيد علاقة المأمون بأهل البيت (عليهم السلام) كان تزويجه لابنته ـ أم الفضل ـ من الإمام الجواد (عليه السلام) ، ولما بلغ بني العباس ذلك اجتمعوا فاحتجوا ، لتخوفهم من أن يخرج السلطان عنهم وأن ينتزع منهم ـ بحسب زعمهم ـ لباس ألبسهم الله ذلك ، فقالوا للمأمون : ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا ، فإنّا نخاف أن تخرج به عنّا أمراً قد ملكناه الله وتنزع منّا عزاً قد ألبسناه الله ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً ، وماكان عليه الخلفاء قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم ، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتىٰ كفانا الله المهم من ذلك ، فالله الله ان تردنا إلىٰ غمٍّ قد انحسر عنّا واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلىٰ من تراه من اهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون : اما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ولو أنصفتم القوم لكانوا اولىٰ بكم ... واما أبو جعفر محمد بن علي (عليه السلام) فقد اخترته لتبريزه علىٰ كافة اهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنه والاعجوبة فيه بذلك وأنا أرجو أن يظهر للناس ما عرفته منه[1].

فخرجوا من عنده وأجمعوا رأيهم علىٰ مساءلة يحيىٰ بن أكثم وهو يومئذٍ قاضي الزمان ، علىٰ أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب عنها ووعدوه بأموال نفيسة علىٰ ذلك .

واتفقوا مع المأمون علىٰ يوم تتم فيه المساءلة ، حيث يحضر معهم يحيىٰ بن أكثم. ثم كان بعد ذلك أن جلس الإمام الجواد (عليه السلام) يستمع إلىٰ أسئلة

(١) الارشاد : ٢٨٢/٢ وعنه في اعلام الورىٰ : ١٠١/٢ بلا اسناد ، وفي كشف الغمة : ١٤٤/٣ بالاسناد.

يحيىٰ بن أكثم والذي بهت حين سأل الإمام حول محرم قتل صيداً فماكان من الإمام (عليه السلام) إلّا ان فرّع عليه سؤاله فلم يحر جواباً وطلب من الإمام(عليه السلام) أن يوضح ذلك والمأمون جالس يستمع إلىٰ كل ذلك ثم نظر إلىٰ أهل بيته وقال لهم : أعرفتم الآن ماكنتم تنكرونه ؟ ثم أقبل علىٰ أبي جعفر(عليه السلام) وطلب منه أن يخطب ابنته فخطبها واحتفل المأمون بذلك.

ثم ان المأمون بعد اجراء العقد وإتمام الخطبة عاد فطلب من الإمام الجواد(عليه السلام) أن يكمل جواب ما طرحه مشكلاً به علىٰ ابن أكثم ، فأتم الإمام (عليه السلام) الجواب ، فالتفت المأمون إلىٰ من حضره من أهل بيته فقال لهم ، هل فيكم احد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ؟ ويعرف القول فيما تقدم من السؤال ؟

قالوا: لا والله، ان أمير المؤمنين أعلم بما رأى .

فقال ـ المأمون ـ لهم : ويحكم ان أهل البيت خصوا من بين الخلق بما ترون من الفضل ، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال ومن ثم ذكر لهم ان الرسول (صلى الله عليه وآله) افتتح الدعوة بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو ابن عشر سنين وقبل منه الاسلام . (١)

ولا بد من الاشارة إلىٰ ان هذا الاهتمام المبالغ فيه من قبل المأمون تجاه الإمام الجواد(عليه السلام) كان قد سلك مثله مع أبيه الإمام الرضا(عليه السلام) حتىٰ تم له ان دس له السم وقتله ، فكان المأمون يتحرك إزاء الإمام(عليه السلام) بهدف إبعاد الإمام (عليه السلام) عن خاصته وعامة الناس ، حيث اشخصه من المدينة إلىٰ بغداد ليكون قريباً منه وتحت رقابته وعيونه ، فيعرف الداخل عليه والخارج منه ظناً من المأمون أنه سوف يتمكن بذلك من تحجيم دور الإمام (عليه السلام)

(١) الارشاد : ٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٧ وعنه في اعلام الورى : ٢/ ١٠١ ـ ١٠٥، وفي كشف الغمة: ٣/ ١٤٣ ـ ١٤٧ .

وابعاده عن التأثير فضلاً عن اكتساب الشرعية لحكمه من خلال وجود الإمام (عليه السلام) إلى جنبه ، ووفقاً لذلك كان موقف المأمون تجاه العباسيين الذين كانوا لا يرون في الإمام (عليه السلام) إلّا صبياً لم يتفقه في الدين ولا يعرف الحلال والحرام .

وهكذا قضى الإمام الجواد (عليه السلام) خمس عشرة سنة خلال حكم المأمون حيث مات المأمون سنة (٢١٨ هـ) .

الإمام الجواد (عليه السلام) والمعتصم

والمعتصم هو محمد بن هارون الرشيد ثامن خلفاء بني العباس بُويع له بالخلافة سنة (٢١٨ هـ) بعد وفاة المأمون ، وقد خرج المعتصم سنة (٢١٧ هـ) لبناء سامراء[١]. ثم نقل عاصمة الدولة إليها ، ولم تكن المدة التي قضاها الإمام الجواد (عليه السلام) في خلافة المعتصم طويلة فإنها لم تتجاوز السنتين حيث استشهد الإمام (عليه السلام) بعد ان استقدمه المعتصم إلى بغداد سنة (٢٢٠ هـ) .

وكان الإمام الجواد (عليه السلام) قد خلّف ولده الإمام الهادي (عليه السلام) وهو صغير بالمدينة لمّا انصرف إلى العراق في العام الذي توفي فيه المأمون بأرض الروم[٢]. وهو عام (٢١٨ هـ) .

ونصّ الإمام الجواد (عليه السلام) قبل استشهاده على إمامة ابنه علي في أكثر من موقع.

---

(١) تاريخ أبي الفداء : ١ / ٣٤٣ .

(٢) إثبات الوصية : ١٩٢ .

نصوص الإمام الجواد (عليه السلام) على إمامة ولده الهادي (عليه السلام)

أ ـ النص الاول: عن اسماعيل بن مهران قال : لما اخرج أبو جعفر في الدفعة الاولى من المدينة إلىٰ بغداد فقلت له : إني أخاف عليك في هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك ؟ قال : فكرّ بوجهه إليّ ضاحكاً وقال : **ليس حيث ظننت في هذه السنة** ، فلما استدعاه المعتصم صرت اليه فقلت : جعلت فداك أنت خارج فإلى من الأمر بعدك ؟ فبكى حتى اخضلّت لحيته ، ثم التفت إليّ فقال : **عند هذه يخاف عليّ ، الأمر من بعدي إلىٰ ابني علي**»(١).

ب ـ النص الثاني: عن الخيراني ، عن ابيه ـ وكان يلزم أبا جعفر للخدمة التي وكل بها ـ قال :كان احمد بن محمد بن عيسى الاشعري يجيء في السحر ليعرف خبر علّة أبي جعفر ، وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر وبين أبي إذا حضر قام احمد بن عيسى وخلا به أبي فخرج ذات ليلة وقام احمد عن المجلس وخلا أبي بالرسول واستدار احمد بن محمد ووقف حيث يسمع الكلام ، فقال الرسول لأبي : ان مولاك يقرأ عليك السلام ويقول: «**انّي ماض والأمر صار إلىٰ ابني علي وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي**» ، ثم مضى الرسول فرجع احمد بن محمد بن عيسى إلىٰ موضعه وقال لأبي : ما الذي قال لك ؟ قال : خيراً ، قال: فإنني قد سمعت ما قال لك وأعاد اليه ما سمع فقال له أبي : قد حرم الله عليك ذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ **ولا تجسسوا** ﴾ فأما إذا سمعت فاحفظ هذه الشهادة لعلنا نحتاج اليها يوماً ، وإياك أن تظهرها لأحد إلىٰ وقتها.

---

(١) الكافي: ٣٢٣/١، بحار الأنوار: ١١٨/٥٠ باب النصوص على الخصوص عليه، الارشاد، للمفيد: ٣٠٨.

فلما اصبح أبي كتب نسخة الرسالة في عشر رقاع بلفظها وختمها ودفعها الى عشرة من وجوه العصابة وقال لهم : إن حدث بي حدث الموت قبل أن اطالبكم بها فافتحوها واعملوا بما فيها .

قال : فلما مضى أبو جعفر (عليه السلام) لبث أبي في منزله فلم يخرج حتى اجتمع رؤساء الامامية عند محمد بن الفرج الرخجي يتفاوضون في القائم بعد أبي جعفر ويخوضون في ذلك ، فكتب محمد بن أبي الفرج إلىٰ أبي يعلمه باجتماع القوم عنده وانه لولا مخافة الشهرة لصار معهم اليه وسأله أن يأتيه ، فركب أبي وصار اليه فوجد القوم مجتمعين عنده فقالوا لأبي : ما تقول في هذا الأمر ؟ فقال أبي لمن عنده الرقاع أحضروها . فأحضروها وفضّها وقال : هذا ما أُمرت به. فقال بعض القوم : قد كنا نحب ان يكون معك في هذا الأمر شاهد آخر فقال لهم أبي : قد أتاكم الله ما تحبون . هذا أبو جعفر الاشعري يشهد لي بسماع هذه الرسالة ، وسأله أن يشهد فتوقف أبو جعفر فدعاه أبي إلىٰ المباهلة وخوّفه بالله فلما حقق عليه القول قال : قد سمعت ذلك ولكنني توقفت لأني احببت أن تكون هذه المكرمة لرجل من العرب فلم يبرح القوم حتى اعترفوا بإمامة أبي الحسن وزال عنهم الريب في ذلك»[(١)].

ج ـ **النص الثالث :** عن محمد بن الحسين الواسطي أنه سمع أحمد بن أبي خالد مولىٰ أبي جعفر يحكي أنه أشهده علىٰ هذه الوصية المنسوخة « شهد احمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر أن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أشهده أنه أوصى إلىٰ علي ابنه بنفسه واخوته وجعل أمر موسى إذا بلغ اليه ، وجعل عبد الله بن المساور قائماً علىٰ تركته من الضياع والاموال والنفقات والرقيق وغير

(١) الكافي: ٣٢٤/١، بحار الأنوار: ١٢٠/٥٠ باب النصوص على الخصوص عليه، الارشاد، للمفيد: ٣٠٨.

ذلك إلىٰ أن يبلغ علي بن محمد.

صير عبد الله بن المساور ذلك اليوم اليه، يقوم بأمر نفسه وإخوانه ويصير أمر موسىٰ اليه، يقوم لنفسه بعدهما علىٰ شرط أبيهما في صدقاته التي تصدق بها، وذلك يوم الاحد لثلاث ليال خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين وكتب احمد بن أبي خالد شهادته بخطه وشهد الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو الجوائي علىٰ مثل شهادة احمد بن خالد في صدر هذا الكتاب وكتب شهادته بيده وشهد نصر الخادم وكتب شهادته بيده.[١]

د ـ **النص الرابع**: حدثنا محمد بن علي، قال حدثنا عبدالواحد بن محمد ابن عبدوس العطار، قال حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري، قال حدثنا حمدان بن سليمان، قال حدثنا الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا(عليه السلام) يقول: «**الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي**»[٢]، **والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه.** ثم سكت فقلت له: يابن رسول الله **فمن الإمام بعد الحسن؟** فبكى(عليه السلام) بكاءاً شديداً ثم قال: **ان بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر**، فقلت له: يابن رسول الله ولم سمي القائم؟ قال: **لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بامامته.** فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ قال: **لأن له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ به الجاحدون ويكذب فيها الوقاتون ويهلك فيها المستعجلون وينجو فيها المسلّمون**»[٣].

---

(١) الكافي: ١ / ٣٨٣.

(٢) في طبعة: ثم سكت فقلت يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد علي قال ابنه الحسن. قلت: بعد الحسن فبكى(عليه السلام) بكاءاً شديداً ثم قال: انّ محمداً من بعد الحسن ابنه...

(٣) اكمال الدين: ٢٧٨/٢ واعلام الورى: ٤٣٦.

هـ ـ النص الخامس: حدثنا علي بن محمد السندي، قال محمد بن الحسن، قال حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن هلال، عن [أُمية بن علي] القيسي، قال: قلت لأبي جعفر الثاني(عليه السلام) من الخلف من بعدك؟ قال: **ابني علي.** ثم قال: **انّه سيكون حيرة.** قال: قلت والى أين؟ فسكت ثم قال: الى **المدينة.** قلت: والى أي مدينة؟ قال: **مدينتنا هذه، وهل مدينة غيرها**[١] ؟

و ـ النص السادس: قال أحمد بن هلال: فأخبرني محمد بن اسماعيل بن بزيع أنه حضر أُمية بن علي وهو يسأل أبا جعفر الثاني(عليه السلام) عن ذلك، فأجابه بمثل ذلك الجواب.

وبهذا الاسناد عن أُمية بن علي القيسي، عن أبي الهيثم التميمي، قال: قال أبو عبدالله(عليه السلام) :**إذا توالت ثلاثة أسماء كان رابعهم قائمهم محمد وعلي والحسن**[٢].

ي ـ النص السابع: روى الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه أنّ أبا جعفر(عليه السلام) لما أراد الخروج من المدينة الى العراق ومعاودتها أجلس أبا الحسن في حجره بعد النصّ عليه وقال له: **ماالذي تحبّ أن أُهدي إليك من طرائف العراق؟** فقال(عليه السلام): **سيفاً كأنّه شعلة نار،** ثم التفت الى موسى ابنه وقال له: **ما تحبُّ أنت؟** فقال: **فرساً،** فقال(عليه السلام): **أشبهني أبوالحسن، وأشبه هذا أُمّه**[٣].

---

(١) غيبة النعماني: ١٨ باختلاف ما في اللفظ وزيادة.

(٢) اكمال الدين: ٣٣٤/٢ وكذا فيه: إذا توالت ثلاثةأسماء محمد وعلي والحسن كان رابعهم قائمهم.

(٣) بحار الأنوار: ١٢٣/٥٠ باب النصوص على الخصوص عليه(عليه السلام) .

استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام)

إن تقريب الإمام الرضا (عليه السلام) والعهد إليه بولاية الأمر من قبل المأمون العباسي وكذا ماكان من المأمون تجاه الإمام الجواد(عليه السلام) يعبر عن دهاء سياسي في التعامل مع أقوىٰ معارضي الدولة ، حيث يمتلك الإمامان القواعد الشعبية الواسعة مما كان يشكل خطراً علىٰ كيان الدولة ، فكان تصرّف المأمون معهما من أجل تطويق الخطر المحدق بالكيان السياسي للدولة العباسية وذلك من خلال عزل الإمام (عليه السلام) عن قواعده للحدّ من تأثيره في الأُمة ، فتقريبه للامام (عليه السلام) يعني إقامة جبرية ، ومراقبة دقيقة تحصي عليه حتىٰ أنفاسه وتتعرّف علىٰ مواليه ومقربيه ، لمتابعتهم والتضييق عليهم .

قال محمد بن علي الهاشمي : دخلت علىٰ أبي جعفر (عليه السلام) صبيحة عرسه ببنت المأمون ـ أي أم الفضل ـ وكنت تناولت من أول الليل دواء فأوّل من دخل في صبيحته أنا وقد أصابني العطش وكرهت أن أدعو بالماء ، فنظر أبوجعفر (عليه السلام) في وجهي وقال : أراك عطشاناً قلت : أجل قال : يا غلام اسقنا ماء فقلت في نفسي : الساعة يأتونه بماء مسموم ، واغتممت لذلك ، فأقبل الغلام ومعه الماء فتبسم في وجهي ثمّ قال : يا غلام ناولني الماء فتناول وشرب ، ثمّ ناولني الماء وشربت[١].

فقال محمد بن علي الهاشمي لمحمد بن حمزة : والله إني أظن أن أبا جعفر (عليه السلام) يعلم ما في النفوس كما تقول الرافضة[٢].

فالهاشمي هذا ليس من شيعة الإمام (عليه السلام)، غير انه كان يدرك ما يدور

---

(١) الكافي : ١ / ٤٩٥ و٤٩٦ .

(٢) أصول الكافي: ٤٩٥/١ ح ٦ ب ١٣٢ وعنه في الارشاد : ٢٩١/٢.

في خلد العباسيين ويعرف وسائلهم في التخلص من معارضيهم ، وربما يستفاد من قوله هذا تأكيد أن الإمام الرضا (عليه السلام) قد مضىٰ مسموماً من قبل المأمون .

وروى المسعودي: أنّ المعتصم وجعفر بن المأمون دبّرا حيلة للتخلص من الإمام الجواد(عليه السلام) ، فاتفق جعفر مع أُخته أم الفضل ـ زوج الإمام الجواد (عليه السلام) ـ أن تقدّم له عنباً مسموماً ، وقد فعلت ذلك وأكل منه الإمام(عليه السلام) ، فندمت وجعلت تبكي فقال لها الإمام(عليه السلام): **ما بكاؤك! والله ليضربنك الله بفقر لا ينجلي وبلاء لا ينستر**... فبليت بعلّة فأنفقت مالها وجميع ملكها علىٰ تلك العلّة حتىٰ احتاجت إلىٰ رفد الناس ـ أي معونتهم ـ وقد تردىٰ أخوها جعفر في بئر فأُخرج ميتاً وكان سكراناً .

ويروى أن ابن أبي داود القاضي كان السبب لقتل الإمام(عليه السلام) وكان سبب وشايته : أنّ سارقاً جاء إلىٰ الخليفة ، وأقر علىٰ نفسه بالسرقة وسأل الخليفة أن يطهّره بإقامة الحد عليه ، فجمع المعتصم الفقهاء وسألهم عن مكان قطع اليد لإقامة الحد علىٰ السارق هذا فاختلفوا في مكان القطع فالبعض قال من المرفق، وآخر قال من الكرسوع ، واستشهدوا بآيات من القرآن الكريم تأولاً بغير علم ، فالتفت المعتصم إلىٰ الإمام (عليه السلام) وقال : ما تقول يا أبا جعفر ؟ قال : **قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين**. قال : دعني مما تكلموا به ، أي شيء عندك ؟ قال : أعفني عن هذا يا أمير المؤمنين قال : أقسمت عليك بالله لما أخبرتني بما عندك فيه ، فقال : **إذا أقسمت عليّ بالله، إني أقول : إنهم أخطأوا فيه السنّة ، فإن القطع يجب أن يكون من مفصل الاصابع فيترك الكف**. قال : لِمَ ؟ قال **لقول رسول الله(صلى الله عليه وآله) : السجود علىٰ سبعة اعضاء : الوجه واليدين والركبتين والرجلين فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها ، وقال الله تبارك وتعالى :**

﴿ وأن المساجد لله ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿ فلا تدعوا مع الله احداً ﴾ وما كان لله لم يقطع ، قال : فأعجب المعتصم ذلك فأمر بقطع يد السارق من مفصل الاصابع دون الكف.

قال زرقان : إن ابن أبي داود قال لي : صرت إلى المعتصم بعد ثالثة فقلت : إنّ نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة ، وأنا أُكلمه بما أعلم أني أدخل به النار قال : ما هو ؟ قلت : إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أُمور الدين فسألهم عن الحكم فيه ، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك . وقد حضر المجلس أهل بيته وقوّاده ووزراؤه ، وكتّابه وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأُمة بإمامته ويدّعون أنه اولى منه بمقامه ، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء .

قال ابن أبي داود : فتغير لونه ـ أي المعتصم ـ وانتبه لما نبهته له ، وقال : جزاك الله عن نصيحتك خيراً...»[1].

من هنا نُدرك أنّه كيف اندفع المعتصم للتآمر على الإمام الجواد (عليه السلام) مع جعفر ابن المأمون واخته أم الفضل فلا تعارض بين هاتين الروايتين والحال هذه .

* * *

(١) تفسير العياشي : ١ / ٣١٩، مدينة المعاجز: ٤٠٣/٧، بحار الأنوار: ١٩١/٧٦ .

الباب الثالث

وفيه فصول :

الفصل الأوّل :

المسيرة الرسالية لأهل البيت (عليهم السلام) منذ عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثاني :

عصر الإمام علي بن محمّد الهادي (عليه السلام)

الفصل الثالث :

ملامح عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

الفَصْلُ الأَوَّلُ

المسيرة الرسالية لأهل البيت(عليهم السلام) منذ عصر الرسول(صلى الله عليه وآله) حتى عصر الإمام الهادي(عليه السلام)

تعتبر الرسالة الإسلامية الكون مملكة لله سبحانه، والإنسان خليفة له وأميناً من قبله، ينبغي له أن يقوم بأعباء المسؤولية التي حمّله الله إيّاها.

ومادامت الحياة الدنيا تعتبر شوطاً قصيراً في مسيرة الإنسان الطويلة فالأهداف التي ينبغي للمشرّع الحكيم وللإنسان المشرّع إليه أن يستهدفها لا تتلخّص في تحقيق مآرب هذه الحياة الدنيا الفانية وإنّما تمتد بامتداد حياته الباقية في عالم الآخرة.

والإسلام يريد للإنسان أن يتربّى على هذه الثقافة التي تصنع منه كائناً متكاملاً سوياً دؤوباً في تحقيق الأهداف الرسالية الكبرى.

وقد كان التخطيط الربّاني لتربية الإنسان في هذا الاتجاه حكيماً ومتقناً حين تزعّم الرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله) المجتمع الإنساني وهيمن على كل العلاقات الاجتماعية وغيرها ليصوغ من هذا الإنسان نموذجاً فريداً.

ولم يكن الطريق أمام عملية التغيير الجذري التي بدأها النبي(صلى الله عليه وآله) في

المجتمع الإنساني طريقاً قصيراً يمكن تحققه خلال عقد أو عقدين من الزمن بل كان طريقاً ممتداً بامتداد الفواصل المعنوية الضخمة بين الجاهلية والإسلام.

ولم يكن كل ما حققه الرسول(صلى الله عليه وآله) في هذه البرهة المحدودة كافياً لاجتثاث كل الجذور الجاهلية من عامة أبناء الجيل الأوّل وايصاله الى الدرجة اللازمة من الوعي والموضوعية والتحرز من كل رواسب الماضي الجاهلي بحيث يؤهله للقيمومة على خط الرسالة .

وتكفي الأحداث المرّة التي أعقبت وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) وما جرى بين صحابة الرسول من سجالات سجّلها المؤرخون في المصادر التي بأيدينا لتشهد على أن جيل الصحابة لم يرتق الى درجة الكفاءة اللازمة ليخلف الرسول على رسالته.

من هنا كان منطق العمل التغييري يفرض على الرسول(صلى الله عليه وآله) أن يصون تجربته الرائدة ـ التي كان يريد لها الخلود والبقاء وهو الذي أعلن بأنه خاتم المرسلين وانّه لا نبي بعده.. كان يفرض عليه أن يصون تجربته ـ من كل ما يؤدي الى ضعفها أو إنهيارها، وذلك باعطاء القيمومة والوصاية على تجربته لقيادة كفوءة معصومة قد أعدّها بنفسه كما يريد وكما ينبغي؛ لتقوم بالمهمة التغييرية الشاملة خلال فترة طبيعية من الزمن بحيث تحقق للرسالة أهدافها التي كانت تنشدها من ارسال الرسل وتقديم منهج رباني كامل للحياة .

عقبات وأخطار أمام عملية التغيير الشاملة

لم يكن الإسلام نظرية بشرية لكي تتحدّد فكرياً من خلال ممارسة تجارب الخطأ والصواب في التطبيق ، وإنما هو رسالة الله التي حُدّدت فيها الأحكام والمفاهيم وزوّدت ربانياً بكلّ التشريعات العامّة، فلا بدّ لزعامة هذه

التجربة من استيعاب الرسالة بحدودها وتفاصيلها ووعي كامل لأحكامها ومفاهيمها، وإلّا كانت مضطرة إلىٰ استلهام مسبقاتها الذهنية ومرتكزاتها القَبْلية وذلك يؤدي إلىٰ نكسة في مسيرة التجربة وبخاصة إذا لاحظنا أن الإسلام كان هو الرسالة الخاتمة لرسالات السماء التي تمتد مع الزمن وتتعدىٰ كل الحدود الاقليمية والقومية، الأمر الذي لا يسمح بأن تمارس زعامته تجارب الخطأ والصواب التي تتراكم فيها الأخطاء عبر فترة من الزمن حتىٰ تشكل ثغرة تهدد التجربة بالسقوط والانهيار(١).

وقد برهنت الأحداث التي جرت علىٰ آل الرسول(عليهم السلام) بعد وفاته(صلى الله عليه وآله) استئثاراً بالخلافة دونهم علىٰ هذه الحقيقة المرّة وتجلّت آثارها السلبيّة بوضوح بعد نصف قرن أو أقلّ من ممارسة الحكم من قبل جيل المهاجرين الذين لم يُرشّحوا من قبل الرسول(صلى الله عليه وآله) للإمامة ولم يكونوا مؤهلين للقيمومة على الرسالة.

فلم يمض ربع قرن حتىٰ بدأت الخلافة الراشدة تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التي وجّهها أعداء الإسلام القدامىٰ؛ إذ استطاعوا أن يتسلّلوا إلىٰ مراكز النفوذ في قيادة التجربة بالتدريج حتّى صادروا بكل وقاحة وعنف تلك القيادة وأجبروا الأُمّة وجيلها الطليعي الرائد علىٰ التنازل عن شخصيّته وقيادته وتحوّلت الزعامة إلىٰ ملك موروث يستهتر بالكرامات ويقتل الأبرياء ويبعثر الأموال ويعطّل الحدود ويجمّد الأحكام ويتلاعب بمقدّرات الناس وأصبح الفيء والسواد بستاناً لقريش، والخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بني أُمية(٢).

(١) بحث حول الولاية : ٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) بحث حول الولاية : ٦٠ ـ ٦١.

مضاعفات الانحراف بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)

لقد واجه الإسلام بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) انحرافاً خطيراً في صميم التجربة الإسلامية التي أنشأها هذا النبي العظيم (صلى الله عليه وآله) لأُمته. وهذا الانحراف في التجربة الاجتماعية والسياسية للأمّة والدولة الإسلامية كان بحسب طبيعة الاشياء من المفروض أن يتسع ليتعمق بالتدريج على مرّ الزمن؛ اذ الانحراف يبدأ بذرة ثمّ تنمو هذه البذرة، وكلما تحققت مرحلة من الانحراف؛ مهّدت هذه المرحلة لمرحلة أوسع وأرحب.

فكان من المفروض أن يصل هذا الانحراف إلى خط منحنٍ طوال عملية تاريخية زمنية طويلة المدى يصل به إلى الهاوية حين تستمر التجربة الإسلامية في طريق منحرف لتصبح مليئة بالتناقضات من كل جهة، وتصبح عاجزة عن تحقيق الحدّ الأدنى من متطلبات الأُمّة ومصالحها الإسلامية.

وحينما يتسلسل الانحراف في خط تصاعدي فمن المنطقي أن تتعرض التجربة لانهيار كامل ولو بعد زمن طويل. إذن فالدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية كان من المفروض أن تتعرض كلّها للانهيار الكامل؛ لأن هذه التجربة حين تصبح مليئة بالتناقضات وحين تصبح عاجزة عن مواجهة وظائفها الحقيقية؛ تصبح عاجزة عن حماية نفسها؛ لأن التجربة تكون قد استنفدت إمكانية البقاء والاستمرار على مسرح التاريخ، كما أن الأُمّة ليست على مستوى حمايتها؛ لأن الأُمّة لا تجني من هذه التجربة الخير الذي تفكّر فيه ولا تحقق عن طريق هذه التجربة الآمال التي تصبو اليها فلا ترتبط بأي ارتباط حياتي حقيقي معها، فالمفروض أن تنهار هذه التجربة في مدى من الزمن كنتيجة نهائية حتمية لبذرة الانحراف التي غرست فيها.

انهيار الدولة الإسلامية ومضاعفاته

ومعنىٰ انهيار الدولة الإسلامية أن تسقط الحضارة الإسلامية وتتخلىٰ عن قيادة المجتمع ويتفكك المجتمع الإسلامي، ويُقصىٰ الإسلام عن مركزه كقائد للمجتمع وكقائد للأُمّة، لكن الأُمّة تبقىٰ طبعاً، حين تفشل تجربة المجتمع والدولة، لكنها سوف تنهار أمام أول غزو يغزوها، كما انهارت أمام الغزو التتري الذي واجهته الخلافة العباسية.

وهذا الانهيار يعني: أن الدولة والتجربة قد سقطت وأن الأُمّة بقيت، لكن هذه الأُمّة أيضاً بحسب تسلسل الأحداث من المحتوم أن تنهار كأُمّة تدين بالإسلام وتؤمن به وتتفاعل معه؛ لأن هذه الأُمّة قد عاشت الإسلام الصحيح زمناً قصيراً جداً وهو الزمن الذي مارس فيه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) زعامة التجربة وبعده عاشت الأُمّة التجربة المنحرفة التي لم تستطع أن تعمّق الإسلام وتعمّق المسؤولية تجاه عقيدتها ولم تستطع أن تثقّفها وتحصّنها وتزوّدها بالضمانات الكافية لئلّا تنهار أمام الحضارة الجديدة والغزو الجديد والأفكار الجديدة التي يحملها الغازي إلىٰ بلاد الإسلام.

ولم تجد هذه الأُمّة نفسها قادرة علىٰ تحصين نفسها بعد انهيار التجربة والدولة والحضارة بعدما أُهينت كرامتها وحُطّمتْ ارادتها وغُلّت أياديها عن طريق الزعامات التي مارست تلك التجربة المنحرفة وبعد أن فَقَدتْ روحها الحقيقية، لأن تلك الزعامات كانت تريد اخضاعها لزعامتها القسرية.

إن هذه الأُمّة من الطبيعي أن تنهار بالاندماج مع التيار الكافر الذي غزاها وسوف تذوب الأُمّة وتذوب الرسالة والعقيدة أيضاً وتصبح الأُمّة خبراً بعد أن

كانت أمراً حقيقياً على مسرح التاريخ وبهذا ينتهي دور الإسلام نهائياً(١).

لقد كان هذا هو التسلسل المنطقي لمسيرة الدولة والأُمّة والرسالة بقطع النظر عن دور الأئمّة المعصومين الذين أُوكِلت إليهم من قبل الرسول(صلى الله عليه وآله) مهمة صيانة التجربة والدولة والأُمّة والرسالة جميعاً.

دور الأئمة الراشدين

إنّ دور الأئـمّة الاثـني عشـر الذيـن نصّ عليهم وعلى إمامتهم الرسول(صلى الله عليه وآله) واستخلفهم لصيانة الإسلام من أيدي العابثين الذين كانوا يتربصون به الدوائر، وحمّلهم مسؤولية تطبيقه وتربية الإنسانية على أساسه وصيانة دولة الرسول الخاتم من الانهيار والتردّي يتلخّص في أمرين مهمّين وخطّين أساسيين:

١ ـ خط تحصين الأُمّة ضد الانهيار بعد سقوط التجربة، وإعطائها من المقوّمات القدر الكافي لكي تبقى واقفة على قدميها بقدم راسخة وبروح مجاهدة وبإيمان ثابت.

٢ ـ خط محاولة تسلّم زمام التجربة وزمام الدولة ومحو آثار الانحراف وارجاع القيادة إلى موضعها الطبيعي لتكتمل عناصر التربية الثلاثة ـ أعني الأُمة والشريعة والمربّي الكفوء ـ ولتتلاحم الأُمّة والمجتمع مع الدولة وقيادتها الرشيدة(٢).

أما الخط الثاني فكان على الأئمّة الراشدين أن يقوموا بإعداد طويل المدى له، من أجل تهيئة الظروف الموضوعية اللازمة التي تتناسب وتتفق مع

(١) راجع: أهل البيت(عليهم السلام) تنوّع أدوار ووحدة هدف: ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٢) أهل البيت(عليهم السلام) تنوّع أدوار ووحدة هدف : ٥٩.

مجموعة القيم والأهداف والأحكام الأساسية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية وأريد تحقيقها من خلال الحكم وممارسة الزعامة باسم الإسلام القيّم وباسم الله المشرّع للإنسان كل ما يوصله إلىٰ كماله اللائق.

ومن هنا كان رأي الأئمّة المعصومين من أهل بيت الرسول(صلى الله عليه وآله) في استلام زمام الحكم أن الانتصار المسلّح الآنيّ غير كافٍ لإقامة دعائم الحكم الإسلامي المستقر بل يتوقف ذلك علىٰ إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وبعصمته ايماناً مطلقاً بحيث يعيش أهدافه الكبيرة ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحرس كل ما يحققه للأُمّة من مصالح وأهداف ربّانية.

وأما الخط الأوّل فهو الخط الذي لا يتنافىٰ مع كل الظروف القاهرة، وكان يمارسه الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) حتىٰ في حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التي تهيء الإمام(عليه السلام) لخوض معركة يتسلّم من خلالها زمام الحكم من جديد.

إن هذا الدور وهذا الخط هو خط تعميق الرسالة فكرياً وروحيّاً وسياسياً في ضمير الأُمة بغية إيجاد تحصين كافٍ في صفوفها ليؤثّر في تحقيق مناعتها وعدم انهيارها بعد تردّي التجربة وسقوطها، وذلك بايجاد قواعد واعية في الأُمّة وايجاد روح رسالية فيها وايجاد عواطف صادقة تجاه هذه الرسالة في صفوف الأُمّة(١).

واستلزم عمل الأئمّة الطاهرين(عليهم السلام) في هذين الخطين قيامهم بدور رسالي ايجابي وفعّال علىٰ مدى قرون ثلاثة تقريباً في مجال حفظ الرسالة والأُمّة والدولة وحمايتها باستمرار.

وكلما كان الانحراف يشتد؛ كان الائمّة الأبرار يتخذون التدابير اللازمة

(١) أهل البيت(عليهم السلام) تنوع ادوار ووحدة هدف : ١٣١ ـ ١٣٢ و ١٤٧ ـ ١٤٨.

ضد ذلك، وكلما وقعت محنة للعقيدة أو التجربة الإسلامية وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها ـ بحكم عدم كفاءتها ـ بادر الأئمة المعصومون إلىٰ تقديم الحلّ ووقاية الأُمة من الأخطار التي كانت تهددّها.

فالأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) كانوا يحافظون علىٰ المقياس العقائدي في المجتمع الإسلامي بشكل مستمر إلىٰ درجة لا تنتهي بالأُمّة إلىٰ الخطر الماحق لها[١].

المهامّ الرساليّة للأئمة الطاهرين

من هنا تنوعت مهامّ الأئمة الاثني عشر(عليهم السلام) في مجالات شتىٰ باعتبار تعدد العلاقات وتعدّد الجوانب التي كانت تهمّهم كقيادة واعية رشيدة تريد تطبيق الإسلام وحفظه وضمان خلوده للإنسانية جمعاء.

لأنّ الأئمة مسؤولون عن صيانة تراث الرسول(صلى الله عليه وآله) الأعظم وثمار جهوده الكريمة المتمثلة في:

١ ـ الشريعة والرسالة التي جاء بها الرسول الأعظم من عند الله والمتمثلة في الكتاب والسنة الشريفين.

٢ ـ الأُمّة التي كوّنها وربّاها الرسول الكريم بيديه الكريمتين.

٣ ـ المجتمع السياسي الإسلامي الذي أوجده النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أو الدولة التي أسسها وشيّد أركانها.

٤ ـ القيادة النموذجية التي حقّقها بنفسه وربّىٰ لتجسيدها الأكفّاء من أهل بيته الطاهرين.

لكنّ استئثار بعض الصحابة بالمركز القيادي الذي رُشّح له الأئمة

(١) أهل البيت(عليهم السلام) تنوع أدوار ووحدة هدف: ١٤٤.

المعصومون من قبل الله ورسوله(صلى الله عليه وآله) ونصّ عليهم الرسول(صلى الله عليه وآله) لاستلامه ولتربية الأُمّة من خلاله لم يكن ليمنعهم ذلك من الاهتمام بالمجتمع الإسلامي السياسي وصيانة الدولة الإسلامية من الانهيار بالقدر الممكن لهم بالفعل وبمقدار ماكانت تسمح به الظروف الواقعية المحيطة بهم.

كما أن سقوط الدولة الإسلامية لا يحول دون الاهتمام بالأُمّة كأمّة مسلمة ودون الاهتمام بالرسالة والشريعة كرسالة إلهية وصيانتها من الانهيار والاضمحلال التام.

وعلى هذا الأساس تنوّعت مجالات عمل الأئمّة الطاهرين(عليهم السلام) جميعاً بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم ومن حيث درجة ثقافة الأُمّة ومدى وعيها وايمانها ومعرفتها بالأئمّة(عليهم السلام) ومدى انقيادها للحكام المنحرفين ومن حيث نوع الظروف المحيطة بالكيان الإسلامي والدولة الإسلامية ومن حيث درجة التزام الحكّام بالإسلام ومن حيث نوع الأدوات التي كان يستخدمها الحكّام لدعم حكمهم وإحكام سيطرتهم.

موقف أهل البيت(عليهم السلام) من انحراف الحكّام

كان للأئمّة المعصومين(عليهم السلام) نشاط مستمر تجاه الحكم القائم والزعامات المنحرفة وقد تمثّل في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامي تارة، أو بالثورة المسلّحة ضد الحاكم حينماكان يشكّل انحرافه خطراً ماحقاً ـ كثورة الإمام الحسين(عليه السلام) ضد يزيد بن معاوية ـ وإن كلّفهم ذلك حياتهم وقد عملوا للحدّ من انحراف الحكام عن طريق إيجاد المعارضة المستمرة ودعمها بشكل وآخر من أجل زعزعة القيادة المنحرفة بالرغم من دعمهم للدولة الإسلامية بشكل غير مباشر حينماكانت تواجه خطراً ماحقاً أمام الكيانات الكافرة.

أهل البيت(عليهم السلام) وتربية الأمة

وكان للأئمّة الأطهار(عليهم السلام) نشاط مستمر في مجال تربية الأُمّة عقائدياً وأخلاقياً وسياسياً وذلك من خلال تربية الأصحاب العلماء وبناء الكوادر العلمية والشخصيات النموذجية التي تقوم بمهامّ كبيرة مثل نشر الوعي والفكر الإسلامي وتصحيح الأخطاء المستجدة في فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيارات الفكرية السياسية المنحرفة أو الشخصيات العلمية المنحرفة التي كان يوظّفها الحاكم المنحرف لدعم زعامته.

وحيث كان الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) يُشكّلون النموذج الحيّ للزعامة الصالحة، عملوا على تثقيف الأُمة ورفع درجة وعيها بالنسبة لإمامتهم وزعامتهم ومرجعيتهم العامة.

وهكذا تفاعل الأئمة(عليهم السلام) مع الأُمة ودخلوا الى أعماق ضمير الأُمة وارتبطوا بها وبكل قطّاعاتها بشكل مباشر وتعاطفوا مع قطاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان يتمتع بها ائمة أهل البيت(عليهم السلام) على مدى قرون لم يحصل عليها أهل البيت صدفة أو لمجرد الانتماء لرسول الله(صلى الله عليه وآله)؛ وذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولم يكن يحظى بهذا الولاء؛ لأن الأُمّة لا تمنح على الأغلب الزعامة مجاناً ولا يملك الفرد قيادتها وميل قلوبها من دون عطاءٍ سخيّ منه في مختلف مجالات اهتمام الأُمّة ومشاكلها وهمومها.

سلامة النظرية الإسلامية

وهكذا خرج الإسلام علىٰ مستوىٰ النظرية سليماً من الانحراف وإن تشوّهت معالم التطبيق من خلال الحكّام المنحرفين، وتحولت الأُمّة إلىٰ أُمّة عقائدية تقف بوجه الغزو الفكري والسياسي الكافر حتى استطاعت أن تسترجع قدرتها وروحها علىٰ المدىٰ البعيد كما لاحظناه في هذا القرن المعاصر بعد عصور الانهيار والتردي حيث بزغ نور الإسلام من جديد ليعود بالبشرية الى مرفأ الحق التليد.

وقد حقق الأئمة المعصومون(عليهم السلام) كل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البليغ بتربية الجماعة الصالحة التي تؤمن بهم وبإمامتهم فأشرفوا علىٰ تنمية وعيها وإيمانها من خلال التخطيط لسلوكها وحمايتها باستمرار وإسعافها بكل الأساليب التي كانت تساعد علىٰ ثباتها في خضمّ المحن وارتفاعها إلىٰ مستوىٰ جيش عقائدي رسالي يعيش هموم الرسالة ويعمل علىٰ صيانتها ونشرها وتطبيقها ليل نهار.

مراحل الحركة الرسالية للائمّة الراشدين (عليهم السلام)

وإذا رجعنا إلىٰ تاريخ أهل البيت(عليهم السلام) والظروف التي كانت قد أحاطت بهم ولاحظنا سيرتهم ومواقفهم العامة والخاصة استطعنا أن نصنّف ظروفهم ومواقفهم إلىٰ مراحل وعصور ثلاثة يتميز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراكهم في كثير من الظروف والمواقف ولكن الأدوار تتنوع باعتبار مجموعة الظواهر العامّة التي تشكل خطّاً فاصلاً ومميزاً لكل عصر.

فالمرحلة الأُولىٰ من حياة الأئمة(عليهم السلام) وهي (مرحلة تفادي صدمة

الانحراف) بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) تجسّدت في سلوك ومواقف الأئمّة الأربعة: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين(عليهم السلام) فقاموا بالتحصينات اللازمة لصيانة العناصر الأساسية للرسالة وإن لم يستطيعوا القضاء على القيادة المنحرفة. لكنهم استطاعوا كشف زيفها والمحافظة على الرسالة الإسلامية نفسها. وبالطبع إنهم لم يهملوا الأُمّة أو الدولة الإسلامية بشكل عام من رعايتهم واهتماماتهم فيما يرتبط بالكيان الاسلامي والأُمّة المسلمة فضلاً عن سعيهم البليغ في بناء وتكوين الكتلة الصالحة المؤمنة بقيادتهم.

وتبدأ المرحلة الثانية بالشطر الثاني من حياة الإمام السجاد السياسية حتى الإمام الكاظم(عليه السلام) وتتميز بأمرين أساسيين:

الأوّل منهما: يرتبط بالخلافة المزيّفة، فقد تصدى هؤلاء الأئمّة لتعريتها عن التحصينات التي بدأ الخلفاء يحصّنون بها أنفسهم من خلال دعم وتأييد طبقة من المحدّثين والعلماء (وهم وعّاظ السلاطين) لهؤلاء الخلفاء وتقديم صنوف التأييد والولاء لهم من أجل إسباغ الصبغة الشرعية على زعامتهم بعد أن استطاع الأئمّة في المرحلة الاولى أن يكشفوا زيف خط الخلافة ويشعروا الأُمّة بمضاعفات الانحراف الذي حصل في مركز القيادة بعد الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله).

والثاني منهما: يرتبط ببناء الجماعة الصالحة والذي أُرسيت دعائمه في المرحلة الاولى، فقد تصدى الأئمّة المعصومون في هذه المرحلة إلى تحديد الاطار التفصيلي وإيضاح معالم الخط الرسالي الذي اؤتمن الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) عليه، والذي تمثّل في تبيين ونشر معالم النظرية الإسلامية وتربية عدة أجيال من العلماء على أساس الثقافة الإسلامية التي استوعبها الأئمة الأطهار في قبال الخط الثقافي الذي استحدثه وعّاظ السلاطين.

هذا فضلاً عن تصديهم لدفع الشبهات وكشف زيف الفرق التي استحدثت من قبل خط الخلافة أو غيره.

والأئمّة في هذه المرحلة لم يتوانوا عن زعزعة الزعامات والقيادات المنحرفة من خلال دعم بعض الخطوط المعارِضة للسلطة ولاسيما بعض الخطوط الثورية منها والتي كانت تتصدىٰ لمواجهة من تربّع على كرسيّ خلافة الرسول(صلى الله عليه وآله) بعد ثورة الإمام الحسين(عليه السلام).

وأما المرحلة الثالثة من حياة الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) فهي تبدأ بشطر من حياة الإمام الكاظم(عليه السلام) وتنتهي بالإمام المهدي(عليه السلام) فإنهم بعد وضع التحصينات اللازمة للجماعة الصالحة ورسم المعالم والخطوط التفصيلية لها عقائدياً واخلاقياً وسياسيّاً في المرحلة الثانية قد بدا للخلفاء أن قيادة أهل البيت(عليهم السلام) أصبحت بمستوىٰ تسلّم زمام الحكم والعودة بالمجتمع الإسلامي إلىٰ حظيرة الإسلام الحقيقي، مما خلّف ردود فعل للخلفاء تجاه الأئمّة(عليهم السلام)، وكانت مواقف الأئمّة تجاه الخلفاء تختلف تبعاً لنوع موقف الخليفة تجاههم وتجاه قضيتهم.

وأما فيما يرتبط بالجماعة الصالحة التي أوضحوا لها معالم خطها فقد عمل الأئمّة(عليهم السلام) علىٰ دفعها نحو الثبات والاستقرار والانتشار من جهة لتحصينها من الانهيار، واعطائها درجة من الاكتفاء الذاتي من جهة أُخرىٰ.

وكان يقدّر الأئمّة أنهم بعد المواجهة المستمرة للخلفاء سوف لا يُسمح لهم بالمكث بين ظهرانيهم وسوف لن يتركهم الخلفاء أحراراً بعد أن تبين زيفهم ودّجلهم واتضحت لهم المكانة الشعبية للأئمّة المعصومين الذين كانوا يمثّلون الزعامة الشرعية والواقعية للأُمّة الإسلامية.

ومن هنا تجلّت ظاهرة تربية الفقهاء بشكل واسع ثم ارجاع الناس اليهم

وتدريبهم على مراجعتهم للعلماء السائرين على خط أهل البيت(عليهم السلام) في كل قضاياهم وشؤونهم العامة تمهيداً للغيبة التي لا يعلم مداها إلّا الله سبحانه والتي أخبر الرسول(صلى الله عليه وآله) عن تحققها وأملت الظروف عليهم الانصياع اليها.

وبهذا استطاع الأئمة(عليهم السلام) ـ ضمن تخطيط بعيد المدى ـ أن يقفوا بوجه التسلسل الطبيعي لمضاعفات انحراف القيادة الإسلامية والتي كانت تنتهي بتنازل الأُمّة عن الإسلام الصحيح وبالتالي ضمور الشريعة وانهيار الرسالة الالهية بشكل كامل.

موقع الإمام الهادي(عليه السلام) في عملية التغيير الشاملة

والإمام علي بن محمد الهادي(عليه السلام) يصنّف في هذه المرحلة الثالثة من مراحل حركة أهل البيت(عليهم السلام) فهو قد مارس نشاطاً مكثّفاً لإعداد الجماعة الصالحة للدخول الى دور الغيبة المرتقب، وتحصين هذا الخط ضد التحدّيات التي كانت توجّه إليه باستمرار.

وسوف نقف على تفاصيل مواقف الإمام الهادي(عليه السلام) ونشاطاته وإنجازاته التي اختصّ بها عصره بعد التعرّف على ملامح عصره وأهم الظروف التي كانت تحيط به وبشيعته وبالأُمة الإسلامية جميعاً ضمن الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

عصر الإمام علي بن محمّد الهادي (عليه السلام)

تحدثنا عن المرحلة الأُولى من حياة الإمام الهادي(عليه السلام) في ظلال والده الإمام محمد الجواد(عليه السلام) وقد كانت فترة قصيرة جداً لم تتجاوز ثماني سنين ـ على أكثر التقادير ـ وقد قضاها في المدينة المنورة، وكان في شطر منها بعيداً عن والده، وذلك لأن المعتصم العباسي قد استدعاه في سنة (٢١٨ هـ) الى بغداد.

والمرحلة الثانية من حياة الإمام الهادي(عليه السلام) تناهز أربعاً وثلاثين سنة حيث تحمّل فيها أعباء منصب الإمامة منذ سنة (٢٢٠ هـ) الى سنة (٢٥٤هـ) واستمرت (٣٤ سنة).

وعاصر فيها كلاًّ من: المعتصم(٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ) والواثق(٢٢٧ ـ ٢٣٢ هـ). والمتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ) والمنتصر (٢٤٧ ـ ٢٤٨ هـ) والمستعين (٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ). والمعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ).

المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ)

هو محمد بن الرشيد، ولد سنة (١٨٠ أو ١٧٨)، واستولى على كرسي الخلافة سنة (٢١٨ هـ) أُمه ماردة كانت أحظى الناس عند الرشيد. وقالوا عنه: انّه كان ذا شجاعة وقوة وهمّة وكان عرياً من العلم. وكان إذا غضب لا يبالي من

قتل، وكان من أشدّ الناس بطشاً، كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره.

وهو أوّل خليفة أدخل الأتراك الديوان وكان يتشبّه بملوك الأعاجم ويمشي مشيتهم، وبلغت غلمانه الأتراك بضعة عشر ألفاً.

وهجاه دعبل الخزاعي بالأبيات التالية:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ... ولم يأتنا في ثامنٍ منهم الكُتُبُ
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة ... غداة ثَوَوْا فيه وثامنهم كلب
وإنّي لأزهى كلبهم عنك رغبةً ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم ... وصيف واشناس وقد عظم الخطب

وسار على ماكان عليه المأمون من امتحان الناس بخلق القرآن وقاسى الناس منه مشقة في ذلك وقتل عليه خلقاً من العلماء وضرب الإمام أحمد بن حنبل في سنة عشرين ومائتين. وفيها تحوّل المعتصم من بغداد وبنى سرّ من رأىٰ بعد أن اعتنى باقتناء الترك وبذل الأموال الطائلة فيهم حتى ألبسهم الديباج ومناطق الذهب وأصبحوا يؤذون الناس ببغداد حتى هدّده أهل بغداد بمحاربته إن لم يخرجهم منها، ولهذا بنى سامراء وأخرجهم من بغداد.

وغزا المعتصم الروم سنة (٢٢٣ هـ) و فتح عمورية ومات في ربيع الأوّل سنة (٢٢٧ هـ) ودامت حكومة المعتصم ثماني سنين وثمانية أشهر.

الإمام الهادي (عليه السلام) والمعتصم العباسي

بعد اغتيال الإمام الجواد (عليه السلام) من قبل المعتصم عهد المعتصم إلىٰ عمر بن الفرج أن يشخص بنفسه إلىٰ المدينة ليختار معلماً لأبي الحسن الهادي (عليه السلام) البالغ من العمر آنذاك ست سنين وأشهراً، وقد عهد إليه ان يكون المعلم معروفاً بالنصب والانحراف عن أهل البيت (عليهم السلام) ليغذيه ببغضهم.

ولما انتهى عمر إلى يثرب التقى بالوالي وعرّفه بمهمته فأرشده الوالي وغيره إلى الجنيدي الذي كان شديد البغض للعلويين، فأرسل خلفه وعرّفه بالأمر فاستجاب له بعد أن عيّن له راتباً شهرياً ، وعهد إليه أن يمنع الشيعة من زيارته والاتصال به.

بادر الجنيدي الى ماكان أُمر به من مهمة تعليم الإمام(عليه السلام) إلّا انه قد ذهل لماكان يراه من حدّة ذكائه ، والتقى محمد بن جعفر بالجنيدي فقال له :« ما حال هذا الصبي الذي تؤدبه ؟» فأنكر الجنيدي ذلك وراح يقول :

« أتقول : هذا الصبي ؟!! ولا تقول هذا الشيخ؟ انشدك بالله هل تعرف بالمدينة من هو أعرف مني بالأدب والعلم ؟ » .

قال : لا .

فقال الجنيدي: « إني والله لأذكر الحرف في الأدب ، وأظن أني قد بالغت ، ثم إنه يملي أبواباً استفيده منه ، فيظن الناس اني أُعلمه ، وأنا والله أتعلّم منه » .

وانطوت الأيام فالتقى محمد بن جعفر مرة أخرى بالجنيدي ، فقال له : ما حال هذا الصبي ؟

فأنكر عليه الجنيدي ذلك وقال : « دع عنك هذا القول ، والله تعالى لهو خير أهل الأرض ، وأفضل من برأه الله تعالى ، وإنه لربما همّ بدخول الحجرة فأقول له : حتى تقرأ سورة ، فيقول: أيّ سورة تريد أن أقرأها ؟ فاذكر له السور الطوال ما لم يبلغ إليها فيسرع بقراءتها بما لم أسمع أصح منها ، وكان يقرأها بصوت أطيب من مزامير داود، انه حافظ القرآن من أوله إلى آخره ، ويعلم تأويله وتنزيله .

وأضاف الجنيدي قائلاً: هذا الصبي صغير نشأ بالمدينة بين الجدران السود فمن أين عَلِم هذا العلم الكبير؟ يا سبحان الله !!

ثم نزع عن نفسه النصب لأهل البيت (عليهم السلام) ودان بالولاء لهم واعتقد بالامامة »[١].

لقد كان لأدب الإمام الهادي (عليه السلام) وحسن تعامله مع معلمه «الناصبي» أثر كبير في تحوله الاعتقادي وايمانه بزعامة أهل البيت (عليهم السلام).

ثمّ إنّ الجنيدي نفسه صرّح لغيره أنه تعلم من الإمام(عليه السلام) ولم يأخذ الإمام(عليه السلام) العلم منه ، وتلك خاصة للإمام وآبائه (عليهم السلام) ، فإنّ الإمام الرضا(عليه السلام) لما سُئل عن الخلف بعده أشار إلى الإمام الجواد(عليه السلام) وهو صغير ربّما في عمرٍ كعمر الإمام الهادي(عليه السلام)، واحتج الرضا (عليه السلام) بقوله تعالىٰ: ﴿ **وآتيناه الحكم صبياً** ﴾ فالصغر والكبر ليس مورداً للإشكال فإن الله سبحانه جعل الامامة امتداداً للنبوة لتقتدي الناس بحملة الرسالة فهم القيّمون عليها والمجسّدون لها تجسيداً كاملاً ليتيسّر للناس تطبيق أحكام الله تعالى بالاقتداء بالائمة(عليهم السلام) .

وتعكس لنا هذه الرواية الاهتمام المبكر من قبل المعتصم بالامام الهادي(عليه السلام) من أجل تطويق تحركه وعزله عن شيعته ومريديه كما يتضح ذلك من أمره بأن يمنع اتصال الشيعة به. يُضاف الى ذلك أن المبادرة لتعليم الإمام في سن مبكّرة لا يبعد أن يكون للتعتيم على علم الإمام وهو في هذا العمر كما حدث لأبيه الجواد(عليه السلام) حين تحدّى كبار العلماء ولم يعهد منه أنه كان قد تعلّم عند أحد.

---

(١) مآثر الكبراء في تاريخ سامراء : ٣ / ٩١ ـ ٩٥.

فهذا الإسراع يعدّ محاولة للحيلولة دون بزوغ اسم الإمام الهادي(عليه السلام) وسطوع فضله عند الخاص والعام. لأنّ ما سوف يصدر منه يمكن أن يُنسب الى معلّمه ومربّيه.

غير أن الإمام(عليه السلام) بخلقه وهدوئه استطاع أنّ يفوّت الفرصة على الخليفة وبلاطه ويُظهر للناس علمه وإمامته التي عيّنها الله له.

الواثق (٢٢٧ـ ٢٣٢ هـ)

هو هارون بن المعتصم، أُمه رومية، ولد في شعبان (١٩٦ هـ) واستولى على الخلافة في ربيع الأوّل (٢٢٧ هـ). وفي سنة (٢٢٨ هـ) استخلف على السلطة أشناس التركي وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجاً مجوهراً.

وكان كثير الأكل جداً حتى قال ابن فهم: أنه كان يأكل في خوانٍ من ذهب وكان يحمل كل قطعة منه عشرون رجلاً.

وكان الواثق كأسلافه الحاكمين في الإسراف وقضاء الوقت باللهو والمفاسد.

وقيل عنه أنّه كان وافر الأدب مليح الشعر ، وكان أعلم الخلفاء بالغناء ، وله اصوات وألحان عملها نحو مائة صوت وكان حاذقاً بضرب العود ، راوية للأشعار والأخبار.

وكان يحب خادماً له أهدي له من مصر فأغضبه الواثق يوماً ثم انه سمعه يقول لبعض الخدم: والله انه ليروم ان أكلمه ـ اي الواثق ـ من أمس فما أفعل، فقال الواثق في ذلك شعراً :

يا ذا الذي بعد أبي ظل مختفراً ما أنت إلّا مليك جاد إذ قدرا

لولا الهوىٰ لتحاربنا على قدر وان اقف منه يوماً فسوف ترىٰ[١]

وفي سنة (٢٢٩ هـ) حبس الواثق كتّاب دولته وألزمهم أموالاً عظيمة، فأخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف دينار ومن سليمان بن وهب ـ كاتب ايتاخ ـ اربعمائة ألف دينار، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار، ومن ابراهيم بن رباح وكتّابه مائة ألف دينار، ومن أحمد بن الخصيب مليوناً من الدنانير، ومن نجاح ستين ألف دينار، ومن أبي الوزير مائة وأربعين ألف دينار[٢].

فكم كان مجموع ثرواتهم بحيث أمكنهم دفع تلك الضرائب؟

وإذا كانت هذه ثروة الكاتب العادي، فكم هي ثروة الوزير نفسه؟

ولعلّ من نافلة القول أن هذه الأموال إنّما اجتمعت عند هؤلاء على حساب سائر أبناء الأُمة الإسلامية الذين كانوا يعانون من الفقر وحياة التقشّف التي أنتجها الظلم الى جانب التفاضل الطبقي الفاحش.

الإمام الهادي (عليه السلام) وبغا الكبير

وفي سنة (٢٣٠ هـ) أغار الأعراب من بني سليم على المدينة ونهبوا الأسواق وقتلوا النفوس، ولم يفلح حاكم المدينة في دفعهم حتى ازداد شرّهم واستفحل فوجّه إليهم الواثق بغا الكبير ففرّقهم وقتل منهم وأسر آخرين وانهزم الباقون[٣].

وللإمام حين ورود بغا بجيشه الى المدينة موقف تجدر الإشارة اليه، فإنّ

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٤٣ ـ ٣٤٥.

(٢) الكامل في التاريخ: ٥/٢٦٩.

(٣) الكامل في التاريخ: ٥/٢٧٠.

أبا هاشم الجعفري يقول: كنت بالمدينة حين مر بها بغا أيام الواثق في طلب الأعراب.

فقال أبو الحسن (عليه السلام): **أخرجوا بنا حتى ننظر الى تعبئة هذا التركي.** فخرجنا فوقفنا فمرّت بنا تعبئته فمرّ بنا تركي فكلّمه أبو الحسن (عليه السلام) بالتركية فنزل عن فرسه فقبّل حافر دابته، قال (أبو هاشم) فحلّفت التركي وقلت له: ما قال لك الرجل؟ فقال: هذا نبيّ؟ قلت: ليس هذا بنبيّ. قال: دعاني باسم سُمّيت به في صغري في بلاد الترك ما علمه أحد الساعة[1].

وهذه الوثيقة التاريخية تتضمن بيان مجموعة من فضائل الإمام الهادي (عليه السلام) وكمالاته واهتماماته العسكرية والتربوية لأصحابه، وتشجيعه لبغا الذي واجه هذا الهجوم التخريبي للأعراب على مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله).

وبالاضافة الى كرامات الإمام (عليه السلام) المتعددة لا تستبعد أن يكون الإمام (عليه السلام) قد استفاد من هذه الفرصة لكسب فرد في جيش بغا إذ بامكانه أن يكون حامل صورة ايجابية ورسالة خاصة عن الإمام (عليه السلام) يمكنه ايصالها في الموقع المناسب الى قائده بغا. وسوف نرى مواقف خاصة لبغا تجاه الإمام الهادي (عليه السلام) في المستقبل الذي ينتظره، فضلاً عن موقف له مع أحد الطالبيين بعد أن حاول قتل عامل المعتصم فتمرّد بغا على أمر المعتصم ولم يلق هذا الطالبي الى السباع[2]. ومن هنا قال المسعودي عنه: كان بغا كثير التعطّف والبر على الطالبيين.

---

(١) أعلام الورى: ٣٤٣.

(٢) مروج الذهب: ٧٦/٤.

الواثق ومحنة خلق القرآن

وامتحن الواثق الناس في قضية خلق القرآن فكتب إلىٰ القضاة أن يفعلوا ذلك في سائر البلدان وأن لا يجيزوا إلّا شهادة من قال بالتوحيد، فحبس بهذا السبب عالماً كثيراً.

وفي سنة احدىٰ وثلاثين [بعد المائتين] ورد كتاب إلىٰ أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن ، وكان قد تبع أباه في ذلك ثم رجع في آخر أمره.

وفي هذه السنة قتل احمد بن نصر الخزاعي وكان من اهل الحديث وقد استفتىٰ الواثق جماعة من فقهاء المعتزلة بقتله فأجازوا له ذلك ، وقال: إذا قمت إليه فلا يقومن أحد معي فإني أحتسب خطاي إلىٰ هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ، ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد فمشىٰ إليه فضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه إلىٰ بغداد فصلب بها ، وصليت جثته في سرّ من رأىٰ، واستمر ذلك ست سنين إلىٰ ان ولي المتوكل فأنزله ودفنه ، ولما صلب كتب ورقة وعلقت في أذنه فيها : «هذا رأس احمد ابن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون إلىٰ القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبىٰ إلّا المعاندة فعجله الله إلىٰ ناره» ووكل بالرأس من يحفظه.

وفي هذه السنة استفك من الروم الفاً وستمائة أسير مسلم فقال ابن داود ـ قبحه الله ـ ! من قال من الاسارىٰ « القرآن مخلوق » خلصوه واعطوه

دينارين ومن امتنع دعوه في الاسر[١].

قال الخطيب: كان احمد بن أبي داود قد استولى على الواثق وحمله على التشدد في المحنة ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن.

ومن جملة من شملهم ظلم الواثق أبو يعقوب بن يوسف بن يحيى البوطي صاحب الشافعي الذي مات سنة (٢٣١ هـ) محبوساً في محنة الناس بالقرآن، ولم يجب إلى القول بأنه مخلوق وكان من الصالحين[٢].

وجيء بأبي عبدالرحمن عبدالدين محمد الآذرمي (شيخ أبي داود والنسائي) مقيّداً الى الواثق وابن أبي داود حاضر، فقال له: أخبرني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس إليه، أعلمه رسول الله ﷺ فلم يَدعُ الناس إليه أم شيء لم يعلمه؟ فقال ابن أبي داود: بل علمه. فقال: فكان يسعه أن لا يدعو الناس إليه وأنتم لا يسعكم؟ قال: فبهتوا وضحك الواثق وقام قابضاً على فمه ودخل بيتاً ومدّ رجليه وهو يقول: وسع النبي ﷺ أن يسكت عنه ولا يسعنا! فأمر له أن يعطى ثلاثمائة دينار وأن يرد الى بلده ولم يمتحن أحداً بعدها ومقت ابن أبي داود من يومئذٍ.

وعن يحيى بن أكثم: ما أحسن أحد الى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير[٣].

---

(١) يراجع تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣، وتاريخ الخلفاء: ٤٠١.

(٢) تاريخ ابن الوردي: ١ / ٣٣٥.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٣٤٢.

موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من مسألة خلق القرآن

لقد عمت الأمة فتنة كبرىٰ زمن المأمون والمعتصم والواثق بامتحان الناس بخلق القرآن وكانت هذه المسألة مسألة يتوقف عليها مصير الأمة الإسلامية ، وقد بيّن الإمام الهادي (عليه السلام) الرأي السديد في هذه المناورة السياسية التي ابتدعتها السلطة فقد روي عن محمد بن عيسىٰ بن عبيد اليقطين أنه قال: كتب علي بن محمد بن علي بن موسىٰ الرضا (عليه السلام) إلىٰ بعض شيعته ببغداد :

«بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فاعظم بها نعمة وإلّا يفعل فهي الهلكة. نحن نرىٰ ان الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فتعاطىٰ السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه ، وليس الخالق إلّا الله وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالّين. جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»(١).

إخبار الإمام الهادي (عليه السلام) بموت الواثق

كان الإمام الهادي (عليه السلام) يتابع التطورات السياسية ويرصد الأحداث بدقة. فعن خيران الخادم قال : قدمت علىٰ أبي الحسن (عليه السلام) المدينة فقال لي : **ما خبر الواثق عندك ؟** قلت : جعلت فداك خلفته في عافية، انا من أقرب الناس عهداً به، عهدي به منذ عشرة أيام قال : فقال لي : **ان اهل المدينة يقولون انّه مات**، فلما ان قال لي : (الناس)، علمت انه هو ، ثم قال لي : **ما فعل جعفر ؟**

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق : ٤٨٩ .

قلت: تركته أسوء الناس حالاً في السجن، فقال : **أما إنه صاحب الأمر. ما فعل ابن الزيات** ؟ قلت: جعلت فداك الناس معه والأمر أمره. فقال : **اما انه شؤم عليه.** ثم سكت وقال لي : **لا بد ان تجري مقادير الله تعالى واحكامه. يا خيران ، مات الواثق وقد قعد المتوكل جعفر وقد قتل ابن الزيات.** فقلت : متى جعلت فداك ؟ قال : **بعد خروجك بستة أيام**[1].

وهذه الرواية دون شك تظهر لنا حدّة الصراع والتنافس على السلطة داخل الأُسرة العباسية الحاكمة ،كما تظهر لنا مدى متابعة الإمام (عليه السلام) للاوضاع العامة والسياسية أولاً بأول. واهتمامه الكبير هذا يوضح مستوى الحالة السياسية التي كانت تعيشها قواعد الإمام (عليه السلام) الشعبية ومواليه، فكان يوافيهم بمآل الاحداث السياسية ، ليكونوا على حذر أولاً؛ وليتمّي قابلياتهم في المتابعة وتحليل الظواهر ثانياً.

المتوكّل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ)

هو جعفر بن المعتصم بن الرشيد، اُمّه اُم ولد اسمها شجاع. أظهر الميل الى السنّة، ورفع المحنة وكتب بذلك الى الآفاق سنة (٢٣٤ هـ)، واستقدم المحدّثين الى سامرّاء وأجزل عطاياهم وأمرهم أن يحدّثوا بأحاديث الصفات والرؤية.

وقالوا عنه: انّه كان منهمكاً في اللذات والشراب، وكان له أربعة آلاف سُرّية (أمة يتسرّى بها). وقال علي بن الجهم: كان المتوكل مشغوفاً بقبيحة اُم المعتز، والتي كانت اُم ولد له، ومن أجل شغفه بها أراد تقديم ابنها المعتزّ على

(١) أصول الكافي: ١ / ٤٩٨ ح ١ ب ١٢٢.

ابنه المنتصر بعد أن كان قد بايع له بولاية العهد، وسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى، فكان يُحضره مجلس العامّة ويحطّ منزلته ويتهدّده ويشتمه ويتوعّده[١].

وكان المتوكل مسرفاً جداً في صرف بيت المال على الشعراء الذين يتقرّبون إليه بالمديح ـ في الوقت الذي كان عامة الناس يشتكون الفقر والحاجة ـ حتى قالوا: ما أعطى خليفة شاعراً ما أعطى المتوكّل، وفيه قال مردان ابن أبي الجنوب:

فامسِك ندى كفّيك عني ولا تزد   فقد خفتُ أن أطغى وأن اتجبّرا

فقال المتوكل: لا أمسك حتى يغرقك جودي، وكان قد أجازه على قصيدة بمائة ألف وعشرين ألفاً[٢].

ولعلّ من وصف المتوكل بالجود سوف يتراجع عن وصفه إذا سمع أن المتوكّل قال للبحتري: قُل فيّ شعراً وفي الفتح بن خاقان، فإني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي ولا يفقدني، فقل في هذا المعنى، فقال البحتري:

يا سيّدي كيف أخلفتَ وعدي   وتثاقلت عن وفاءٍ بعهدي؟
لا أرتني الأيام فقدك يا فتـ   ـحُ ولا عرّفتك ما عشتَ فقدي
أعظم الرزء أن تقدّمَ قبلي   ومن الرزء أن تؤخّر بعدي
حذراً أن تكون إلفاً لغيري   إذ تفرّدت بالهوى فيك وحدي

وقد قتل المتوكل والفتح بن خاقان في مجلس لهوهما في ساعة واحدة وفي جوف الليل في الخامس من شوّال سنة (٢٤٧ هـ) كما سوف يأتي بيانه.

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

الإمام الهادي (عليه السلام) والمتوكل العباسي

وقد عُرف المتوكل ببغضه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولآل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم ، ففي سنة (٢٣٦ هـ) أمر بهدم قبر الإمام الحسين(عليه السلام) وهدم ما حوله من الدور. ومنع الناس من زيارته وأمر بمعاقبة من يتمرّد على المنع.

قال السيوطي: وكان المتوكّل معروفاً بالتعصّب فتألّم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء. فمما قيل في ذلك:

بالله إن كانت أُمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمري قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما[١]

ولم يقف المتوكّل عند حدّ في عدائه ونصبه لأهل البيت(عليهم السلام) وايذاء شيعتهم فقد قتل معلّم أولاده إمام العربية يعقوب ابن السكّيت حين سأله: من أحب إليك؟ هما ـ يعني ولديه المعتز والمؤيد ـ أو الحسن والحسين؟ فقال ابن السكّيت: قنبر ـ يعني مولى علي ـ خير منهما، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات، وقيل أمر بسلّ لسانه فمات، وذلك في سنة (٢٤٤ هـ)[٢].

وأهم حدث في زمن المتوكّل فيما يخص حياة أهل البيت(عليهم السلام) بحيث يكشف عمّا وصل إليه الرأي العام الإسلامي من التوجه إليهم والاهتمام بهم في الوقت الذي كان العباسيون يفقدون فيه موقعهم في النفوس هو حدث

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٣٤٧.
(٢) تاريخ الخلفاء: ٣٤٨.

إشخاص المتوكّل للإمام علي الهادي (عليه السلام) من مدينة جدّه ووطنه الى سجون سرّ من رأى بعيداً عن حواضر العلم والدين والأدب.

ففي سنة (٢٣٤ هـ) أي بعد سنتين[1] من سيطرته على كرسي الخلافة أمر المتوكل يحيىٰ بن هرثمة بالذهاب إلىٰ المدينة والشخوص بالإمام إلىٰ سامراء، وكانت للإمام (عليه السلام) مكانة رفيعة بين أهل المدينة، ولمّا همّ يحيىٰ بإشخاصه اضطربت المدينة وضج اهلها كما ينقل يحيىٰ نفسه، حيث قال: دخلت المدينة فضج أهلها ضجيجاً عظيماً، ما سمع الناس بمثله خوفاً علىٰ علي -اي الإمام الهادي (عليه السلام)- وقامت الدنيا علىٰ ساق، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً المسجد، لم يكن عنده ميل إلىٰ الدنيا فجعلت أسكتهم، وأحلف لهم أني لم أومر فيه بمكروه وأنه لا بأس عليه ثم فتشت منزله فلم أجد إلّا مصاحف وأدعية، وكتب علم، فعظم في عيني[2].

ونستفيد من هذه الرواية أموراً منها:

١ ـ قوة تأثير الإمام الهادي (عليه السلام) وانشداد الناس إليه وتعلقهم به لكثرة احسانه إليهم، ولأنه يجسّد الرسول والرسالة في هديه وسلوكه.

٢ ـ خشية السلطة العباسية من تعاظم أمر الإمام (عليه السلام) ومن سهولة اتصال الجماعة الصالحة به، وإشخاصه إلىٰ سامراء يعتبر إبعاداً له عنهم ومن ثم يمكن وضعه تحت المراقبة الشديدة.

٣ ـ تأثر قائد الجيش العباسي - يحيىٰ بن هرثمة - بالامام (عليه السلام) وتعظيمه له؛ لكذب الاتهامات حوله بالنسبة لعدّ العدة والسلاح للاطاحة

---

(١) أن تاريخ الرسالة التي استقدم بها المتوكل الإمام الهادي (عليه السلام) على ما في جملة من المصادر هو سنة (٢٤٤ هـ) وليس (٢٣٤ هـ)، ويشهد لذلك ما صرّح به الشيخ المفيد (قدس سره) من أن مدّة إقامة الإمام الهادي بسرّ من رأى عشر سنين وأشهراً، وحيث استشهد في سنة (٢٥٤ هـ) فيظهر من ذلك أن استقدامه كان سنة (٢٤٤ هـ) أي بعد اثنتي عشرة سنة من حكم المتوكّل، وهو غير بعيد.

(٢) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ٢٠٣.

بالخليفة العباسي.

٤ ـ عزوف الإمام (عليه السلام) عن الدنيا وملازمة المسجد متخذاً من سيرة آبائه نبراساً له، ومن المسجد طريقاً لبث علوم أهل البيت (عليهم السلام) وتصحيح معتقدات الأُمة .

٥ ـ عزل الإمام (عليه السلام) عن شيعته ومحبيه، فسامراء مدينة أسسها المعتصم العباسي وكانت تسكنها غالبية تركية (قوّاد وجنود) ولم يكونوا يعبؤون بالدين والقيم قدر اهتمامهم بالسيطرة والسلطة .

الوشاية بالامام (عليه السلام)

يبدو من بعض المصادر أن أحد أسباب إشخاص المتوكّل العباسي للإمام الهادي(عليه السلام) الى سامراء هو وشاية إمام الحرمين الذي كان معروفاً بالنصب لأهل البيت(عليهم السلام) وقد كانت هذه الوشايات متتابعة ومتكررة وهذا دليل على عدم الارتياح لتواجد الإمام الهادي(عليه السلام) بالمدينة وتأثيره الكبير على الحرمين معاً وهما مركز الثقل العلمي والديني في الحاضرة الإسلامية. ويشهد لذلك ما قالوا: من أنه كتب بريحة العباسي[1] صاحب الصلاة بالحرمين إلىٰ المتوكل: «إن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد منهما فإنه قد دعا إلىٰ نفسه واتبعه خلق كثير».

وتابع بريحة الكتب في هذا المعنىٰ فوجّه المتوكل بيحيىٰ بن هرثمة في سنة (٢٣٤ هـ) وكتب معه إلىٰ أبي الحسن (عليه السلام) كتاباً جميلاً يعرفه انه قد اشتاقه ويسأله القدوم عليه وأمر يحيىٰ بالمسير معه كما يحب، وكتب إلىٰ بريحة

---

(١) وقيل اسمه «تريخه»، وعن الطريحي في مجمع البحرين: «بريمة»، بينما ذكر آخرون أن اسمه عبدالله بن محمد وكان يتولّى الحرب والصلاة بمدينة الرسول(صلى الله عليه وآله)، أنظر الارشاد: ٢/ ٣٠٩.

يعرّفه ذلك.

وإليك نصّ رسالة المتوكل الى الإمام الهادي(عليه السلام)، حسبما رواه الشيخ محمد بن يعقوب الكليني :

عن محمد بن يحيى ، عن بعض اصحابنا قال : اخذت نسخة كتاب المتوكل إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) من يحيى بن هرثمة في سنة ثلاث واربعين ومائتين وهذه نسخته :

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك ، راعٍ لقرابتك ، موجباً لحقّك يقدّر الأُمور فيك وفي أهل بيتك ، ما اصلح الله به حالك وحالهم وثبت به عزّك وعزّهم ، وأدخل اليُمن والأمن عليك وعليهم . يبتغي بذلك رضى ربّه وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم ، وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبدالله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة رسول الله(صلى الله عليه وآله). إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقّك واستخفافه بقدرك ، وعندما قرفك[1] به ، ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه وصدق نيّتك في ترك محاولته ، وأنّك لم تؤهل نفسك له ، وقد ولّى أمير المؤمنين ماكان يلي من ذلك محمد بن الفضل ، وأمره بإكرامك وتبجيلك ، والانتهاء إلى أمرك ورأيك والتقرب إلى الله والى أمير المؤمنين بذلك ، وأمير المؤمنين مشتاق اليك يحب إحداث العهد بك والنظر إليك .

فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما رأيت، شخصت ومن أحببت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة ترحل إذا شئت وتنزل إذا

(١) قرف: عابه أو اتهمه.

شئت ، وتسير كيف شئت، وان أحببت أن يكون يحيىٰ بن هرثمة مولىٰ أمير المؤمنين ومن معه من الجند مشيعين لك ، يرحلون برحيلك ، ويسيرون بسيرك ، والأمر في ذلك إليك حتىٰ توافي أمير المؤمنين .

فما أحد من اخوته وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منه منزلة ولا أحد له أثرة ولا هو لهم أنظر وعليهم أشفق ، وبهم أبرُّ وإليهم أسكن منه إليك إن شاء الله تعالىٰ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[١].

إنّ المتوكل قدكان يهدف في رسالته أُموراً إعلامية ودعائية أولاً تأثيراً في أهل المدينة، محاولة منه لتغيير انطباعهم من جهة فالغالبية من أهل المدينة تعرف المتوكل وعداءه لأهل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم .

وحاول ثانياً أن يُبدي للإمام الهادي(عليه السلام) انه يحترم رأيه ويقدره ويعزه لذا فقد أبدل والي المدينة بغيره ومن ثم جعل له الحرية في الشخوص إلىٰ الخليفة كيف يشاء الإمام (عليه السلام)، وتلك أساليب إن كانت تغري العامة فالإمام(عليه السلام) كان يدرك ما يرومه المتوكل ويهدف إليه في استدعائه.

وعلى أيّة حال فقد قدم يحيىٰ بن هرثمة المدينة فأوصل الكتاب إلىٰ بريحة، وركبا جميعاً إلىٰ أبي الحسن (عليه السلام) فأوصلا إليه كتاب المتوكل فاستأجلهما ثلاثاً . فلماكان بعد ثلاث عاد إلىٰ داره فوجد الدواب مسرّجة والأثقال مشدودة قد فرغ منها.

ولا نغفل عن تفتيش يحيى لدار الإمام(عليه السلام) ممّا يعني أنه كان مأموراً بذلك في الوقت الذي كان الكتاب ينفي عن الإمام أي اتهام ضدّه.

ومن هنا نعلم أن استقدام الإمام(عليه السلام) كان أمراً إلزامياً له وان كان بصيغة

(١) الكافي ١ / ٥٠١.

الاستدعاء وإلّا فلِم هذا التفتيش الذي يكشف عن وجود سوء ظن بالإمام(عليه السلام) بعد تلك الوشايات؟!

وخرج (عليه السلام) بولده الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) وهو صبي مع يحيى ابن هرثمة متوجهاً نحو العراق واتبعه بريحة مشيّعاً فلما صار في بعض الطريق قال له بريحة: قد علمت وقوفك على أني كنت السبب في حملك وعليّ حلف بأيمان مغلظة: لئن شكوتني إلى أمير المؤمنين أو أحد من خاصته وأبنائه لأجمّرنّ نخلك ولاقتلنّ مواليك ولأعورنّ عيون ضيعتك ولأفعلنّ ولأصنعنّ، فالتفت إليه أبو الحسن فقال له : **ان أقرب عرضي إياك على الله البارحة وما كنت لأعرضنك عليه ثم لأشكوك إلى غيره من خلقه.** قال: فانكبّ عليه بريحة وضرع إليه واستعفاه فقال له: **قد عفوت عنك**[1].

وأهم الاشارات ذات الدلالة في هذه الرواية: أن المتوكل أمر يحيى بن هرثمة برعاية الإمام (عليه السلام) وعدم التشديد عليه ، وقد بلغ ذلك بريحة وخشي ان يشتكيه الإمام للمتوكل ، فتوعد الإمام فعمد الإمام (عليه السلام) إلى تركيز مفهوم اسلامي وهو مسألة الارتباط بالله سبحانه ، فإنّه هو الذي ينفع ويضر ويدفع عن عباده ، لذا اجاب الإمام (عليه السلام) بريحة بأنه قد شكاه إلى الله تعالى قبل يوم من سفره وان الإمام (عليه السلام) ليس في نيته أن يشتكي بريحة عند الخليفة مما اضطر بريحة أن يعتذر من الإمام (عليه السلام) ويطلب العفو منه ، فهو يعرف منزلة الإمام وآبائه(عليهم السلام) وصلتهم الوثيقة بالله سبحانه ، فأخبره الإمام (عليه السلام) بأنه قد عفى عنه ، وكان الإمام يدرك أبعاد سلوك الخليفة إزاءه وما يرمي إليه من تفتيش داره وإشخاصه من المدينة إلى سامراء ، وإبعاده عن أهله ومواليه ومن

---

(١) اثبات الوصية : ١٩٦ ـ ١٩٧ .

ثم وضعه تحت الرقابة المشددة ومعرفة الداخلين على الإمام المرتبطين به وبالتالي ضبط كل حركات الإمام(عليه السلام) وتحرّكات قواعده، فوجوده(عليه السلام) في المدينة يعني بالنسبة للخليفة تمتع الإمام (عليه السلام) بحرية في التحرك ، فضلاً عن سهولة وتيسر سبل الاتصال به من قبل القواعد الموالية للإمام (عليه السلام) .

وقد كان الإمام (عليه السلام) في كل تحرّكاته وحتى في كتبه ووصاياه إلى شيعته يتصف باليقظة والحذر ، ومن هنا كانت الوشايات به تبوء بالفشل، وحينما كانت تكبس داره ـ كما حصل ذلك مراراً ـ لا يجد جلاوزة السلطان فيها غير كتب الأدعية والزيارات والقرآن الكريم ، حتى حينما تسوّروا عليه الدار لم يجدوه إلّا مصلّياً أو قارئاً للقرآن.

وقال ابن الجوزي: ان السبب في اشخاص الإمام (عليه السلام) من المدينة إلى سامراء ـ كما يقول علماء السير ـ هو ان المتوكل كان يبغض علياً أمير المؤمنين(عليه السلام) وذريّته وخشي تأثيره في أهل المدينة وميلهم إليه[1].

وهذا التعليل ينسجم مع كل تحفّظات الإمام(عليه السلام) تجاه السلطان.

الإمام في طريقه الى سامراء

وحاول ابن هرثمة في الطريق إحسان عِشرة الإمام(عليه السلام) وكان يرى من الإمام (عليه السلام) الكرامات التي ترشده الى عظمة الإمام ومكانته وحقيقة أمره وتوضح له الجريمة التي يرتكبها في إزعاج الإمام(عليه السلام) والتجسس عليه.

عن يحيى بن هرثمة قال: رأيت من دلائل أبي الحسن الأعاجيب في طريقنا، منها: انا نزلنا منزلاً لا ماء فيه، فأشفينا دوابنا وجمالنا من العطش على

---

(١) تذكرة الخواص : ٣٢٢.

التلف وكان معنا جماعة وقوم قد تبعونا من أهل المدينة، فقال أبو الحسن: كأنّي أعرف على أميال موضع ماء. فقلنا له: ان نشطت وتفضلت عدلت بنا إليه وكنا معك فعدل بنا عن الطريق.

فسرنا نحو ستة أميال فأشرفنا على وادٍ كأنه زهو الرياض فيه عيون وأشجار وزروع وليس فيها زراع ولا فلاح ولا أحد من الناس، فنزلنا وشربنا وسقينا دوابّنا واقمنا الى بعد العصر، ثم تزودنا وارتوينا وما معنا من القرب ورحنا راحلين فلم نبعد أن عطشت.

وكان لي مع بعض غلماني كوز فضة يشده في منطقته وقد استسقيته فلجلج لسانه بالكلام ونظرت فإذا هو قد أنسي الكوز في المنزل الذي كنا فيه فرجعت اضرب بالسوط على فرسٍ لي، جواد سريع واغد السير حتى اشرفت على الوادي، فرأيته جدباً يابساً قاعاً محلاً لا ماء ولا زرع ولا خضرة ورأيت موضع رحالنا وروث دوابنا وبعر الجمال ومناخاتهم والكوز موضوع في موضعه الذي تركه الغلام فأخذته وانصرفت ولم أعرفه شيئاً من الخبر.

فلما قربت من القطر والعسكر وجدته (عليه السلام) ينتظرني فتبسم ولم يقل لي شيئاً ولا قلت له سوى ما سأل من وجود الكوز، فأعلمته أني وجدته.

قال يحيى: وخرج في يوم صائف آخر ونحن في ضحو وشمس حامية تحرق فركب من مضربه وعليه ممطر وذنب دابته معقود وتحته لبد طويل.

فجعل كل من في العسكر وأهل القافلة يضحكون ويقولون هذا الحجازي ليس يعرف الري فسرنا أميالاً حتى ارتفعت سحابة من ناحية القبلة واظلمت واضلتنا بسرعة وأتى من المطر الهاطل كأفواه القرب فكدنا نتلف وغرقنا حتى جرى الماء من ثيابنا الى ابداننا وامتلأت خفافنا وكان أسرع وأعجل من أن يمكن أن نحط ونخرج اللبابيد، فصرنا شهرة ومازال (عليه السلام)

تبسماً ظاهراً تعجباً من أمرنا.

قال يحيى: وصارت إليه في بعض المنازل امرأة معها ابن لها أرمد العين ولم تزل تستذل وتقول معكم رجل علوي دلوني عليه حتى يرقى عين ابني هذا. فدللناها عليه، ففتح عين الصبي حتى رأيتها ولم أشك انها ذاهبة فوضع يده عليها لحظة يحرك شفتيه ثم نحاها فإذا عين الغلام مفتوحة صحيحة ما بها علة[1].

ومرّ الركب ببغداد ـ في طريقه الى سامراء ـ فقابل ابن هرثمة واليها اسحاق بن ابراهيم الطاهري فأوصاه بالإمام(عليه السلام) خيراً واستوثق من حياته بقوله: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله(صلى الله عليه وآله)، والمتوكل مَن تعلم، وإن حرّضته على قتله كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) خصمك.

فأجابه يحيى: والله ما وقفت له إلاّ على كل أمرٍ جميل[2].

وحين وصل الركب الى سامراء بدأ ابن هرثمة بمقابلة وصيف التركي ـ وهو ممّن كان يشارك في تنصيب الخليفة وعزله ومناقشته في أعماله ـ وممّا قاله وصيف ليحيى: والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل ـ ويقصد به الإمام الهادي(عليه السلام) ـ شعرة لا يكون المطالب بها غيري.

قال ابن هرثمة: فعجبت من قولهما وعرّفت المتوكّل ما وقفت عليه من حسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته وأني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وانّ أهل المدينة خافوا عليه، فأحسن جائزته وأجزل برّه[3].

---

(١) إثبات الوصية: ٢٢٥.

(٢) مروج الذهب: ٤/٨٥.

(٣) مروج الذهب: ٤/٨٥، وتذكرة الخواص: ٣٥٩.

غير أن هذا الإكرام الذي ادّعاه ابن هرثمة يتنافى مع ما أمر به المتوكل من حجب الإمام(عليه السلام) عنه في يوم وروده الى سامراء، ويزيد الأمر إبهاماً وتساؤلاً هو أمره بإنزال الإمام(عليه السلام) في مكان متواضع جداً يُدعى بخان الصعاليك(١).

قال صالح بن سعيد: دخلت على أبي الحسن(عليه السلام) فقلت له: جعلت فداك في كل الأُمور أرادوا اطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع، خان الصعاليك(٢).

وليس ببعيد أن تكون الصورة التي نقلها يحيى للمتوكل عن الإمام(عليه السلام) ومدى نفوذ شخصيته حتى عند الولاة والقوّاد مدعاةً للضغط على الإمام(عليه السلام) والسعي للتضييق الحقيقي عليه من خلال الحيلولة بينه وبين ارتباطه بقواعده وإن كان ذلك بالتظاهر بالإكرام كما نراه في النص الذي نُقل عن يحيى، ولا يغيب عن مثل يحيى مدى كره المتوكل لآل أبي طالب بشكل عام وللإمام الهادي(عليه السلام) بشكل خاص.

الإمام (عليه السلام) في سامراء

إنّ حجب المتوكل للإمام الهادي(عليه السلام) لدى وروده والأمر بإنزاله في خان الصعاليك لو لاحظناه مع ما جاء في رسالة المتوكل للإمام الهادي(عليه السلام) يحمل بين طيّاته صورة واضحة من نظرة المتوكل الى الإمام(عليه السلام). فهو لا يأبى من تحقير الإمام وإذلاله كلما سنحت له الفرصة. ولكنه كان يحاول التعتيم على ما يدور في قرارة نفسه ولهذا أمر بعد ذلك بإفراد دار له فانتقل

(١) الارشاد: ٣١٣ ـ ٣١٤.
(٢) الكافي: ١/ ٤٩٨.

العلم بأن المتوكل هو الذي كان قد استدعى الإمام(عليه السلام) وكان يعلم بقدومه عليه، ولابد أن يكون قد استعد لذلك.

وعلى أية حال فالذي يبدو من سير الأحداث أن المتوكل حاول بكل جهده ليكسب ودّ الإمام ويورّطه فيما يشتهي من القبائح التي كان يرتكبها المتوكل.

وحاول المتوكل غير مرّة إفحام الإمام(عليه السلام) بالرغم من أنه كان يضطر الى الالتجاء إليه حين كان يعجز علماء البلاط أو وعّاظ السلاطين عن تقديم الأجوبة الشافية في الموارد الحرجة.

وإليك جملة من هذه الموارد:

١ ـ إنّ نصرانياً كان قد فجر بامرأة مسلمة فأراد المتوكل أن يقيم عليه الحد فأسلم. فقال ابن الأكثم: قد هدم ايمانه شركه وفعله. وقال بعضهم يضرب ثلاثة حدود. وقال آخرون غير ذلك، فأمر المتوكل بأن يكتب الى الإمام الهادي(عليه السلام) وسؤاله عن ذلك فلما قرأ الكتاب، كتب: **يضرب حتى يموت.**

فأنكر ابن الأكثم وسائر فقهاء العسكر وطالبوا الإمام بالحجة من الكتاب والسنة فكتب(عليه السلام): **بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين * فلم يك ينفعهم ايمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾**. فأمر المتوكل فضرب حتى مات[1].

٢ ـ وحين نذر المتوكل أن يتصدّق بمال كثير واختلف الفقهاء في تحديد المال الكثير، أشار عليه أحد ندمائه بالسؤال من الإمام(عليه السلام) قائلاً: ألا تبعث الى هذا الأسود فتسأله عنه؟ فقال له المتوكل: من تعني؟ ويحك! فقال له: ابن

---

(١) الكافي: ٧/٢٣٨.

الرضا. فقال له: وهو يحسن من هذا شيئاً؟ فقال: إن أخرجك من هذا فلي عليك كذا وكذا وإلّا فاضربني مائة قرعة. فبعث من يسأل له ذلك من الإمام فأجاب الإمام بأن الكثير ثمانون. فلما سُئل عن دليل ذلك أجاب قائلاً: ﴿ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ فعددناها فكانت ثمانين (١).

إنّ هذا التنكّر من المتوكّل للإمام(عليه السلام) أو هذا التعجب من أنه قادر على الإجابة وقد عرفنا موارد منها ليشير الى مدى حقد المتوكل وتعمّده في تسقيط الإمام(عليه السلام) أمام الآخرين. ولكنه لم يفلح حتى أنه كان يبادر للتعتيم الإعلامي على فضائل الإمام(عليه السلام) ومناقبه، كما نرى ذلك بعد ردّه على اسئلة ابن الأكثم حيث قال ابن الأكثم للمتوكل: ما نحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه وانّه لا يرد عليه شيء بعدها إلّا دونها وفي ظهور علمه تقوية للرافضة(٢).

٣ـ ومن جملة القضايا التي حاول إحراج الإمام فيها قضية زينب الكذّابة حيث أمر الإمام(عليه السلام) بالنزول الى بركة السباع.

قال أبو هاشم الجعفري: ظهرت في أيام المتوكل امرأة تدّعي أنها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال المتوكّل: أنت امرأة شابة وقد مضى من وقت رسول الله(صلى الله عليه وآله) ما مضى من السنين، فقالت: إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) مسح عليّ وسأل الله أن يردّ عليّ شبابي في كل أربعين سنة، ولم أظهر للناس الى هذه الغاية فلحقتني الحاجة فصرت اليهم.

فدعا المتوكل مشايخ آل أبي طالب وولد العباس وقريش وعرّفهم حالها فروى جماعة وفاة زينب في سنة كذا، فقال لها: ما تقولين في

(١) الكافي: ٧/٤٦٣.
(٢) المناقب: ٢/٤٤٣.

هذه الرواية؟

فقالت: كذب وزور، فإنّ أمري كان مستوراً عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت، فقال لهم المتوكل: هل عندكم حجّة على هذه المرأة غير هذه الرواية؟ فقالوا: لا، فقال: هو بريء من العبّاس إن لا أنزلها عمّا ادّعت إلّا بحجة.

قالوا: فأحضر ابن الرضا(عليه السلام) فلعلّ عنده شيئاً من الحجة غير ما عندنا. فبعث إليه فحضر فأخبره بخبر المرأة فقال: **كذبت فإنّ زينب توفيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا**، قال: فإنّ هؤلاء قد رووا مثل هذه وقد حلفت أن لا أنزلها إلّا بحجّة تلزمها.

قال: **ولا عليك فههنا حجّة تلزمها وتلزم غيرها**، قال: وماهي؟ قال: **لحوم بني فاطمة محرّمة على السباع فأنزلها الى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرّها**، فقال لها: ما تقولين؟ قالت: إنّه يريد قتلي، قال: فههنا جماعة ولد الحسن والحسين(عليهما السلام) فأنزل من شئت منهم، قال: فوالله لقد تغيّرت وجوه الجميع، فقال بعض المبغضين: هو يحيل على غيره لم لا يكون هو؟

فمال المتوكل الى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع فقال: يا أبا الحسن لم لا تكون أنت ذلك؟ قال: **ذاك إليك** قال: فافعل، قال: **أفعل**. فأُتي بسلّم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسد فنزل أبو الحسن إليها فلما دخل وجلس صارت الأسود إليه فرمت بأنفسها بين يديه، ومدّت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه فجعل يمسح على رأس كل واحد منها، ثم يشير اليه بيده الى الاعتزال فتعتزل ناحية حتى اعتزلت كلّها وأقامت بازائه.

فقال له الوزير: ماهذا صواباً فبادر بإخراجه من هناك، قبل أن ينتشر

خبره فقال له: يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً وإنّما أردنا أن نكون على يقين ممّا قلت فأُحبّ أن تصعد، فقام وصار الى السلّم وهي حوله تتمسّح بثيابه.

فلمّا وضع رجله على أوّل درجة التفتت إليها وأشار بيده أن ترجع، فرجعت وصعد فقال: **كلّ من زعم أنّه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس**، فقال لها المتوكّل: انزلي، قالت: الله الله ادّعيتُ الباطل، وأنا بنت فلان حملني الضرّ على ما قلت، قال المتوكّل: ألقوها الى السباع، فاستوهبتها والدته[1].

إنّ هذه المواقف من الإمام(عليه السلام) لم تكن لتثني المتوكل عما كان يراوده من الضغط على الإمام(عليه السلام) ومحاولة تسقيطه وعزله عن عامة الناس وخواص أتباعه. وكان رصده للإمام(عليه السلام) لا يشفي غليله فكان يفتش دار الإمام (عليه السلام) بشكل مستمر وكان ذلك واحداً من أساليبه لإهانة الإمام(عليه السلام) أو طريقاً للعثور على مستمسك يسوّغ له الفتك بالإمام(عليه السلام).

تفتيش دار الإمام (عليه السلام)

لم تحقق وسائل السلطة ـ في التضييق على الإمام ومراقبته ـ أهدافها في ضبط بعض القضايا التي تؤكد صحة الوشايا بالإمام، فكثيراً ما سعى بعض المتزلفين للخليفة بالإمام (عليه السلام) وأوغروا صدره ضد الإمام (عليه السلام) واخبروا الخليفة كذباً وزوراً بأن لديه السلاح وتجبى إليه الاموال من الأقاليم، إلى غيرها من الأكاذيب التي كانت تدفع بالخليفة إلى ارسال جنده وبعض قواده إلى دار الإمام(عليه السلام) وتفتيشها، ثم استدعاء الإمام (عليه السلام) إلى بلاط المتوكل الذي كان ثملاً على مائدة شرابه، حتى أنّ المتوكل الثمل بعد أن أعظم الإمام وأجلسه إلى جانبه ناوله الكأس.

(١) بحار الأنوار: ١٤٩/٥٠.

فقال له الإمام (عليه السلام): **يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني فأعفاه.**

ثم قال له المتوكل: أنشدني شعراً.

فأجابه الإمام (عليه السلام): **اني لقليل الرواية للشعر.**

فقال له المتوكل: لا بد من ذلك.

فانشده الإمام (عليه السلام) الأبيات التالية:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القُلَلُ
واستنزلوا من بعد عزٍ من معاقلهم فاودعوا حفراً يابئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الاسرة والتيجان والحللُ
أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

فبكى المتوكل، ثم أمر برفع الشراب وقال: يا ابا الحسن أعليك دين؟ قال: نعم أربعة آلاف دينار، فدفعها إليه ورده إلى منزله مكرّماً.

ومرّة أُخرى حين مرض المتوكل من خُرّاج خرج به وأشرف منه على الهلاك، فلم يجسر أحدٌ أن يمسه بحديدة، فنذرت أُمّه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن عليّ بن محمد مالاً جليلاً من مالها وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت الى هذا الرجل فسألته فإنّه لا يخلو أن يكون عنده صفة يفرّج بها عنك.

فبعث إليه ووصف له علّته، فرّد إليه الرّسول بأن يؤخذ كسب الشاة فيداف بماء ورد فيوضع عليه. فلمّا رجع الرّسول فأخبرهم أقبلوا يهزؤون من قوله، فقال له الفتح: هو والله أعلم بما قال، وأُحضر الكسبُ وعمل كما قال ووضع عليه فغلبه النوم وسكن، ثم انفتح وخرج منه ماكان فيه وبشّرت أُمه

بعافيته، فحملت إليه عشرة آلاف دينار تحت خاتمها.

ثم استقلّ من علّته فسعى إليه البطحائي العلوي بأنّ أموالاً تحمل إليه وسلاحاً، فقال لسعيد الحاجب: اهجم عليه بالليل وخذ ما تجد عنده من الأموال والسلاح واحمله إليّ، قال إبراهيم بن محمّد: فقال لي سعيد الحاجب: صرت الى داره بالليل ومعي سلّم فصعدت السطح، فلمّا نزلت على بعض الدرج في الظلمة لم أدر كيف أصل الى الدار.

فناداني: **يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة** ، فلم ألبث أن أتوني بشمعة فنزلت فوجدته عليه جبّة صوف وقلنسوة منها وسجادة على حصير بين يديه، فلم أشكّ أنه كان يصلي، فقال لي: دونك البيوت، فدخلتها وفتّشتها فلم أجد فيها شيئاً ووجدت البدرة في بيته مختومة بخاتم أمّ المتوكل وكيساً مختوماً وقال لي: **دونك المصلّى**، فرفعته فوجدت سيفاً في جفن غير ملبس، فأخذت ذلك وصرت إليه.

فلمّا نظر الى خاتم أمّه على البدرة بعث إليها فخرجت إليه، فأخبرني بعض خدم الخاصّة أنها قالت له: كنت قد نذرت في علّتك لمّا آيست منك إن عوفيت حملت إليه من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه وهذا خاتمي على الكيس وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار.

فضمّ الى البدرة بدرة أخرى وأمرني بحمل ذلك إليه فحملته ورددت السيف والكيسين وقلت له: يا سيّدي عزّ عليّ، فقال لي: **﴿سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾**.

غير أنّ الإمام(عليه السلام) لم يأبه لكل أدوات المراقبة والتضييق عليه بل كانت أساليبه أدقّ وكان نفوذه في جهاز السلطة يمكّنه من التحرّك بالشكل الذي يراه مناسباً مع تلك الظروف .

ومما يعزز ذلك ما رواه الشيخ الطوسي (رحمه الله) بإسناده عن محمد بن الفحام، ان الفتح بن خاقان قال: قد ذكر الرجل ـ يعني المتوكل ـ خبر مال يجيء من قم، وقد أمرني أن أرصده لأخبره، فقلت له، فقل لي: من أي طريق يجيء حتى أجيئه؟ فجئت إلى الإمام علي بن محمد(عليه السلام) فصادفت عنده من احتشمه فتبسم وقال لي:

لا يكون إلّا خيراً يا ابا موسى، لِمَ لم تعد الرسالة الاولى؟

فقلت: أجللتك يا سيدي. فقال لي: **المال يجيء الليلة وليس يصلون إليه فبت عندي.**

فلما كان من الليل وقام إلى ورده قطع الركوع بالسلام وقال لي: **قد جاء الرجل ومعه المال، وقد منعه الخادم الوصول إليّ فاخرج وخذ ما معه.**

فخرجت فاذا معه زنفيلجه[1] فيها المال: فأخذته ودخلت به إليه، فقال: **قل له هات المحنقة التي قالت له القمية انها ذخيرة جدتها**، فخرجت له فأعطانيها، فدخلت بها إليه، فقال لي: **قل له الجبة التي أبدلتها منها ردّها إليها.** فخرجت إليه فقلت له ذلك، فقال: نعم كانت ابنتي استحسنتها فأبدلتها بهذه الجبة وأنا أمضي فأجيء بها.

فقال: **اخرج فقل له: ان الله يحفظ ما لنا وعلينا. هاتها من كتفك**، فخرجت الى الرجل فأخرجها من كتفه فغشي عليه، فخرج إليه (عليه السلام)، فقال له: **قد كنت شاكاً فتيقنت**[2].

وفي الرواية دلالات كثيرة لكنّ أهمّ ما يلفت النظر فيها هو:

أولاً: إن الإمام كان يعرف شك السلطة وهو آخذ حذره ومستيقظ

---

(١) معرّب رونيلجه: زنبيل صغير

(٢) امالي الشيخ الطوسي ٢٧٦ ح ٥٢٨، والمناقب ٤: ٤٤٤

ومتأهب للأمر؛ لذا أجاب من سأله عن المال بأنه سيصل ولا سبيل للمتوكل وجلاوزته عليه ، وفعلاً وصل المال سالماً .

ثانياً : إن حامل المال إلى الإمام (عليه السلام) كان يُريد ان يختبر الإمام (عليه السلام) أو يبحث عن وسيلة لليقين بإمامته (عليه السلام) لذا نجد الإمام يرشد مستلم المال إلى امور لا يعرفها إلّا حامله كالجبة التي كان قد أخفاها تحت كتفه وزاد(عليه السلام) الأمر وضوحاً بقوله: أتيقنت؟ مشيراً الى ماكان يكنّه هذا الرجل في نفسه ، وما يروم أن يصل إليه وهو معرفة الإمام بهذه الأُمور وقد أيقن واطمأن حينما أخبره رسول الإمام(عليه السلام) بماكان يضمره .

ثالثاً: إن أنصار الإمام(عليه السلام) وأتباعه كان لهم حضور فاعل في البلاط وهم عيون الإمام بدل أن يكونوا عملاء السلطة. وفيما يلي من خبر اعتقال الإمام(عليه السلام) أيضاً شواهد أُخرى على هذه الحقيقة.

اعتقال الإمام الهادي (عليه السلام)

إن المتوكّل بعد رصده الدائم للإمام وتفتيشه المستمر والمتكرّر لدار الإمام(عليه السلام) أمر باعتقال الإمام (عليه السلام) وزجّه في السجن ، فبقي فيه أياماً وجاء لزيارته صقر بن أبي دلف فاستقبله الحاجب وكانت له معرفة به ، كما كان عالماً بتشيّعه ، وبادر الحاجب قائلاً : ما شأنك ؟ وفيم جئت ؟

قال صقر: بخير.

قال الحاجب: لعلك جئت تسأل عن خبر مولاك ؟

قال صقر: مولاي أمير المؤمنين ـ يعني المتوكل ـ.

فتبسم الحاجب وقال : اسكت مولاك هو الحق (يعني الإمام الهادي(عليه السلام)) فلا تحتشمني فإني على مذهبك.

قال صقر: الحمد لله .

فقال الحاجب: تحب أن تراه؟

قال صقر: نعم.

فقال الحاجب: أُجلس حتىٰ يخرج صاحب البريد.

ولما خرج صاحب البريد ، التفت الحاجب إلىٰ غلامه فقال له : خذ بيد الصقر حتىٰ تدخله الحجرة التي فيها العلوي المحبوس ، وخلِّ بينه وبينه .

فأخذه الغلام حتىٰ أدخله الحجرة وأومأ إلىٰ بيت فيه الإمام ، فدخل عليه الصقر ، وكانَ الإمام جالساً علىٰ حصير وبازائه قبر محفور قد أمر به المتوكل لارهاب الإمام ، والتفت (عليه السلام) قائلاً بحنان ولطف :

يا صقر ما أتىٰ بك ؟

قال صقر: جئت لأتعرّف علىٰ خبرك.

وأجهش الصقر بالبكاء رحمة بالإمام وخوفاً عليه :

فقال (عليه السلام) : « يا صقر لا عليك ، لن يصلوا إلينا بسوء ...

فهدأ روعه وحمد الله علىٰ ذلك ، ثم سأل الإمام عن بعض المسائل الشرعية فأجاب عنها ، وانصرف مودّعاً للإمام[1] ، ولم يلبث الإمام في السجن إلّا قليلاً ثمّ أطلق سراحه» .

محاولة اغتيال الإمام الهادي (عليه السلام)

وقد دبرت السلطة الحاكمة آنذاك مؤامرة لقتل الإمام (عليه السلام) ولكنها لم تنجح فقد روي : أنّ أبا سعيد قال: حدثنا أبو العباس فضل بن أحمد بن اسرائيل

(١) رواه الصدوق في الخصال : ٣٩٤ ومعالي الأخبار: ١٣٥ وكمال الدين ط النجف الأشرف: ٣٦٥ و ط الغفاري : ٣٨٢ ح٩ ب ٣٧ وعنه الطبرسي في اعلام الورى : ٢٤٥/٢. وعن الخصال وعلل الشرائع في بحار الأنوار : ١٩٤/٥٠.

الكاتب ونحن بداره بسر من رأى فجرىٰ ذكر أبي الحسن(عليه السلام) فقال : يا أبا سعيد أحدثك بشيء حدثني به أبي؟

قال :كنا مع المنتصر وأبي كاتبه فدخلنا والمتوكل علىٰ سريره فسلّم المنتصر ووقف ووقفت خلفه وكان إذا دخل رحّب به وأجلسه فأطال القيام وجعل يرفع رجلاً ويضع أخرىٰ وهو لا يأذن له في القعود ورأيت وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ويقول للفتح بن خاقان :

هذا الذي يقول فيه ما تقول؟ ويرد عليه القول، والفتح يسكته ويقول : هو مكذوب عليه، وهو يتلظىٰ ويستشيط ويقول : والله لاقتلن هذا المرائي الزنديق وهو يدعي الكذب ويطعن في دولتي. ثم طلب أربعة من الخزر أجلافاً ودفع إليهم أسيافاً ، وأمرهم أن يقتلوا أبا الحسن إذا دخل وقال : والله لأحرقنه بعد قتله، وأنا قائم خلف المنتصر من وراء الستر، فدخل أبو الحسن وشفتاه تتحركان وهو غير مكترث ولا جازع ، فلما رآه المتوكل رمىٰ بنفسه عن السرير إليه ، وانكب عليه يقبل بين عينيه ويديه ، وسيفه شقه بيده وهو يقول :

يا سيدي ياابن رسول الله ياخير خلق الله يابن عمي يا مولاي يا أبا الحسن. وابو الحسن(عليه السلام) يقول: اعيذك يا أمير المؤمنين من هذا.

فقال: ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت ؟

قال : جاءني رسولك.

قال :كذب ابن الفاعلة .

فقال له: ارجع يا سيدي، يا فتح يا عبيدالله يا منتصر شيعوا سيدكم

وسيدي، فلما بصر به الخزر خرّوا سجداً، فدعاهم المتوكل وقال : لِمَ لم تفعلوا ما امرتكم به؟

قالوا : شدة هيبته، ورأينا حوله اكثر من مائة سيف لم نقدر أن نتأملهم ، وامتلأت قلوبنا من ذلك .

فقال : يا فتح هذا صاحبك وضحك في وجهه .

وقال : الحمد لله الذي بيض وجهه وأنار حجته »[١] .

إنّ هذا النص قد كشف لنا بوضوح عن كل نوازع المتوكل التي تدور حول القتل والحرق للإمام(عليه السلام) فضلاً عن الاتّهام بالزندقة والطعن في دولته.

والمتوكّل بعد كل هذه المحاولات التي باءت بالفشل لم يهدأ له بال وهو يريد إذلال الإمام(عليه السلام) بأي نحو كان، من هنا بادر في يوم الفطر ـ وفي السنة التي قتل فيها ـ الى الأمر بالترجّل والمشي بين يديه قاصداً بذلك أن يترجّل الإمام الهادي (عليه السلام) بين يديه، فترجل الإمام(عليه السلام) كسائر بني هاشم واتكأ على رجل من مواليه فأقبل عليه الهاشميون وقالوا: يا سيدنا ما في هذا العالم أحد يستجاب دعاؤه ويكفينا الله به من تعزّز هذا؟ قال لهم أبو الحسن(عليه السلام): **في هذا العالم من قلامة ظفره أكرم على الله من ناقة ثمود، لما عقرت الناقة صاح الفصيل الى الله تعالى فقال الله سبحانه: ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾**[٢].

دعاء الإمام (عليه السلام) على المتوكل

والتجأ الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) إلى الله تعالى ، وانقطع إليه ، وقد

---

(١) الخرائج والجرائح : ١/٤١٧ ـ ٤١٩ ح ١ ب ١١ وعنه في كشف الغمة: ٣/١٨٥.

(٢) بحار الأنوار. ٥٠/٢٠٩.

دعاه بالدعاء الشريف الذي عرف (بدعاء المظلوم على الظالم) وهو من الكنوز المشرقة عند أهل البيت (عليهم السلام)(١).

هلاك المتوكل

واستجاب الله دعاء وليه الإمام الهادي (عليه السلام)، فلم يلبث المتوكل بعد هذا الدعاء سوى ثلاثة أيام حتى هلك.

وتم ذلك باتفاق المنتصر ابن المتوكل مع مجموعة من الاتراك حيث هجم الاتراك على المتوكل ليلة الاربعاء المصادف لاربع خلون من شوال (٢٤٧ هـ) يتقدمهم باغر التركي وقد شهروا سيوفهم، وكان المتوكل ثملاً سكراناً، وذعر الفتح بن خاقان فصاح بهم: ويلكم أمير المؤمنين؟!

فلم يعتنوا به ورمى بنفسه عليه ليكون كبش الفداء له إلّا انه لم يغنِ عن نفسه ولا عنه شيئاً، وأسرعوا إليهما، فقطّعوهما إرباً إرباً، بحيث لم يعرف لحم أحدهما من الآخر ـ كما يقول بعض المؤرخين ـ ودفنا معاً.

وبذلك انطوت أيام المتوكّل الذي كان من أعدى الناس لأهل البيت(عليهم السلام).

وخرج الاتراك، وكان المنتصر بانتظارهم فسلّموا عليه بالخلافة وأشاع المنتصر ان الفتح بن خاقان قد قتل أباه، وانه أخذ بثأره فقتله، ثم أخذ البيعة لنفسه من أبناء الاسرة العباسية وسائر قطعات الجيش.

واستقبل العلويون وشيعتهم النبأ بهلاك المتوكل بمزيد من الابتهاج والافراح فقد هلك الطاغية الذي صيّر حياتهم إلى مآسي لا تطاق. (٢)

---

(١) مهج الدعوات: ٢٠٩/٥٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ١٠ / ٣٤٩.

المنتصر بالله (٢٤٧ ـ ٢٤٨ هـ)

هو محمّد بن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد، أمه أم ولد رومية اسمها حبشية. بُويع له بعد قتل أبيه في شوال سنة (٢٤٧ هـ) وخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد وقالوا عنه: انّه أظهر العدل والانصاف في الرعيّة فمالت إليه القلوب مع شدّة هيبتهم له، وكان كريماً حليماً وممّا نقل عنه قوله: لذّة العفو أعذب من لذّة التشفّي وأقبح أفعال المقتدر الانتقام. ولكنّه لم يمتّع بالخلافة إلّا أشهراً معدودة دون ستة أشهر.

وقال الثعالبي: ومن العجائب أن أعرق الأكاسرة في الملك ـ وهو شيرويه ـ قتل أباه فلم يعش بعده إلّا ستة أشهر. وأعرق الخلفاء في الخلافة ـ وهو المنتصر ـ قتل أباه فلم يمتع بعده سوى ستة أشهر [1]

المنتصر والعلويين

وكان المنتصر ليّناً مع العلويين المظلومين في عهد أبيه . فعطف عليهم ووجه بمال فرّقه عليهم وكان يؤثر مخالفة ابيه في جميع احواله ومضادة مذهبه طعناً عليه ونصرة لفعله . [2]

وكان محسناً لآل أبي طالب حيث رفع عنهم ماكانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين (عليه السلام) ورد على آل الحسين فدكاً .

فقال يزيد المهلبي في ذلك :

ولقد بررت الطالبية بعدما   ذموا زماناً بعدها وزمانا

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٥٦ ـ ٣٥٨ .

(٢) مقاتل الطالبيين : ٣٩٦ ونحوه في تاريخ الخلفاء: ٤١٧.

ورددت ألفة هاشم فرأيتهم   بعد العداوة بينهم إخوانا[١]

يقول أبو الفرج عنه : وكان المنتصر يظهر الميل إلى اهل البيت(عليهم السلام) ويخالف اباه في افعاله فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه[٢].

ولما ولي المنتصر صار يسب الاتراك ويقول : هؤلاء قتلة الخلفاء فعملوا عليه وهموا به فعجزوا عنه لأنه كان مهيباً شجاعاً فطناً متحرزاً فتحيلوا إلى أن دسّوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين الف دينار في مرضه فأشار بفصده ثم فصده بريشة مسمومة فمات[٣].

المستعين (٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ)

هو أحمد بن المعتصم بن الرشيد فهو أخو المتوكّل، ولد سنة (٢٢١ هـ) وأُمه أُم ولد اسمها مخارق، اختاره القوّاد بعد موت المنتصر، ثم تنكّر له الأتراك لمّا نفى باغر التركي الذي فتك بالمتوكل، وقتل وصيفاً وبُغى. ولهذا خافهم وانحدر من سامراء الى بغداد، فأرسلوا إليه يعتذرون ويخضعون له ويسألونه الرجوع فامتنع، فقصدوا الحبس وأخرجوا المعتز وبايعوه وخلعوا المستعين، ثم جهّز جيشاً كثيفاً لمحاربة المستعين واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين.

الثورات في عصره

لم يدم حكم المستعين سوى أربع سنوات وأشهر، وقد تميّزت فترة

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٤١٧، ٤١٨.

(٢) مقاتل الطالبيين : ٤١٩.

(٣) تاريخ الخلفاء : ٤١٩.

حكمه بالاضطرابات التي تعود الى قوة الأتراك وضعفه أمامهم، كما تعود الى الظلم والإجحاف بالأُمة الى جانب تنازع العباسيين على السلطة، وإليك فهرساً بما وقع في أيام حكم من وثبات وثورات:

١ ـ وثبة في الاردن بقيادة رجل من لخم.

٢ ـ وثب في حمص اهلها بعاملهم كيدر الاشروسني.

٣ ـ وثبة الجند في سامراء وضربة لاوتاش التركي وهو احد القادة.

٤ ـ وثبة المعرة بقيادة القصيص وهو يوسف بن ابراهيم التنوخي.

٥ ـ وثبة الجند بفارس بعاملهم الحسين بن خالد.

٦ ـ وثبة إسماعيل بن يوسف الجعفري الطالبي في المدينة.

فوقعت بينهما وقعات ودام القتال أشهراً وغلت الأسعار وعظم البلاء وانحل أمر المستعين فسعوا في الصلح على خلعه وقام في ذلك اسماعيل القاضي وغيره بشروط مؤكدة، فخلع المستعين نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين وأشهد عليه القضاة وغيرهم فأُحدِر إلىٰ واسط فأقام بها تسعة اشهر محبوساً موكلاً به أمينٌ ثم رُدّ إلىٰ سامراء.

وأرسل المعتز إلىٰ احمد بن طولون ان يذهب إلىٰ المستعين فيقتله فقال: والله لا اقتل أولاد الخلفاء، فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة وله احدىٰ وثلاثون سنة[1].

المعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ)

هو محمد بن المتوكل، ولد سنة (٢٣٢ هـ)، بويع له وعمره تسع عشرة سنة، ولم يلِ الخلافة قبله أحد أصغر منه، وهو أول خليفة أحدث

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

الركوب بحلية الذهب، فقد كان الخلفاء قبله يركبون بالحلية الخفيفة من الفضّة.

كان المعتز مستضعفاً من قبل الأتراك واُلعوبة بأيديهم. وأول سنة تولى فيها السلطة مات اشناس الذي كان الواثق قد استخلفه على السلطة وخلف خمسمائة الف دينار ، فأخذها المعتز وخلع خلعة الملك على محمد بن عبد الله ابن طاهر ، وقلده سيفين ، ثم عزله وخلع خلعة الملك على أخيه وتوجّه بتاج من ذهب وقلنسوة مجوهرة ، ووشاحين مجوهرين وقلده سيفين ، ثم عزله من عامه ونفاه إلى واسط ، وخلع على بغا الشرابي وألبسه تاج الملك فخرج على المعتز بعد سنة فقتل وجيء إليه برأسه.

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه المؤيد من العهد وضربه وقيده فمات بعد أيام ، فخشي المعتز ان يتحدث عنه انه قتله او احتال عليه ، فأحضر القضاة حتى شاهدوه وليس به اثر ، وكان المعتز مستضعفاً مع الأتراك ، فاتفق ان جماعة من كبارهم أتوه وقالوا :

يا أمير المؤمنين اعطنا ارزاقنا لنقتل صالح بن وصيف ، وكان المعتز يخاف منهم فطلب من اُمه (قبيحة) مالاً لينفقه فيهم ، فأبت عليه وشحت نفسها ، ولم يكن بقي في بيوت المال شيء بينما كانت اُمه تملك الأموال العظيمة، حيث انفقت على صالح بن وصيف مالاً عظيماً بعد قتله ، ولهذا اجتمع الأتراك على خلعه ، ووافقهم صالح بن وصيف ، ومحمد بن بُغا ، فلبسوا السلاح وجاءوا إلى دار الخلافة فبعثوا إلى المعتز أن اخرج إلينا ، فبعث

يقول : قد شربت الدواء وأنا ضعيف ، فهجم عليه جماعة وجرّوا برجله وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف ، وهم يلطمون وجهه ويقولون : اخلع نفسك ، ثم احضروا القاضي بن أبي الشوارب والشهود وخلعوه ، ثم احضروا من بغداد إلىٰ دار الخلافة ـ وهي يومئذٍ سامراء ـ محمد ابن الواثق ، وكان المعتز قد أبعده إلىٰ بغداد فسلّم المعتز إليه الخلافة وبايعه[١].

ومات المعتزّ بعد خلعه من الخلافة بطريقة غريبة؛ بعد خمس ليال من خلعه ، حيث أدخلوه الحمّام ، فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء ، ثم اخرج فسقوه ماء بثلج فشربه وسقط ميتاً ، وذلك في شهر شعبان المعظم سنة خمس وخمسين ومائتين .

اضطهاد الشيعة:

لقد ذكر المؤرخون موقف المعتز المعادي لآل محمد(صلى الله عليه وآله) واضطهادهم واضطهاد شيعتهم ومن نماذج سيرته أنه أعمل السيف في العلويين وآخرين حتىٰ ماتوا في سجونه، وممّن قتل في عهده:

١ ـ جعفر بن محمد الحسيني وقد قتل في وقعة حدثت بالري بينه وبين احمد بن عيسى عامل محمد بن طاهر[٢] .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٥٩ـ ٣٦٠ .
(٢) مقاتل الطالبيين : ٤٣٩ .

٢ ـ ابراهيم بن محمد العلوي فقد قتله طاهر بن عبد الله في وقعة كانت بينه وبين الكوكبي بقزوين[١]، وغير هؤلاء كثير ممن أعمل ولاة العباسيين فيهم السيف والقتل .

أما من مات في الحبس فكثير أيضاً ، منهم: عيسىٰ بن اسماعيل الحضرمي واحمد بن محمد الحسيني[٢] .

(١) المصدر السابق : ٤٣٣ .

(٢) مقاتل الطالبيين : ٤٣٤ .

الفصل الثالث

ملامح عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

١ ـ الحالة السياسية العامّة

مارس الإمام الهادي (عليه السلام) مهامّه القيادية في حكم المعتصم سنة (٢٢٠هـ) واستشهد في حكم المعتزّ سنة (٢٥٤ هـ) وخلال هذه السنوات الأربعة والثلاثين قد عاصر ستة من ملوك بني العباس الذين لم يتمتّعوا بلذة الحكم والخلافة كما تمتّع آباؤهم حيث تراوحت فترة خلافة كل منهم بين ستة أشهر وخمسة الى ثمان سنوات سوى المتوكل الذي دام حكمه خمسة عشر عاماً.

ويعتبر عهد المتوكل العباسي بدء العصر العباسي الثاني وهو عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢ ـ ٣٣٤ هـ) واعتبره البعض بدء عصر انحلال الدولة العباسية ، الذي انتهىٰ بسقوطها علىٰ أيدي التتار سنة (٦٥٦ هـ) .

وكان لسياسة المتوكل وأسلافه الاثر البالغ في انفصال بعض أمصار الدولة واستقلالها عن السلطة المركزية بالتدريج، حيث نشأت دويلات صغيرة وكيانات متنافسة فيما بينها ، كالسامانية والبويهية والحمدانية والغزنوية والسلجوقية بعد هذا العصر[١].

وكما كان لهذه الدويلات تأثير في تقدم الحضارة الإسلامية باعتبار

---

(١) تاريخ الاسلام السياسي : ٣ / ١ بتصرف .

انفتاح بعض الأُمراء على العلم والعلماء لكنّها أضعفت كيان الدولة العباسية سياسياً لأنها قد ساهمت في ايجاد شرخ في وحدة الدولة الإسلامية الكبرى.

وقد يعزىٰ هذا الانفصال وتشكيل هذه الدويلات ـ اضافة إلىٰ الاضطهاد وتعسف سلاطين الدولة العباسية ـ إلىٰ استخدام الأتراك في مناصب الدولة الحساسة ، واعتمادهم كقوة رادعة ضد معارضي الدولة العبّاسية إذ أصبح الجيش يتكون منهم قيادة وأفراداً ، بينما أُبعد العرب وسواهم عن تلك المناصب مما أثار حفيظة العرب ضد السلوك السياسي للدولة العبّاسية وبالتالي أدىٰ إلىٰ الانفصال عنها .

وكان المعتصم أوّل الخلفاء العباسيين الذين استعانوا بالاتراك وأسندوا إليهم مناصب الدولة وأقطعوهم الولايات الإسلامية[1].

وقد انتهج المتوكل سياسة العنف تجاه العلويين وشيعة أهل البيت(عليهم السلام) فضلاً عن أهل البيت(عليهم السلام) أنفسهم وتجلّى ذلك بوضوح في أمره بهدم قبر الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وما حوله من الدور بل أمر بحرثه وبذره وسقي موضع القبر ومنع الناس من زيارته وتوعّد بالسجن على من زاره[2].

وقد أثار المتوكل بهذه السياسة حفيظة المسلمين بشكل عام، وأهل بغداد بشكل خاصّ وقد ردوا علىٰ الإهانات التي ألحقها بالعلويين فسبّوه في المساجد والطرقات[3].

وفي زمن المتوكل أصابت مدن العراق مجاعة شديدة وهلك كثير من الناس، وانتهز الروم فرصة ضعف الدولة فاستأنفوا غاراتهم علىٰ أراضيها فأغاروا علىٰ دمياط وفتكوا بأهلها وأحرقوا دورهم ، ثم غزوا فيليفيا جنوبي

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي : ٣ / ٢ ويراجع تاريخ الطبري : ٧ حول ازدياد نفوذ الاتراك في عصر المعتصم.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٤/١١ .

(٣) تاريخ الإسلام السياسي : ٣ / ٥ .

آسيا الصغرىٰ وهزموا أهلها هزيمة منكرة[١].

وفي عام (٢٣٥ هـ) عهد المتوكل إلىٰ أولاده الثلاثة المنتصر والمعتز والمؤيد، بيد أنه رأىٰ أن يقدّم المعتز علىٰ اخويه لمحبته أم المعتز (قبيحة) ولكن المنتصر غضب لذلك فدبّر مع أخواله الأتراك مؤامرة لاغتيال أبيه، وحاول بعض الأتراك في دمشق اغتيال المتوكل غير أنّ محاولتهم تلك باءت بالفشل بفضل ما عمله بغا الكبير والفتح بن خاقان[٢].

ولم ينج المتوكل من الاغتيال فقد قتل فيما بعد، بعد اتفاق بغا الصغير وباغر التركي للتخلص منه وتنصيب ابنه المنتصر عام (٢٤٧ هـ).

وكان المنتصر يحسن للعلويين مخالفاً بذلك سياسة أبيه، وتجلّت سياسته في إزالة الخوف عنهم والسماح لهم بزيارة قبر الحسين (عليه السلام).

ولم يدم حكم المنتصر طويلاً فقد تآمر عليه الأتراك وقتلوه عن طريق طبيبه طيفور في سنة (٢٤٨ هـ)[٣].

وبعد مقتل المنتصر تولىٰ كرسيّ الخلافة المستعين بالله سنة (٢٤٨ هـ) وأرجع عاصمته الى بغداد غير أن الأتراك لم يأمنوا جانبه، فاتفق باغر التركي مع جماعته علىٰ خلع المستعين ونصب المعتز مكانه[٤].

ووقعت بينهما حرب دامت عدة اشهر انتهت بابعاد المستعين إلىٰ واسط ثم قتله غيلة[٥].

كما أن المعتز لم ينج من أعمال العنف والتعسف التي قام بها قوّاد الدولة العباسية من الأتراك فقتل شرّ قتلة علىٰ أيديهم وذلك سنة (٢٥٥ هـ).

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي: ٣/٥.

(٢) مروج الذهب: ٢ / ٣٩٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٧ أحداث عام ٢٤٨ هـ.

(٤) مروج الذهب: ٢ / ٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(٥) الكامل في التاريخ: ٧ / ٥٠ وما بعدها

وكان اغتيال الإمام الهادي(عليه السلام) في حكم المعتزّ في سنة (٢٥٤ هـ).[١]

إنّ ضعف شخصيّة الحكّام هو أحد عوامل التفكك والانهيار الذي أصاب الدولة الإسلامية، وقد رافقه نفوذ زوجاتهم واُمّهاتهم الى جانب سيطرة الأتراك الذين اعتمدوا عليهم للتخلّص من نفوذ الإيرانيين والعرب، كما كان لظلم الاُمراء والوزراء دوره البالغ في زعزعة ثقة الناس بالحكّام وإثارة الفتن والشغب داخل بلاد المسلمين[٢]. تمرّداً على ظلم الظالمين ونهب ثروات المسلمين والاستهتار بالقيم الإسلامية والتبذير في بيت مال المسلمين.

إنّ ضعف شخصيّة الحكّام أدّى الى سقوط هيبتهم عند الولاة ممّا دعاهم الى الاتّجاه نحو الاستقلال بشكل تدريجي لعلمهم بضعف مركز الخلافة وانهماك الحكام بالملاهي والملذّات.

وقد شجّع الحكّام الاُمراء وعمّالهم على الاهتمام بجمع الأموال وارسالها الى الخليفة ونيل رضاه واتّقاء تساؤلاته عن تصرّفات الاُمراء.

وأدّت هذه الظاهرة الى طغيان المقاييس المادّية واستقرارها في مختلف الشرائح الاجتماعية.

وقد ساعدت الفتوحات ـ التي كانت أشبه بالغزو لإحكام السيطرة على الأراضي بدل فتح القلوب والعقول ـ على استحكام المقاييس المادية لأنها كانت تدرّ الأموال والغنائم على الجيش الفاتح فكانت مصدراً من مصادر الثروة التي يفكّر بها الحكّام والاُمراء.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٥٠٣.

(٢) لقد توالت حوادث الشغب في بغداد من سنة (٢٤٩ هـ) وتجدّدت أربع مرات حتى سنة (٢٥٢ هـ) وبدأت مشاغبات الخوارج من سنة (٢٥٢ هـ) واستمرت الى سنة (٢٦٢ هـ). ورافقها ظهور صاحب الزنج سنة (٢٥٥هـ)، وهذه سوى ما سيأتي من انتفاضات العلويين خلال النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري.

٢ ـ الحالة الثقافية

كان لترجمة الكتب اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية أثر كبير في ثقافة هذا العصر ، وكانت ظاهرة الترجمة قد ابتدأت منذ أيام المأمون ، وقد أسهمت في رفد الثقافة الإسلامية من جهة والانفتاح على الثقافات الأُخرى التي قد تتقاطع مع ما أفرزته الحضارة الإسلامية من اتجاهات فكرية وثقافية من جهة أُخرى.

كما كان لارتحال المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أثر كبير في التبادل والتعاطي الثقافي بين شرق البلاد الإسلامية وغربها وأنتج ذلك نشاطاً ثقافياً متميّزاً وحركة فكرية، أعطت للعلماء والفقهاء دوراً كبيراً وموقعاً مرموقاً عند الخلفاء والحكام حتى عُدّ القرن الرابع الهجري فيما بعد العصر الذهبي للحضارة الإسلامية.

وقد حظي الشعراء والأُدباء بمكانة رفيعة عند الأُمراء ممّا أدى الى ازدهار الأدب في هذا العصر .

ولا ينبغي أن نغفل عن محنة خلق القرآن وما رافقها من توتر في المجتمع الإسلامي طيلة عقود ثلاثة[١].

٣ ـ الحالة الاقتصادية

إن الاضطرابات السياسية والصراع على السلطة وبدء انفصال أجزاء عن الدولة العباسية واستقلالها قد أثّر في تدهور الوضع الاقتصادي.

وكان لظهور الطبقية في المجتمع الإسلامي آثار سلبية أدّت الى سرعة الانهيار الاقتصادي فضلاً عن المجاعة وارتفاع الأسعار، مماكان له أثر كبير

---

(١) تاريخ الاسلام السياسي : ٣ / ٣٣٢ وما بعدها .

في اضطراب الأمن وفقدان السيطرة من قبل الدولة، وقد تجلّى ذلك في قصر فترة حكم الخلفاء الى جانب انتقال ادارة الدولة إلى القواد الأتراك بدل الخلفاء وهو دليل واضح على ضعف شوكتهم وفقدان هيبتهم أمام قوّاد الجيش ووزرائهم وكتابهم(١).

٤ ـ الموقع الاجتماعي والسياسي للإمام الهادي (عليه السلام)

إن حادثة إشخاص الإمام (عليه السلام) من قبل المتوكل من المدينة إلى سامراء وإيكال ذلك الامر إلى يحيى بن هرثمة ، وما نقله يحيى هذا عن حالة اهل المدينة المنورة ، وما انتابهم وما أحدثوا من ضجيج واضطراب لإبعاد الإمام(عليه السلام) عنهم يصوّر لنا مدى تأثر أهل المدينة بأخلاقية الإمام(عليه السلام) المثلى وحسن سلوكه وتعامله معهم وشدة اندماجه في حياتهم، ولا غرو فهو سليل دوحة النبوة وثمرة شجرة الإمامة التي هي فرع النبوة ، فالإمام هو حجة الله سبحانه على خلقه وهو المثل والقدوة التي يقتدى بها وهو القيم والحافظ لرسالة الاسلام .

وهذا عبيد الله بن خاقان المعاصر للإمام الحسن العسكري(عليه السلام) كان يصف الإمام الهادي لرجل قائلاً له:

لو رأيت أباه ـ اي الإمام الهادي (عليه السلام) ـ لرأيت رجلاً جليلاً نبيلاً خيّراً فاضلاً(٢).

وكان للإمام(عليه السلام) نفوذ في عمق البلاط بحيث تجد أمّ المتوكل تبعث بصرّة للإمام(عليه السلام) بعد التوسّل به لتوصيف دواء لداء المتوكل وهو كاشف عن إيمانها بمكانة هذا الإمام عند الله تعالى.

وقد شاع خبره وذاع صيته عند أصحاب البلاط فضلاً عن عامّة الناس،

---

(١) يُراجع تاريخ الطبري : ج٧، أحداث السنوات ٢٤٧ ـ ٢٥٤ هـ.

(٢) كمال الدين للشيخ الصدوق : ١ / ٤٢ .

في الوقت الذي كان المتوكل قد أحكم الرقابة الدقيقة على تصرّفات الإمام(عليه السلام) وارتباطاته لئلا يتّسع نفوذه وتمتدّ زعامته، بل كان يخطط لسجنه واغتياله.

وتكفي نظرة سريعة على ما صدر من معاصريه من تصريحات حول مكانته وسمو منزلته لتقف عند الموقع الاجتماعي المتميز للإمام(عليه السلام) بالرغم من كل محاولات التسقيط[1].

٥ ـ العباسيون والإمام الهادي(عليه السلام)

تدرّجت سياسة الحكّام العباسيين في مناهضة أهل البيت(عليهم السلام) بعد أن عرفوا موقعهم الديني والاجتماعي المتميز وأنهم لا يداهنون من أجل الحكم والملك بل إنهم أصحاب مبدأ وعقيدة وقيم، فكانت سياسة السفّاح والمنصور والرشيد تتلخص في الرقابة المشدّدة والتضييق مع فسح المجال للتحرك المحدود ورافقها خلق البدائل العلمية لئلا يتفرد أهل البيت(عليهم السلام) بالمرجعية العلمية والدينية في الساحة الاجتماعية فكان الدعم المباشر من الحكّام لأئمة المذاهب وتبنّي بعضها والدعوة إليها في هذا الطريق.

ولكن كل هذه الأساليب لم تفلح في التعتيم الاعلامي وتوجيه الأنظار عن أهل البيت(عليهم السلام) الى غيرهم فكانت سياسة المأمون هي سياسة الاحتواء التي نفّذها مع الإمام الرضا(عليه السلام).

غير أن المأمون حين أدرك عدم امكان احتواء الإمام(عليه السلام) قضى عليه، لكنه بتزويجه لابنته أُم الفضل من الإمام الجواد(عليه السلام) قد أحكم الرقابة على

(١) راجع الفصل الثاني من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

ولده الإمام الجواد(عليه السلام) بشكل ذكي جداً، ولم يسمح المعتصم للإمام الجواد(عليه السلام) ـ وهو في ريعان شبابه ـ ليبقى في مدينة جدّه بل استدعاه وقضى عليه بالسم لأنه قد أدرك أيضاً عدم امكان احتوائه بل عدم امكان احكام الرقابة عليه من داخل بيته وخارجه.

وهنا جاء دور المتوكل ومن تبعه لسجن الإمام والتضييق عليه بأنحاء شتّى، فتمّ استدعاء الإمام الهادي(عليه السلام) وعُرّض لأنواع الاحتقار والتسقيط والتضييق ـ كما لاحظنا ـ وأُحكمت الرقابة على كل تصرفاته داخل البيت وخارجه، بنحوٍ قد تجنّبوا فيه إثارة الرأي العام حيث تظاهروا بإكرام الإمام واحترامه واعزازه (عليه السلام)، بينما وصلت الرقابة الى أبعد حدّ. وكانت قضية الإمام المهدي المنتظر(عليه السلام) من الأسباب المهمة التي دعت السلطة لإحكام الرقابة عليه لئلّا يولد الإمام المهدي(عليه السلام) إن أمكن أو للاطلاع على وجوده إن كان قد وُلد، ومن ثم القضاء عليه.

وقد بقي الإمام الهادي(عليه السلام) تحت رقابة الحكّام العباسيين مدة طويلة تزيد على العشرين عاماً[1]، وهي فترة طويلة جداً إذا ما قسناها مع فترة ولاية العهد للإمام الرضا(عليه السلام) أو فترة بقاء الإمام الجواد(عليه السلام) في بغداد في زمن المعتصم.

وفي هذا مؤشر واضح لتغيير العباسيين سياستهم العامة تجاه أئمة أهل البيت(عليهم السلام).

٦ ـ اضطهاد أتباع أهل البيت(عليهم السلام)

إذا استثنينا سياسة المنتصر التي لم تدم سوى ستة أشهر والتي تمثلت

---

(١) وقد عرفت أن بعض المصادر صرّحت بأن مدة إقامته(عليه السلام) في سامراء عشر سنوات وأشهر.

في اللين مع العلويين وشيعة أهل البيت(عليهم السلام) فإنا نجد السياسة العباسية العامة هي مناهضة أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم، وممارسة سياسة العنف معهم بالرغم من اتّساع رقعة التشيّع بعد تظاهر المأمون باحترامه الخاص للإمام الرضا(عليه السلام).

إن حرمان أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم من الوضع المعيشي اللائق بهم إنّما كان باعتبار قلقهم من توظيف المال للإطاحة بملكهم. ومن هنا كانت سياسة التقشف بالنسبة لهم سياسة عامة قد سار عليها عامة ملوك بني العباس، وهم أعرف بالمكانة الاجتماعية لأهل البيت(عليهم السلام) في قلوب المؤمنين.

وكان الحرمان يمتدّ الى إخراجهم من الوظائف الحكومية إن عثروا على موالٍ لأهل البيت(عليهم السلام) كان قد حظي بوظيفة حكومية، بل تعدّى ذلك الى تحديد أملاكهم وغلمانهم حتى بان الفقر والحرمان على كثير من العلويين في هذ العصر.

٧ ـ انتفاضات العلويين :

لقد تمادى المتوكل في ايذاء العلويين ومنعهم حقوقهم التي منحهم الله إيّاها حتى أشرفوا على الهلاك من شدّة الفقر بل تمادى في الجور عليهم حتى قدّم دعوى غير العلوي على دعوى العلوي إذا تحاكما عند القضاة .

ولم نجد من العباسيين عامة إلّا العداء والبغض لأهل البيت(عليهم السلام) لأسباب شتى، منها: تفرّد أهل البيت(عليهم السلام) بالنصّ عليهم من قبل جدّهم الرسول(صلى الله عليه وآله) وتفرّدهم بالزعامة الروحية والعلمية، وتأثيرهم على قلوب المسلمين ووجدانهم، والاهتمام بشؤونهم، وايثارهم للدين على الدنيا، والموت في سبيل الله على الحياة مع الذل والهوان في غير طاعة الله.

إن عواطف المسلمين وقلوبهم قد اتّجهت نحو أبناء الرسول(صلى الله عليه وآله)

وشيعتهم الذين يحذون حذوهم، وأخذت هذه الظاهرة تنمو و تظهر على الساحة الإسلامية وهذا مما لا يرتاح له الحكّام العباسيون وعملاؤهم الذين جلسوا على موائدهم التي جسّدت أفضع انواع التبذير في بيت مال المسلمين. وأهل البيت(عليهم السلام) بعد ثورة الحسين(عليه السلام) وإن لم يتصدّوا للثورة المسلحة ضد الطغاة لأسباب تعود الى سياستهم المبدئية لمعالجة أنواع الانحراف في المجتمع الإسلامي، لكنّهم قد فتحوا الطريق أمام الثوّار العلويين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف والسلاح حين لا يثمر الكلام والحجاج.

ومن هنا لم تخل الساحة الإسلامية من الثورات التي قام بها قادة علويون على طول الخط بعد ثورة الحسين(عليه السلام).

وقد استمرت هذه الثورات حتى عصر الغيبة وانتهت فيما بعد الى تأسيس دويلات وإمارات يحكمها قادة علويون أو علماء يحملون ثقافة أهل البيت(عليهم السلام) ويحاولون تجسيد قيمهم وسيرتهم في الحياة الإسلامية.

ولم تكن اغتيالات الخلفاء للأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) إلّا باعتبار دعمهم لهذه الثورات المسلّحة وتأييدهم لها من قريب أو من بعيد.

وهذا الخط الثوري في هذه الظروف الحرجة يعد أحد الأسباب التي حتّمت على الإمام الثاني ـ عشر باعتباره آخر القادة المعصومين ـ أن يتستّر بستار الغيبة لئلّا تخلو الأرض من حجج الله وبيّناته.

وقد خرج على حكّام هذا العصر من العلويين مجموعة تمثّل استمرار الخط الثوري ضد الظلم والظالمين وإليك قائمة بأسمائهم مع ذكر تاريخ ومنطقة تحرّكهم وخروجهم:

١ ـ محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، خرج في حكومة المعتصم واعتقل في سنة (٢١٩ هـ) وروي

أنه قتل بالسم.

٢ ـ محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) خرج على المتوكل في المدينة وأُسر وسجن في سامراء.

٣ ـ يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام). خرج على المستعين في الكوفة سنة (٢٥٠ هـ)، ارتضاه أهل بغداد وليّاً للأمر كما بايعه جملة من أهل الحل والعقد في الكوفة. وضجّ الناس لقتله وحزنوا عليه حزناً لم ير مثله.

٤ ـ الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن حسن بن زيد بن حسن ابن حسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، خرج في طبرستان سنة (٢٥٠ هـ) واستولى على الري وآمل وامتد نفوذه الى جرجان في سنة (٢٥٧ هـ) واستمر في الحكم حتى سنة (٢٧٠ هـ) ثم خلفه أخوه محمّد بن زيد وكان فقيهاً أديباً وجواداً.

٥ ـ محمد بن جعفر بن حسن، خرج في الري سنة (٢٥٠ هـ) ودعا أهل الري الى حكم الحسن بن زيد الذي كان قد سيطر على طبرستان.

٦ ـ الحسن بن اسماعيل بن محمد بن عبدالله بن علي بن حسين بن علي ابن أبي طالب(عليهم السلام) ثار في قزوين سنة (٢٥٠ هـ).

٧ ـ الحسين بن محمد بن حمزة بن عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) ثار في الكوفة سنة (٢٥١ هـ).

٨ ـ اسماعيل بن يونس بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) ثار في مكة سنة (٢٥١ هـ).

٩ ـ أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن طباطبا ثار في سنة (٢٥٥هـ) بين برقة والاسكندرية.

١٠ و ١١ ـ عيسى بن جعفر العلوي، ثار مع علي بن زيد في الكوفة سنة (٢٥٥ هـ).

١٢ ـ علي بن زيد بن حسين بن عيسى بن زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) ثار في الكوفة سنة (٢٥٦ هـ) للمرة الثانية.

١٣ ـ إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) المعروف بابن الصوفي ثار في مصر سنة (٢٥٦ هـ)[١].

هذه صورة موجزة عن الحركات المناهضة للحكّام الذين تربّعوا على كرسيّ الخلافة وحكموا باسم الرسول (صلى الله عليه وآله) وهم بعيدون كل البعد عن هديه وسننه.

وفي مثل هذه الظروف السياسية العامة والفتن الدينية التي أججها الخلفاء وسقتها الثقافات المستوردة، ماذا كانت تتطلبه الساحة الإسلامية العامة من معالجات؟ وماذا كانت تتطلبه الساحة الخاصة باتباع أهل البيت(عليهم السلام) الذين أخذوا يقتربون من عصر الغيبة الذي أخبر عنه الرسول(صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) وبدأت تتكشف علائمه وتتهيأ أسبابه؟

هذا ما سوف ندرسه خلال الفصول التالية إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) راجع مقاتل الطالبيين : ٤٧٨ ـ ٥٣٦ ومروج الذهب : ٤/٥٠ ـ ١٨٠، والكامل في التاريخ، الجزء السابع.

الباب الرابع

وفيه فصول :

الفصل الأوّل :

متطلّبات عصر الإمام الهادي (عليه السلام)

الفصل الثاني :

الإمام الهادي (عليه السلام) وتكامل بناء الجماعة الصالحة وتحصينها

الفصل الثالث :

الإمام الهادي (عليه السلام) في ذمة الخلود

الفصل الرابع :

مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) وتراثه

الفصل الأول

متطلّبات عصر الإمام الهادي(عليه السلام)

بعد أن عرفنا المهمّ من ملامح عصر الإمام الهادي(عليه السلام) نستطيع الآن أن نقف على متطلّبات عصره. وسوف نبحث عنها في حقلين. الأوّل: متطلّبات الساحة الإسلامية العامة. والثاني: متطلّبات الجماعة الصالحة بعد تمهيد عام لكلا الحقلين.

وذلك أنّ الإمام علي بن محمد الهادي(عليه السلام) قد تولّى الإمامة بعد استشهاد أبيه الجواد(عليه السلام) سنة (٢٢٠ هـ) وهو لمّا يبلغ الحلم إذ لم يتعدّ عمره الثامنة ـ على أكبر الفروض ـ فهو قد شابه أباه الجواد(عليه السلام) في تولّي الإمامة في سنّ مبكّرة.

وقد كان لتولّي الإمام الجواد(عليه السلام) الإمامة في سنّ مبكّرة بعد استشهاد أبيه الرضا(عليه السلام) مغزى ديني ودلالات وآثار سياسية واجتماعية عديدة، وإليك جملة منها:

الدلالة الأُولى:

أن أهل البيت(عليهم السلام) قد أضافوا دليلاً حسّياً جديداً بعد الأدلة العقائدية التي تمثلت في النصوص النبوية أولاً والواقع العملي الذي جسّد جدارتهم

لتولّي شؤون المسلمين وقيادة العالم الإسلامي فكرياً وعملياً.

والأئمة بعد استشهاد الحسين(عليه السلام) قد اتّجهوا لتربية الأجيال الطليعية ليحصّنوا الأُمة الإسلامية من تبعات التلاقح الفكري أو الاختراق الثقافي الذي حصل من الانفتاح على ثقافات جديدة بعد الفتوح.

وقد عادت الهيمنة الفكرية والريادة العلمية لأهل البيت(عليهم السلام) بالرغم من التخطيط الذي كان من ورائه الأُمويون ومن سار في خطّهم لإعادة الجاهلية بكل مظاهرها الى الحياة الإسلامية الجديدة.

فالإمام زين العابدين(عليه السلام) وابنه الباقر(عليه السلام) الذي عرف بأنه يبقر العلم بقراً وحفيده جعفر الصادق(عليه السلام) الذي دانت له أرباب المذاهب الأربعة ومن سواهم بالمرجعية العلمية والروحية في أرجاء العالم الإسلامي. قد أثبتوا بشكل عملي وحسّي جدارة أهل البيت(عليهم السلام) للريادة الفكرية التي هي روح الريادة الاجتماعية والسياسية الى جانب نص الرسول على أنهم الخلفاء الحقيقيون له.

واستمرّ هذا الخط الريادي في عصري الإمامين الكاظم والرضا(عليهما السلام) وأفرز آثاره الاجتماعية والسياسية حيث هيمن حبّ أهل البيت(عليهم السلام) على قلوب المسلمين من جديد وراحوا يشيدون بهم وبمثلهم وعلوّ منزلتهم في الحياة الإسلامية، وانعكس هذا الأمر على الحكّام انعكاساً لا يُطاق فلم يتحمّل هارون الرشيد وجود الإمام الكاظم(عليه السلام) إذ اعتبره منافساً حقيقياً له حتى قضى عليه بعد سجنه مسموماً شهيداً.

كما لم يتحمّل ابنه المأمون الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) كذلك بالرغم من تغييره لسياسة أسلافه حيث حاول احتواءه وتجديد نشاطه بشكل ذكي ثم جدّ في اطفاء نوره بما أجراه من الحوارات والتحدّيات العلمية الصعبة

بعد أن أيس من سلب ثقة الناس منه بفرض ولاية العهد عليه إذ كان قد خطط لإظهاره بمظهر الإنسان الحريص على الملك وحب الدنيا الذي كان هو شأن عامة الملوك من بني أُمية وبني العباس.

وبعد اليأس من نجاح آخر محاولات التسقيط بادر الى تصفيته جسدياً ليقضي على أكبر منافس له . فإن الإمام الرضا(عليه السلام) كان يرى هو وكثير من المسلمين بأن المأمون لا يستحق الخلافة وإنّما هي رداء ألبسه الله من اصطفاه من عباده وهم أهل بيت الرحمة والرسالة.

فالمأمون يفتقد الرصيد الشرعي والشعبي بينما الإمام الرضا(عليه السلام) ولا سيما بعد فرض ولايةالعهد عليه لم يسقط من القلوب، بل قد تألّق نجمه فهو يحظى بالرصيدين الشرعي والشعبي أكثر من ذي قبل ولا سيما بعد الحوارات العلمية التي أُجريت معه.

إنّ نقاط القوة التي كان يفتقدها المأمون رغم ذكائه وحنكته السياسية ، قد سوّلت له وجرّته الى اغتيال الإمام الرضا(عليه السلام) .

وهنا جاءت إمامة الجواد(عليه السلام) المبكّرة لتضفي رقماً جديداً ودليلاً واضحاً وقوياً آخر على جدارة أهل البيت(عليهم السلام) للقيادة الإسلامية يلمسه عامّة المسلمين بما فيهم الحكام. وشكّلت هذه الإمامة تحدياً صارخاً لا يمكن غضّ الطرف عنه ولا يمكن مواجهته بأي شكل من الاشكال ، فقد عرّض المأمون الإمام الجواد(عليه السلام) لأصناف الحوارات والتحديات العلمية وأيقن بعجزه عن مواجهته، ولكنه كان لا يملك أيّ عذر للقضاء عليه.

ولكنّ المعتصم قد دنّس يديه بهذه الجريمة البشعة التي قضت على الإمام الجواد وهو في عمر الزهور حيث لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ولم تدم أيّام إمامته سوى سبع عشرة سنة.

والقضاء على الإمام الجواد(عليه السلام) في هذه الظروف كاشف عن مدى عمق الهيمنة الروحية والعلمية للإمام الجواد(عليه السلام) وهو عميد أهل البيت وكبيرهم روحياً وعلمياً وقيادياً حيث طأطأ لعظمة علماء الطائفة وتعلّقت به قلوب شيعته ومحبّيه فضلاً عن قلوب من سواهم ودانت له بالولاء أعداد غفيرة من المسلمين.

وإلّا فلماذا هذا التسرع في القضاء عليه وهو لم يحاول القيام بأية حركة أو ثورة ضد النظام الحاكم؟!

وقد جاءت الإمامه المبكرة للإمام الهادي(عليه السلام) في هذا الظرف وبعد هذه التحديات وإفرازاتها السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية. فهل نصدق بأنّ الحكّام بعد المعتصم ،وبعد ما رأوه من هذه الهيمنة الروحية والعلمية لأهل البيت(عليهم السلام) على الساحة الإسلامية ـ سوف يتركونهم أحراراً وهم المتقمّصون لرداء خلافة الرسول(صلى الله عليه وآله) والموقع القيادي لأهل البيت(عليهم السلام) الذين قد اشتهر عنهم وعن جدّهم أنهم المنصوبون لهذا الموقع الديني والسياسي بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ؟

وقد أثبتوا جدارتهم العلمية والفكرية والروحية لتولّي قيادة الأمر وإدارة شؤون المسلمين وهيمنوا على قلوب الناس وعقولهم؟

إنّ هذه النقطة تشكّل مفرق طريق واضح بين خطين خطّ الحاكمين وخط أهل البيت(عليهم السلام).

ولم يرتدع هؤلاء الحكام عمّا سلف عليه آباؤهم من مقارعة من ينافسهم وهم يرون وجود المنافس الحقيقي لهم حتى وهو لم يبادر الى الثورة ضدّهم، ولم يثبت لديهم أنّهم وراء الانتفاضات التي كانت تنطلق بين آونة وأُخرى.

فما هو المخرج في رأيهم وبحسب مقاييسهم؟

وكما علمنا سابقاً، أن الإمام الهادي(عليه السلام) في كل مراحل حياته التي قضاها في مدينة جدّه أو في سامراء كانت تحت رقابة شديدة، وقد جرّعوه ما استطاعوا من الغصص التي كانت تتمثل في محاولات الاحتواء تارة والتسقيط العلمي تارة أُخرى ثم التحجيم بشتى أشكاله التي تمثّلت في الاستدعاء والتحقير والرقابة المكثفة والسجن ومحاولات الاغتيال المتكررة خلال ثلاثة عقود ونصف تقريباً من سنّي عمره المبارك.

فما الذي كان ينتظره الإمام(عليه السلام) من هؤلاء الحكّام في هذا الظرف ومع هذه المحاسبات؟ وما الذي كان ينبغي له أن يقوم به والفرص التي بين يديه محدودة جداً وهي تمر مرّ السحاب؟

فعلى ضوء هذه الحقائق لابدّ أن نبحث عن متطلّبات المرحلة في كلا الحقلين ـ كما سيأتي بيانه ـ.

الدلالة الثانية:

إنّ إمامة الجواد(عليه السلام) المبكّرة والتي تلتها إمامة ولده الهادي المبكّرة أيضاً ذات علاقة وطيدة بقضية الإمام المهدي المنتظر الذي سيتولى الإمامة في ظرف عصيب جداً وعمره دون عمر هذين الإمامين(عليهما السلام)، كما أخبر بذلك الرسول(صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل البيت(عليهم السلام).

إنّ التمهيد الذي قام به الرسول(صلى الله عليه وآله) ـ تبعاً للقرآن الكريم ـ بالنسبة لقضية المصلح الإسلامي العالمي والتصريح بأنه سيولد من أبناء الرسول(صلى الله عليه وآله) من فاطمة وعلي(عليهما السلام) وانّه التاسع من أبناء الحسين الشهيد، كان ضرورة اسلامية تفرضها العقيدة لأنها نقطة إشعاع ومركز الأمل الكبير للمسلمين في

أحلك الظروف الظالمة التي سيمرّون بها، وقد أيّدت الظروف التي حلّت بالمسلمين بعد وفاته(صلى الله عليه وآله) هذه الأخبار السابقة لأوانها.

إنّ هذا التمهيد النبوي الواسع قد بلغت نصوصه ـ لدى الفريقين ـ ما يزيد على الـ (٥٠٠) نص حول حتمية ظهور المهدي(عليه السلام) وولادته وغيبته وظهوره وعلائم ظهوره وعدله وحكمه الإسلامي النموذجي.

وقد سار على درب الرسول(صلى الله عليه وآله) الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) خلال قرنين ـ وعملوا على تأكيد هذا الأصل وتأييده وإقراره في النفوس وجعله معلماً من معالم عقيدة المسلمين فضلاً عن الموالين لأهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم. وقد زرع هذا المبدأ ألغاماً تهدّد الظالمين بالخطر وتنذرهم بالفناء والقضاء عليهم وعلى خطّهم المنحرف، فهو مصدر اشعاع لعامة المسلمين كما أنه مصدر رعب للظالمين المتحكمين في رقاب المسلمين.

ولو لم يصدر من أهل البيت(عليهم السلام) إلا التأكيد على هذا المبدأ فقط ـ وإن لم يمارسوا أي نشاط سياسي ملحوظ ـ لكان هذا كافياً في نظر الحكّام للقضاء عليهم مادام هذا المبدأ يقضّ مضاجعهم.

ولكن اضطرارهم لمراعاة الرأي العام الإسلامي حال بينهم وبين ما يشتهونه ويخطّطون ضد أهل البيت(عليهم السلام) فكانت إرادة الله تفوق اراداتهم. غير أنهم لم يتركوا التخطيط للقضاء على أهل بيت الرسول(صلى الله عليه وآله).

فعن الحسين أشاعوا أنه قد خرج على دين جدّه وهو الذي كان يطلب الاصلاح في أُمة جده.

والإمام الكاظم(عليه السلام) ـ ومن سبقه ـ قد اتّهم بأنه يُجبىٰ له الخراج وهو يخطط للثورة على السلطان.

والإمام الرضا والجواد(عليهما السلام) قد قضي عليهما بشكل ماكر وخبيث

بالرغم من علم المأمون بأنه المتهم في اغتيال الرضا(عليه السلام) والمعتصم قد وظّف ابنة المأمون لارتكاب جريمة الاغتيال.

إذن كان التمهيد النبوي لقضية الإمام المهدي الإسلامية يشكّل نقطة أساسية ومعلماً لا يمكن تجاوزه، حرصاً على مستقبل الأُمة الإسلامية التي قدّر لها أن تكون أُمة شاهدة وأُمة وسطاً يفيء إليها الغالي ويرجع اليها التالي حتى ترفرف راية (لا إله إلّا الله محمد رسول الله) على ربوع الأرض ويظهر دينه الحق على الدين كله ولو كره الكافرون.

وقد ضحى أهل البيت(عليهم السلام) لهذا المبدأ القرآني الذي بيّنه الرسول(صلى الله عليه وآله) واعتمده أهل البيت(عليهم السلام) كخط عام وعملوا على تثبيته في نفوس المسلمين.

ويشهد لذلك ما ألّفه العلماء من كتب الملاحم التي اهتمّت بقضية الإمام المهدي(عليه السلام) في القرنين الأول والثاني الهجريين بشكل ملفت للنظر.

فالإمام المهدي(عليه السلام) قبل ولادته بأكثر من قرنين كان قد تلألأ اسمه وتناقلت الرواة أهدافه وخصائصه ونسبه وكل ما يمتّ الى ثورته الإسلامية بصلة.

واستمر التبليغ لذلك طوال قرنين ونصف قرن من الزمن. والمسلمون يسمعون كل ذلك ويتناقلون نصوصه جيلاً بعد جيل بل يعكفون على ضبطه والتأليف المستقل بشأنه.

والمتيقن أن عصر الإمامين الباقر والصادق(عليهما السلام) ومن تلاهما من الأئمة(عليهم السلام) قد حفل بهذا التأكيد. فقد أُحصيت نصوص الإمام الصادق(عليه السلام) بشأن المهدي فناهزت الـ(٣٠٠) نصاً. واستمر التأكيد على ذلك خلال العقود التي تلته.

فماهي إفرازات هذا الواقع الذي ذكرناه من الناحيتين السياسية والاجتماعية؟ وماهي النتائج المتوقعة لمثل هذه القضية التي لابد من إقرارها في نفوس المسلمين؟

وهنا نصّ جدير بالدراسة والتأمّل قد وصلنا من الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) في هذا الشأن بالخصوص وفيه تأييده لهذه الحقيقة الكبرى.

«قال أبو محمد بن شاذان ـ عليه الرحمة ـ حدّثنا أبو عبدالله بن الحسين ابن سعد الكاتب(رضي الله عنه) قال أبو محمد(عليه السلام): **قد وضع بنو أُمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلّتين: إحداهما: أنّهم كانوا يعلمون (انّ) ليس لهم في الخلافة حق فيخافون من ادّعائنا إيّاها وتستقرّ في مركزها. وثانيهما: انّهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على أن زوال ملك الجبابرة الظلمة على يد القائم منّا، وكانوا لا يشكّون أنهم من الجبابرة والظلمة، فسعوا في قتل أهل بيت سول الله(صلى الله عليه وآله) وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول الى منع تولد القائم(عليه السلام) أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلّا أن يتم نوره ولو كره المشركون**»(١).

ومن هنا نفهم السرّ في تسرّع الحكّام للقضاء على الثلث الأخير من أئمة أهل البيت الاثني عشر(عليهم السلام).

كما نفهم السرّ في تشديد الرقابة على تصرّفاتهم حتى قاموا بزرع العيون في داخل بيوتهم واستعانوا بشكل مكثّف بالعنصر النسوي لتحقيق هذه المراقبة الدقيقة والشاملة.

كما أننا يمكن أن نكتشف السر في أن الأئمة بعد الإمام الصادق(عليه السلام) لماذا لم يولدوا من نساء هاشميات يُشار إليهنّ بالبنان؟ بل ولدوا من اماء

---

(١) منتخب الأثر: ٣٥٩ ط ثانية عن أربعين الخاتون آبادي (كشف الحق).

طاهرات عفيفات مصطفاة ، فلم يكن هناك زواج رسمي وعلني وعليه فلا يكون الإمام المولود ملفتاً للنظر سوى للخواص والمعتمدين من أصحاب أهل البيت(عليهم السلام) .

وحين كان يقوم الإمام السابق بالتمهيد لإمامته وطرح اسمه على الساحة بالتدريج، حينئذٍ كان ينتبه الحكام لذلك وربما كانت تفوت عليهم الفرص لاغتياله والقضاء عليه.

ولهذا حين كان يشار إليه بالبنان وتتوجه إليه القلوب والنفوس كانت الدوائر الحاقدة تبدأ بالكيد له باستمرار .

قال أيوب بن نوح، قلت للرضا(عليه السلام): نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر وإن يردّه الله إليك من غير سيف فقد بويع لك وضربت الدراهم باسمك، فقال: **ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب وسئل عن المسائل وأشارت إليه الأصابع وحملت إليه الأموال إلّا اعتلّ ومات على فراشه حتى يبعث الله عزّ وجل لهذا الأمر رجلاً خفيّ المولد والمنشأ حتى خفي في نفسه**[1].

فالإمام الكاظم والإمام الرضا(عليهما السلام) قد استشهدا وهما في الخامسة والخمسين من عمرهما بينما الإمام الجواد(عليه السلام) قد استشهد وهو في الخامسة والعشرين من عمره من دون أن يكون كل واحد منهم قد أُصيب بمرض يوجب موته، بل كانوا أصحاء بحيث كانت صحتهم وسلامتهم الجسمية مثاراً لاتهام الحكّام الحاقدين عليهم.

إذن فالإمام الجواد(عليه السلام) بإمامته المبكّرة التي أصبحت حدثاً فريداً تتناقله الألسن سواء بين الأحبة أو الأعداء قد ضرب الرقم القياسي في القيادة

(١) كمال الدين: ٣٥٤.

الربّانية وذكّر الأمة بما كانت قد سمعته من إخبار القرآن الكريم بأن الله قد آتى كلاًّ من يحيى وعيسى الكتاب والحكم والنبوة في مرحلة الصبا.

بل لمست ذلك بكل وجودها وهي ترى طفلاً لا يتجاوز العقد الواحد وإذا به يهيمن على عقول وقلوب الملايين.

وفي هذا نوع إعداد لإمامة من يليه من الأئمة(عليهم السلام) الذين يتولّون الإمامة وهم في مرحلة الصبا خلافاً لما اعتاده الناس في الحياة.

وقد كانت إمامة ابنه الهادي(عليه السلام) ثاني مصداق لهذا الحدث الفريد الذي سوف لا يكون في تلك الغرابة بل سوف يعطي للخط الرسالي لأهل البيت(عليهم السلام) زخماً جديداً وفاعلية كبيرة إذ يحظى أتباعهم بمثل هذه النماذج الفريدة من أئمة أهل البيت(عليهم السلام).

والإمام المهدي الذي كان يتمّ التمهيد لولادته وإمامته رغم مراقبة الطغاة وترقّبهم لذلك، كان المصداق الثالث للإمامة المبكّرة. فلا غرابة في ذلك بعد استيناس الأمة بنموذجين من هذا النوع من الإمامة، على الصعيد الإسلامي العام وعلى الصعيد الشيعي الخاص.

من هنا كان الظرف الذي يحيط بالإمام الهادي(عليه السلام) ظرفاً انتقالياً من مرحلة الإمامة الظاهرة الى الإمامة الغائبة التي يُراد لها أن تدبّر الأمر ومن وراء الستار ويراد للأُمة أن تنفتح على هذا الإمام وتعتقد به وتتفاعل معه رغم حراجة الظروف.

فهو الظرف الوحيد لأعداد الأُمة لاستقبال الظرف الجديد. ولا سيّما إذا عرفنا أن الإمام الهادي هو السابع من تسعة أئمة من أبناء الحسين، والمهدي الموعود هو التاسع منهم وهو الذي مهّد لولادة حفيده من خلال ما خطط له من زواج خاص لولده الحسن العسكري دون أي اعلان عن ذلك، فلا توجد إلّا مسافة زمنية قصيرة جداً ينبغي له اغتنامها للإعداد اللازم والشامل.

إذن ما أقلّ الفرص المتاحة للإمام الهادي(عليه السلام) للقيام بهذا العبء الثقيل حيث إنه لابد له أن يجمع بين الدقة والحذر من جهة والابلاغ العام ليفوّت الفرص على الحكّام ويعمّق للأُمة مفهوم الانتظار والاستعداد للظهور والنهوض بوجه الظالمين. ولا أقل من إتمام الحجة على المسلمين ولو بواسطة المخلصين من أتباعه(عليه السلام).

ومن هنا كان على الإمام الهادي(عليه السلام) تحقيقاً للأهداف الكبرى أن يتجنب كل إثارة أو سوء ظن قد يوجه له من قبل الحكّام المتربّصين له ولابنائه من أجل أن يقوم بانجاز الدور المرتقب منه. وهو تحقيق همزة الوصل الحقيقية بين ما حقّقه الأئمة الطاهرون من آبائه الكرام وما سوف ينبغي تحقيقه بواسطة ابنه وحفيده(عليهما السلام)، ولهذا لم يُمهل الإمام الحسن العسكري سوى ست سنين فقط وهي أقصر عمر للإمامة في تاريخ أهل البيت(عليهم السلام) إذ دامت إمامة الإمام علي(عليه السلام) ثلاثين سنة والإمام الحسن السبط عشر سنين والإمام الحسين عشرين سنة والإمام زين العابدين خمساً أو أربعاً وثلاثين سنة. والإمام الباقر تسع عشرة سنة والإمام الصادق أربعاً وثلاثين سنة والإمام الكاظم خمساً وثلاثين سنة والإمام الرضا عشرين سنة والإمام الجواد رغم قصر عمره كانت إمامته سبع عشرة سنة والإمام الهادي أربعاً وثلاثين سنة.

وتأتي في هذا السياق كل الاجراءات التي قام بها الإمام الهادي(عليه السلام) من الحضور الرتيب في دار الخلافة وما حظي به من مقام رفيع عند جميع الأصناف والطبقات بدءً بالأُمراء والوزراء وقادة الجيش والكتّاب وعامة المرتبطين بالبلاط كما سوف يأتي توضيحه فيما بعد ان شاء الله تعالى وهكذا كل ما قام به بالنسبة للجماعة الصالحة التي سوف نفصّل الحديث عنها في فصل لاحق إن شاء الله تعالى.

متطلّبات الساحة الإسلامية في عصر الإمام الهادي(عليه السلام)

١ ـ ترك مقارعة الحاكمين وتجنّب إثارتهم.

٢ ـ الردّ على الإثارات الفكرية والشبهات الدينية.

٣ ـ التحدّي العلمي للسلطة وعلمائها.

٤ ـ توسيع دائرة النفوذ في جهاز السلطة.

١ ـ تجنّب إثارة الحكّام وعمّالهم

اتّسم سلوك الإمام الهادي(عليه السلام) طوال فترة إمامته بالتجنّب من أيّة إثارة للسلطة بدءً بما فرض عليه من مُؤدِّب يتولى أمره ثم الاستجابة لدعوة المتوكل واستقدامه الى سامراء وفسح المجال للتفتيش الذي قد تكرر في المدينة وسامراء بل تعدى ذلك الى تطمين المتوكل بأنّ الإمام(عليه السلام) لا يقصد الثورة عليه حين استعرض المتوكل قواته وقدرته العسكرية وأحضر الإمام في هذا الاستعراض ليطلعه على ما يملكه من قوّة لئلا يفكر واحد من أهل بيته(عليهم السلام) بالخروج على الخليفة. وإذا بالإمام الهادي(عليه السلام) يجيبه بأنا لا نناقشكم في الدنيا نحن مشتغلون بأمر الآخرة فلا عليك شيء ممّا تظن[١].

ولم يحصل المتوكل على أي مستمسك ضد الإمام بالرغم من التفتيش المفاجئ والمتكرر.

وقد لاحظنا كيف يتجنّب الإمام(عليه السلام) مثل هذه الإثارات الى جانب تقديمه للنصح والارشاد والموعظة للمتوكل.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٠/١٥٥.

روىٰ ابن شهرآشوب باسناده عن أبي محمد الفحام أنّه قال: سأل المتوكل ابن الجهم من أشعر الناس ؟ فذكر الجاهلية والإسلام. ثم انّه سأل أبا الحسن(عليه السلام)، فقال(عليه السلام) الحمّاني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة بمدّ خدود وامتداد أصابع

فلما تنازعنا المقال قضىٰ لنا عليهم بما نهوىٰ نداء الصوامع

ترانا سكوتاً والشّهيد بفضلنا عليهم جهير الصوت في كل جامع

فإن رسول الله احمد جدّنا ونحن بنوه كالنجوم الطوالع

قال: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن ؟

قال: **أشهد ان لا إله إلّا الله، واشهد ان محمداً رسول الله جدّي أم جدّك ؟**

فضحك المتوكل ثم قال: هو جدّك لا ندفعك عنه [١].

ولم يبخل الإمام الهادي(عليه السلام) بالإجابة العلمية فيما كان يشكل عليهم أمره كما لاحظنا، بل تعدّى ذلك الى وصف دواء ناجع لداء عدوّه المتوكل حين أيس من معالجات أطبّائه بالرغم من تظاهره بالعداء للعلويين [٢].

٢ ـ الردّ على الإثارات الفكرية والشبهات الدينية

وقد لاحظنا في عصر الإمام(عليه السلام) ما امتحنت به الأُمة الإسلامية بما عرف بمحنة خلق القرآن، والإثارات المستمرة حول الجبر والتفويض والاختيار.

وكانت للإمام الهادي(عليه السلام) مساهمات جادّة في كيفية معالجة الموقف بشكل ذكي، والرسالة التي أُثيرت عن الإمام الهادي(عليه السلام) لأهل الأهواز

---

(١) أمالي الطوسي: ٢٨٧ ح ٥٥٧ ومناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٣٨.

(٢) راجع الكافي: ٤٩٩/١.

تضمّنت ردّاً علمياً تفصيلياً على شبهة الجبر والتفويض، بل تضمّنت بيان منهج بديع سلكه الإمام(عليه السلام) في مقام الرد. وحيث كان الغلو والتصرّف من الظواهر المنحرفة في المجتمع الإسلامي، فقد واجههما الإمام الهادي(عليه السلام) بالشكل المناسب مع هاتين الظاهرتين[1].

٣ ـ التحدّي العلمي للسلطة وعلمائها

لقد كان الاختبار العلمي لأئمة أهل البيت(عليهم السلام) أقصر طريق للحكام لمعرفة ماهم عليه من الجدارة العلمية التي هي أحدى مقومات الإمامة. وهو في نفس الوقت أقصر طريق لأهل البيت(عليهم السلام) للتألّق العلمي في المجتمع الإسلامي.

ومن هنا كانت السلطة بعد اجراء أي اختبار علمي تحاول التعتيم عليه لئلا يستفيد أتباع أهل البيت(عليهم السلام) من هذه الورقة المهمّة ضد السلطة الحاكمة.

ولكن المصادر التاريخية قد حفظت لنا نصوص هذه الاختبارات وفيها ما يدلّ على الرّد القاطع من أهل البيت(عليهم السلام) على جميع التحديات العلمية التي خططت لهم وانتصارهم في هذا الميدان الذي كان يعيد لهم مرجعيتهم الدينية في الأُمة الإسلامية.

وإليك نموذجاً من هذا الاختبار الذي أجراه ابن الأكثم في عصر المتوكل ثم حاول التعتيم عليه.

فقد روى ابن شهر آشوب أنه: قال المتوكل لابن السكّيت اسأل ابن

(١) راجع الفصل الثالث من الباب الأول مبحث «التحذير من مجادلة الصوفيين». وراجع أيضاً مبحث «الإمام والغلاة» في الفصل الثاني من الباب الرابع.

الرّضا مسألة عوصاء بحضرتي. فسأله، فقال: لم بعث الله موسى بالعصا وبعث عيسى بابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى، وبعث محمّداً بالقرآن والسّيف؟ فقال أبو الحسن(عليه السلام): **بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السّحر، فاتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم واثبت الحجّة عليهم، وبعث عيسى بابراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب على أهله الطّب فاتاهم من ابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم.**

وبعث محمّداً بالقرآن في زمان الغالب على أهله السّيف والشّعر فأتاهم من القرآن الزاهر والسّيف القاهر ما بهر به شعرهم وبهر سيفهم وأثبت الحجّة عليهم، فقال ابن السّكيت: فما الحجّة الآن؟ **قال: العقل، يعرف به الكاذب على الله فيكذّب.**

فقال يحيى بن أكثم: ما لإبن السّكيت ومناظرته؟! وإنّما هو صاحب نحو وشعر ولغة، ورفع قرطاساً فيه مسائل فأملى عليّ بن محمد(عليه السلام) على ابن السّكيت جوابها[1].

وجاء في رواية أُخرى أن هذه الاسئلة قدكتبها ابن الأكثم لموسى بن محمد بن الرضا، ومن الواضح أن المقصود بها هو الإمام الهادي(عليه السلام) بلاريب. ولهذا جاء بها أخوه موسى إليه فأجاب عنها الإمام(عليه السلام)، وإليك نص الرواية:

عن موسىٰ بن محمد بن الرضا قال: لقيت يحيىٰ بن أكثم في دار العامة فسألني عن مسائل، فجئت إلىٰ أخي علي بن محمد (عليه السلام) فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته، فقلت له: جعلت فداك إنّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها، فضحك(عليه السلام) ثم قال: **وما هي؟**

---

(١) مسند الإمام الهادي(عليه السلام): ٢٥.

قلت :

كتب يسألني عن قول الله : ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتدّ إليك طرفك ﴾(١) نبي الله كان محتاجاً إلىٰ علم آصف؟

وعن قوله : ﴿ ورفع أبويه علىٰ العرش وخرّوا له سجّداً ﴾(٢) سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟

وعن قوله : ﴿ فإن كنت في شكّ ممّا انزلنا إليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب ﴾(٣) ، من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبي (صلى الله عليه وآله) فقد شكّ ، وان كان المخاطب غيره، فعلىٰ من إذن انزل الكتاب .

وعن قوله : ﴿ ولو أنّما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ﴾(٤) ما هذه الأبحر؟ وأين هي ؟

وعن قوله : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الاعين ﴾(٥) فاشتهت نفس آدم(عليه السلام) أكل البر فأكل واطعم وفيها ما تشتهي الأنفس ، فكيف عوقب ؟

وعن قوله ﴿ أويزوّجهم ذكراناً واناثاً ﴾(٦) يزوج الله عباده الذكران وقد عوقب قوم فعلوا ذلك؟

وعن شهادة المرأة جازت وحدها وقد قال الله : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾(٧)؟

---

(١) النمل (٢٧): ٤٠ .
(٢) يوسف (١٢): ١٠٠.
(٣) يونس (١٠): ٩٤.
(٤) لقمان: (٣١): ٢٧ .
(٥) الزخرف (٤٣): ٧١.
(٦) الشورىٰ (٤٢): ٥٠.
(٧) الطلاق (٦٥) : ٢.

وعن الخنثى، وقول علي (عليه السلام) : **يورث من المبال**، فمن ينظر ـ إذا بـال ـ إليه؟ مع أنّه عسىٰ أن يكون امرأة وقد نظر إليها الرجال ، أو عسىٰ أن يكـون رجلاً وقد نظرت إليه النساء ، وهـذا مـا لا يـحل . وشـهادة الجـار إلىٰ نـفسه لا تقبل.

وعن رجل أتـىٰ إلىٰ قـطيع غـنم فـرأىٰ الراعـي يـنزو عـلىٰ شـاة مـنها فلما بصر بصاحبها خلّىٰ سبيلها ، فـدخلت بـين الغـنم كـيف تـذبح؟ وهـل يجوز أكلها أم لا؟

وعن صلاة الفجر لِمَ يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار؟ وإنّـما يجهر في صلاة الليل.

وعن قول علي (عليه السلام) لابن جرموز: **بشر قاتل ابن صفية بالنار**، فلِمَ لم يقتله وهو إمام؟!

وأخـبرني عـن عـلي (عليه السلام) لم قـتل أهـل صـفين وأمـر بـذلك مـقبلين ومدبرين وأجاز علىٰ الجرحىٰ ؟ وكان حكمه يوم الجمل انه لم يـقتل مـولّياً ولم يجهز علىٰ جريح ولم يأمر بذلك ، وقال **من دخل داره فهو آمن** ، ومـن القـىٰ سلاحه **فهو آمن**. لِمَ فعل ذلك؟ فإن كـان الحكـم الأول صـواباً فـالثاني خـطأ .

وأخبرني عن رجل أقر باللواط علىٰ نفسه أيحد أم يدرأ عنه الحد؟

قال (عليه السلام) : اكتب إليه: قلت : وما اكتب؟ قال (عليه السلام) : **اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأنت فألهمك الله الرشد، أتاني كتابك فامتحنتنا به من تعنتك لتجد إلىٰ الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها والله يكافيك علىٰ نيتك ، وقد شرحنا مسائلك فاصغ إليها سمعك وذلل لها فهمك ، واشغل بها قلبك ، فقد لزمتك الحجة والسلام. سألت عن قول الله عزوجل : ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾ فهو آصف بن برخيا ، ولم يعجز سليمان (عليه السلام) عن معرفة ما عرف آصف لكنه صلوات الله عليه أحب أن يعرّف أُمته من الجن والانس انه الحجة من**

بعده ، وذلك من علم سليمان (عليه السلام) أودعه عند آصف بأمر الله ، ففهّمه ذلك لئلا يختلف عليه في امامته ودلالته ، كما فهّم سليمان(عليه السلام) في حياة داود (عليه السلام) لتعرف نبوته وامامته من بعد لتأكد الحجة على الخلق.

وأما سجود يعقوب (عليه السلام) وولده كان طاعة لله ومحبة ليوسف (عليه السلام) ، كما أن السجود من الملائكة لآدم (عليه السلام) لم يكن لآدم (عليه السلام) وانما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم (عليه السلام) ، فسجود يعقوب وولده ويوسف(عليه السلام) معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم ، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت : ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ـ الى آخر الآية ـ ﴾[1] .

وأما قوله : ﴿ فإن كنت في شكّ مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب ﴾. فإنّ المخاطب به رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولم يكن في شكّ مما انزل إليه ولكن قالت الجهلة كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشي في الأسواق؟! فأوحى الله إلى نبيه ، ﴿ فسئل الذين يقرءون الكتاب ﴾ بمحضر الجهلة ، هل بعث الله رسولاً قبلك إلّا هو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أُسوة ، وإنّما قال: فإن كنت في شكّ ولم يكن شكّ ولكن للمنفعة كما قال : ﴿ تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ﴾[2].

ولو قال (عليكم) لم يجيبوا إلى المباهلة ، وقد علم الله ان نبيه يؤدي عنه رسالته وما هو من الكاذبين ، فكذلك عرف النبي انه صادق فيما يقول ولكن أحب ان ينصف من نفسه .

وأما قوله : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر

---

(١) يوسف (١٢): ١٠٢.

(٢) آل عمران (٣) : ٦١.

ما نفدت كلمات الله ﴾ . فهو كذلك لو أن اشجار الدنيا أقلام والبحر يمدّه سبعة أبحر وانفجرت الارض عيوناً لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله وهي عين الكبريت وعين النمر وعين الـ (برهوت) وعين طبرية وحمّة ماسبندان وحمّة افريقية يدعى لسان وعين بحرون ، ونحن كلمات الله لا تنفد ولا تدرك فضائلنا .

وأما الجنة فإن فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأباح الله ذلك كلّه لآدم(عليه السلام) والشجرة التي نهىٰ الله عنها آدم(عليه السلام) وزوجته ان يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما ان لا ينظرا إلىٰ من فضّل الله علىٰ خلائقه بعين الحسد فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزما .

وأما قوله : ﴿ أو يزوجهم ذكراناً واناثاً ﴾ أي يولد له ذكور ويولد له اناث يقال لكل اثنين مقرنين زوجان كل واحد منهما زوج ، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبّست به علىٰ نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم ، ﴿... ومن يفعل ذلك يلق اثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلُد فيه مهاناً ﴾[(١)] إن لم يتب .

وأما شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة جازت شهادتها مع الرضا ، فإن لم يكن رضاً فلا أقل من امرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة ، لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها ، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها.

وأما قول علي (عليه السلام) في الخنثىٰ فهي كما قال : ينظر قوم عدول يأخذ كل واحد منهم مرآة وتقوم الخنثىٰ خلفهم عريانة وينظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه .

وأمّا الرجل الناظر إلىٰ الراعي وقد نزا علىٰ شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها ، وإن لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما فإذا وقع علىٰ أحد النصفين فقد نجا النصف الآخر ، ثم يفرق النصف الآخر فلا يزال كذلك حتىٰ تبقىٰ شاتان فيقرع بينهما فأيتها وقع السهم بها

---

(١) الفرقان (٢٥): ٦٨ ـ ٦٩ .

ذبحت واحرقت ونجا سائر الغنم.

وأما صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة ، لأن النبي(صلى الله عليه وآله) كان يغلس بها فقراءتها من الليل .

وأما قول علي (عليه السلام) : بشّر قاتل ابن صفية بالنار فهو لقول رسول الله(صلى الله عليه وآله) وكان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله أمير المؤمنين(عليه السلام) بالبصرة لأنه علم أنه يقتل في فتنة نهروان .

وأما قولك : ان علياً(عليه السلام) قتل أهل صفين مُقبلين ومُدبرين وأجاز على جريحهم وانه يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجهز على جريح ومن ألقى سلاحه آمنه ومن دخل داره آمنه ، فإن أهل الجمل قتل امامهم ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها وانما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين رضوا بالكف عنهم فكان الحكم فيها رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه اعواناً .

وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وامام يجمع لهم السلاح: الدروع والرماح والسيوف ويسني لهم العطاء ، يهيء لهم الأنزال ويعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم فلم يساوِ بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتل اهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم ، فمن رغب عرض على السيف أو يتوب من ذلك .

وأما الرجل الذي اعترف باللواط فإنه لم تقم عليه بينة وإنّما تطوع بالاقرار من نفسه وإذا كان للإمام الذي من الله ان يعاقب عن الله كان له أن يمنّ عن الله ، أما ما سمعت قول الله : ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ ، قد انبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك[1].

وقد أوضحت هذه الرواية الموقع العلمي للإمام(عليه السلام) ومدى تحدّيه لعلماء عصره

---

(١) تحف العقول : ٣٥٢.

ولاسيّما علماء البلاط الذين لا يروق لهم مثل هذا التحدّي.

ولهذا قال ابن أكثم للمتوكل بعد ما قرأ هذه الأجوبة: ما نحب أن نسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه وانّه لا يرد عليه شيء بعدها إلّا دونها وفي ظهور علمه تقوية للرافضة[١].

٤ ـ توسيع دائرة النفوذ في جهاز السلطة

إنّ النفوذ الذي نجده للإمام الهادي(عليه السلام) هو النفوذ المعنوي على عامة رجال السلطة بما فيهم من لا يدين بالولاية لأهل البيت(عليهم السلام).

وقد كانت أساليب الإمام(عليه السلام) في هذا المجال متنوّعة وواسعة فإنه كان مطالباً بالحضور في دار الخلافة بشكل مستمر. ومن هنا كان التعرّف على شخص الإمام(عليه السلام) وهديه وسكونه واتّزانه أمراً طبيعياً وفّر له هذه الفرصة والتي لم يلتفت الحكّام الى مدى تبعاتها وآثارها التي تركتها في الساحة الإسلامية العامة ورواد البلاط بشكل خاص.

وقد كانت للإمام(عليه السلام) كرامات شتى كلّما دخل وخرج من دار الخلافة.

وقد قال أحد ندماء المتوكل للمتوكل: ما يعمل أحد بك أكثر مما تعمله بنفسك في علي بن محمد، فلا يبقى في الدار إلّا من يخدمه ولا يتبعونه بشيل ستر ولا فتح باب ولا شيء، وهذا إذا علمه الناس قالوا: لو لم يعلم استحقاقه للأمر ما فعل به هذا، دعه إذا دخل عليه يشيل الستر لنفسه ويمشي كما يمشي غيره فيمسه بعض الجفوة.

فتقدم ألّا يخدم ولا يشال بين يديه ستر، وكان المتوكل ما رأى أحداً ممّن يهتم بالخبر مثله. قال: فكتب صاحب الخبر إليه: أنّ علي بن محمد

---

(١) المناقب: ٣/٤٤٣.

دخل الدار فلم يخدم ولم يشل أحد بين يديه ستر فهب هواء رفع الستر له فدخل. فقال: اعرفوا حين خروجه، فذكر صاحب الخبر أن هواء خالف ذلك الهواء شال الستر له حتى خرج، فقال: ليس نريد هواء يشيل الستر، شيلوا الستر بين يديه(١).

كما نجد جملة من الكتّاب والحجّاب والعيون وحتى السجّان فضلاً عن بعض القادة والاُمراء كانوا يدينون بالولاء والحبّ الخاص للإمام الهادي(عليه السلام)، وقد رأينا في قصة مرض المتوكل ونذر اُمه للإمام الهادي(عليه السلام)(٢) ما يدل دلالة واضحة على مدى نفوذ الإمام(عليه السلام) في هذه الأوساط ، بينما كان المتوكّل قد خطّط لإبعاد الإمام عن شيعته ومحبّيه وإذا بالإمام (عليه السلام) يكتسح نفوذه المعنوي أرباب البلاط ويستبصر على يديه مجموعة ممّن لم يكن يعرف الإمام(عليه السلام) أو لم يكن ليواليه ، وكان الإمام(عليه السلام) يستفيد من هؤلاء في تحرّكه وارتباطاته التي خطّط الحكّام لمراقبتها أو قطعها وإبعاد الإمام(عليه السلام) عن قواعده وعن الوسط الاجتماعي الذي يريد أن يتحرّك فيه.

(١) مسند الإمام الهادي(عليه السلام): ٣٩.

(٢) راجع مبحث تفتيش دار الإمام(عليه السلام) في حكم المتوكّل.

الفصل الثاني

الإمام الهادي (عليه السلام) وتكامل بناء الجماعة الصالحة وتحصينها

١ ـ الإمام الهادي(عليه السلام) وقضية حفيده المهدي(عليه السلام)

عرفنا أن قضية الإمام المهدي(عليه السلام) في عصر الإمام الهادي(عليه السلام) تعدّ قضية أساسية للمسلمين بشكل عام ولأتباع أهل البيت(عليهم السلام) بشكل خاص والظروف التي كانت تحيط بالإمام الهادي(عليه السلام) كانت تزداد حراجة كلّما اقتربت أيّام ولادة الإمام المهدي(عليه السلام) وغيبته.

ولابد أن نبحث عن هذه القضية في محورين: الأول منهما خاص بالإمام المهدي(عليه السلام)، والثاني منهما يرتبط بأتباعه وشيعته.

أما المحور الأول، فالإمام الهادي(عليه السلام) مسؤول عن ترتيب التمهيدات اللازمة لولادة الإمام المهدي(عليه السلام) بحيث يطّلع الأعداء عليها وهم يراقبون بدقة كل تصرفات الإمام الهادي ونشاط ابنه الحسن العسكري(عليهما السلام).

وتشير النصوص الى كيفية تدخّل الإمام الهادي(عليه السلام) لاختيار زوجة صالحة للإمام الحسن العسكري(عليه السلام) بحيث تقوم بالدور المطلوب منها في اخفاء ولادة ابنها المنتظر[1].

وقد تظافرت نصوص الإمام الهادي(عليه السلام) على أن المهدي الذي ينتظر

---

(١) راجع القصة في كمال الدين: ٤١٧، ومسند الإمام الهادي: ٩٨ ـ ١٠٤.

هو حفيده وولد الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) وانّه الذي يولد خفية ويقول الناس عنه أنه لم يولد بعد، وانه الذي لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه. وهكذا، وتضمّنت هذه النصوص جملة من التعليمات الكفيلة بتحقيق غطاء ينسجم مع مهمة الاختفاء والغيبة من قبل الإمام المهدي(عليه السلام).

ومن أجل تحقيق عنصر الارتباط بالإمام في مرحلة الغيبة الأُولى والتي تعرف بالصغرى عمل الإمام على ربط شيعته ببعض وكلائه بشكل خاص وجعله حلقة الوصل بعد كسب ثقة شيعته بهذا الوكيل الذي تولّى مهمة الوكالة للإمام الهادي والعسكري والمهدي(عليهم السلام) معاً، وبذلك يكون قد مهّد لسفارة أوّل سفراء الإمام المهدي(عليه السلام) من دون حدوث مضاعفات خاصة. لأن أتباع أهل البيت(عليهم السلام) قد اعتادوا على الارتباط بالإمام المعصوم من خلاله.

وإليك نصوص الإمام الهادي(عليه السلام) حول قضية الإمام المهدي(عليه السلام):

١ ـ الكليني، عن علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن أيوب بن نوح، عن أبي الحسن الثالث(عليه السلام) قال: **إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقّعوا الفرج من تحت أقدامكم.**

٢ ـ الصدوق قال: حدّثنا علي بن أحمد بن موسى الدقّاق؛ وعليّ بن عبدالله الورّاق رضي الله عنهما قالا: حدّثنا محمد بن هارون الصوفي قال: حدثنا أبو تراب عبدالله بن موسى الرّوياني، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنيّ قال: دخلت على سيدي علي بن محمد(عليهما السلام) فلمّا بصربي قال لي: **مرحباً بك يا أبا القسم أنت وليّنا حقاً** قال: فقلت له: يابن رسول الله إنّي أُريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضياً ثبتُّ عليه حتى ألقى الله عزّ وجل.

فقال: هات يا أبا القاسم، فقلت: إنّي أقول: إنّ الله تبارك وتعالى واحد، ليس

كمثله شيء، خارج عن الحدّين حدّ الإبطال وحدّ التشبيه، وإنّه ليس بجسم ولا صورة، وعرض ولا جوهر، بل هو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء ومالكه وجاعله ومحدثه، وإن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله خاتم النبيين فلا نبيّ بعده الى يوم القيامة، وإن شريعته خاتمة الشرائع فلا شريعة بعدها الى يوم القيامة.

وأقول: إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم أنت يا مولاي، فقال(عليه السلام): **ومن بعدي الحسن ابني فكيف للناس بالخلق من بعده؟** قال: قلت: وكيف ذاك يا مولاي؟ قال: **لأنه لا يرى شخصه، ولا يحلّ ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.**

قال: فقلت: أقررت وأقول: إنّ وليهم ولي الله، وعدوّهم عدوّ الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله. وأقول: إن المعراج حقٌّ، والمساءلة في القبر حقٌّ، وإن الجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، والميزان حقٌّ، ﴿**وإنّ الساعة آتية لا ريب فيها * وانّ الله يبعث من في القبور**﴾. وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية: الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقال علي بن محمد(عليهما السلام): **يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه، ثبّتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا و [في] الآخرة**[1].

٣ ـ عنه قال: حدثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري، عن محمد بن عمر الكاتب، عن عليّ بن محمد الصيمريّ، عن علي بن

(١) كمال الدين: ٣٧٩.

مهزيار قال: كتبت الى أبي الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) اسأله عن الفرج، فكتب إليّ: **إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرج**[١].

٤ ـ عنه قال: حدّثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدثنا سعد بن عبدالله قال: حدّثني إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ بن مهزيار، عن عليّ بن محمد بن زياد قال: كتبت الى أبي الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) اسأله عن الفرج، فكتب إليّ: **إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرج**[٢].

٥ ـ عنه قال: حدثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدثنا سعد بن عبدالله قال: حدثنا محمد بن عبدالله بن أبي غانم القزويني قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن فارس قال: كنت أنا [ونوح] وأيوب بن نوح في طريق مكة فنزلنا على وادي زبالة فجلسنا نتحدث فجرى ذكر ما نحن فيه وبعد الأمر علينا فقال أيوب بن نوح: كتبت في هذه السنة أذكر شيئاً من هذا، فكتب إليّ: **إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقّعوا الفرج من تحت أقدامكم**[٣].

٦ ـ عن أبي جعفر محمد بن أحمد العلوي عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت ابا الحسن (عليه السلام) يقول: **الخلف بعدي ابني الحسن فكيف بالخلف بعد الخلف؟!** فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ قال: **انكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه** قلت: فكيف نذكره؟ فقال: **قولوا الحجة من آل محمد (صلى الله عليه وآله)**[٤].

٧ ـ عن الصقر بن أبي دلف قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا (عليهم السلام) يقول: **الإمام بعدي الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ**

---

(١) كمال الدين: ٣٨٠.

(٢) كمال الدين: ٣٨١.

(٣) كمال الدين: ٣٨١.

(٤) اثبات الوصية: ٢٠٨.

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً[١].

٨ ـ روى علي بن ابراهيم عن ابيه عن علي بن صدقة عن علي بن عبد الغفار قال: لما مات أبو جعفر الثاني كتبت الشيعة إلى أبي الحسن صاحب العسكر يسألونه عن الآخر فكتب (عليه السلام): **الأمر بي ما دمت حياً فإذا نزلت بي مقادير الله تبارك وتعالى أتاكم الخلف مني، فأنّى لكم بالخلف بعد الخلف؟!**

٩ ـ وروى اسحاق بن محمد بن ايوب قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: **صاحب هذا الأمر من يقول الناس لم يولد بعد**»[٢].

وأما المحور الثاني فهو الأعداد النفسي وتحقيق الاستعداد الواقعي لدور غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) من قبل شيعة الإمام (عليه السلام).

وقد حقق الإمام هذا الاستعداد وأخرجه من عالم القوة الى عالم الفعلية بما خططه لشيعته من تعويدهم على الاحتجاب عنهم والارتباط بهم من خلال وكلائه ونوابه، وتوعيتهم على الوضع المستقبلي لئلا يُفاجأوا بما سيطر عليهم من ظروف جديدة لم يألفوها من ذي قبل.

وكان للإمام الهادي (عليه السلام) أسلوب خاص لطرح إمامة ابنه الحسن العسكري (عليه السلام) بما يتناسب مع مهمته المستقبلية في الحفاظ على حجة الله ووليّه الذي سيولد في ظرف حرج جداً، ليتسنى لأتباعه الانقياد للإمام من بعده والتسليم له فيما سيخبر به من وقوع الولادة وتحقق الغيبة وتحقّق الارتباط به عبر سفيره الذي تعرّفت عليه الشيعة ووثقت به.

ولهذا تفنّن الإمام الهادي (عليه السلام) في كيفية طرح إمامة الحسن (عليه السلام) وزمن طرح ذلك وكيفية الإشهاد عليه.

---

(١) كمال الدين: ٣٨٣ ح ١٠ وعنه في اعلام الورى: ٢٤٧/٢.

(٢) اعلام الورى: ٢٤٧/٢ الحديث الأخير وقبله.

ومنه يبدو أن التعتيم الإعلامي حتى على إمامة الحسن العسكري(عليه السلام) كان مقصوداً للإمام الهادي(عليه السلام)، فتارة ينفي إمامة غيره وأُخرى يكنّيه وثالثة يصفه ببعض الصفات التي قد توهم ارادة غيره في بادئ النظر وترشد إليه في نهاية المطاف كما ورد عنه أن هذا الأمر في الكبير من ولدي. حيث إن الكبير هو (محمد) المكنى بأبي جعفر غير أنه قد مات في حياة والده فلم يكن الكبير سوى الحسن(عليه السلام).

وإليك جملة من هذه النصوص التي يمكن تصنيفها بحسب تسلسلها الزمني الى ما صدر من الإمام الهادي(عليه السلام) قبل وفاة أبي جعفر، وماصدر حين وفاته، وما صدر بعدها، وما صدر منه قبيل استشهاد الإمام الهادي(عليه السلام). ويكفي الاطلاع عليها بتسلسلها التاريخي لنطمئن بتخطيط الإمام الهادي(عليه السلام) من أجل تحصين الجماعة الصالحة من كل إبهام أو تشكيك أو فراغ عقائدي أو انهيار، بعد إيضاح الحق وتبلّجه لأهله الذين عرفوا أن الأرض لا تخلو من حجة إما ظاهر مشهور أو خائف مستور.

وإليك هذه النصوص كالآتي:

١ ـ عن علي بن عمرو العطار قال: دخلت على أبي الحسن العسكري(عليه السلام) وأبو جعفر ابنه في الاحياء، وأنا أظن انه هو فقلت: جعلت فداك من أخص من ولدك ؟ فقال: **لا تخصوا أحداً حتى يخرج إليكم أمري**.

قال: فكتبت إليه بعد: فيمن يكون هذا الامر ؟ قال: فكتب إلي: **في الكبير من ولدي**[1].

ولا تعني اشارة الإمام إلى ولده أبي جعفر فهو يعلم أنه سيمضي في حياته وسيكون الكبير أبا محمد العسكري(عليه السلام) وهو المؤهل لها دون غيره من إخوته.

(١) أصول الكافي: ١ / ٣٢٦ ح ٧.

٢ ـ وعن علي بن عمر النوفلي قال: كنت مع أبي الحسن (عليه السلام) في صحن داره فمرّ محمد ابنه فقلت له جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: **لا، صاحبكم بعدي الحسن**[١].

٣ ـ عن اسحق بن محمد عن محمد بن يحيىٰ بن رئاب قال: حدثني أبو بكر الفهفكي قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن (عليه السلام) أسأله عن مسائل فلما نفذ الكتاب قلت في نفسي: إني كتبت فيما كتب أسأله عن الخلف من بعده وذلك بعد مضي محمد ابنه فأجابني عن مسائلي: **وكنت أردت ان تسألني عن الخلف، أبو محمد ابني اصح آل محمد صلىٰ الله عليه وآله غريزة واوثقهم عقيدة بعدي وهو الاكبر من ولدي إليه تنتهي عرىٰ الامامة واحكامها فما كنت سائلاً عنه فسله فعنده علم ما يحتاج إليه والحمد لله**[٢].

٤ ـ عن علان الكلابي عن اسحق بن اسماعيل النيشابوري قال حدثني شاهويه بن عبد الله الجلاب قال: كنت رويت دلائل كثيرة عن أبي الحسن (عليه السلام) في ابنه محمد فلما مضى بقيت متحيراً وخفت ان اكتب في ذلك فلا ادري ما يكون فكتبت اسأل الدعاء، فخرج الجواب بالدعاء لي وفي آخر الكتاب: **اردت ان تسأل عن الخلف وقلقت لذلك فلا تغتم فإنّ الله عزوجل لا يضل قوماً بعد ان هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وصاحبك بعدي أبو محمد ابني عنده علم ما تحتاجون إليه يقدم الله ما يشاء ويؤخر ما يشاء قد كتبت بما فيه تبيان لذي لب يقظان**[٣].

٥ ـ حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رضي الله عنه) قال: حدثنا الصقر بن أبي دلف قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا (عليه السلام) يقول: **ان الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض**

(١) أصول الكافي: ١ / ٣٢٥ ح ٢.
(٢) اثبات الوصية: ٢٠٨.
(٣) اثبات الوصية: ٢٠٩.

قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً[١].

٦ ـ عن علي بن محمد ، عن محمد بن أحمد النهدي ، عن يحيى بن يسار القنبري قال: أوصى أبو الحسن(عليه السلام) إلى ابنه الحسن قبل مضيه بأربعة أشهر ، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي[٢].

٢ ـ تحصين الجماعة الصالحة وإعدادها لمرحلة الغيبة

إنّ هذا الترصين وإكمال البناء الذي نريد الحديث عنه قد قام به الإمام الهادي(عليه السلام) في كل المجالات التي تهمّ الجماعة الصالحة التي سوف تفقد نعمة الارتباط بالإمام المعصوم(عليه السلام) في وقت لاحق وقريب جداً. فلابد أن يتكامل بناؤها بحيث تكتفي بما لديها من نصوص وتراث علمي وعلماء بالله تعالى يمارسون مهمة الريادة الاجتماعية والفكرية والدينية ويسهرون على مصالح وشؤون هذه الجماعة لتستمر في مسيرتها التكاملية باتجاه الأهداف الرسالية المرسومة لها.

ونلخّص هذا التحصين في المجالات التالية:

الف: التحصين العقائدي.

ب: التحصين العلمي.

ج: التحصين التربوي.

د: التحصين الأمني.

هـ: التحصين الاقتصادي

---

(١) كمال الدين : ٣٨٢ ح ٨ وعنه في اعلام الورى: ٢/ ٢٤٧ .

(٢) أصول الكافي : ١ / ٣٢٥ ح ١ ب النص على إمامة أبي محمد(عليه السلام).

التحصين العقائدي

تمثّل التحصين العقائدي الذي مارسه الإمام(عليه السلام) في تبيان وشرح وتعميق المفاهيم العقائدية بشكل خاص والدينية بشكل عام. كما تمثّل في دفع الشبهات والإثارات الفكرية كانت تتداولها المدارس الفكرية آنذاك.

والنصوص التي أُثرت عن الإمام (عليه السلام) حول الرؤية والجبر والاختيار والتفويض والرد على الشبهات المثارة حول آيات القرآن الكريم تفيد تصدّي الإمام(عليه السلام) لهذا التحصين العقائدي في الساحة الإسلامية العامة والخاصة معاً.

ولم يكتف الإمام(عليه السلام) بالرد على الشبهات العامة بل تصدّى للردّ الخاص على ماكان يثار من تساؤلات خاصة تعرض لافراد من أتباعه أو ممن كان يتوسّم فيهم الإمام(عليه السلام) الانقياد للحق كبعض الواقفة الذين اهتدوا بفضل توجيهات الإمام(عليه السلام).

قال علي بن مهزيار: وردت العسكر وأنا شاكّ في الإمامة فرأيت السلطان قد خرج الى الصيد في يوم الربيع إلّا انّه صائف والناس عليهم ثياب الصيف وعلى أبي الحسن لباد وعلى فرسه تجفاف لبود وقد عقد ذنب الفرس، والناس يتعجبون منه ويقولون ألا ترون هذا المدني ما قد فعل بنفسه، فقلت في نفسي: لو كان هذا إماماً، ما فعل هذا.

فلما خرج الناس الى الصحراء لم يلبثوا ان ارتفعت سحابة عظيمة هطلت فلم يبق أحد إلّا ابتلّ حتى غرق بالمطر وعاد(عليه السلام) وهو سالم من جميعه، فقلت في نفسي: يوشك أن يكون هو الإمام، ثم قلت: أُريد أن اسأله عن الجنب إذا غرق في الثوب فقلت في نفسي: ان كشف وجهه فهو الإمام.

فلمّا قرب مني كشف وجهه ثم قال: إن كان عرق الجنب في الثوب

وجنابته من حرام لا يجوز الصلاة فيه وان كان جنابته من حلال فلا بأس. فلم يبق في نفسي بعد ذلك شبهة[1].

وروى هبة الله بن أبي منصور الموصلي أنه كان بديار ربيعة كاتب نصراني وكان من أهل كفرتوثا يسمى يوسف بن يعقوب وكان بينه وبين والدي صداقة، قال: فوافى فنزل عند والدي فقال له: ما شأنك قدمت في هذا الوقت؟ قال: دعيت الى حضرة المتوكل ولا أدري ما يراد مني إلّا أني اشتريت نفسي من الله بمائة دينار، وقد حملتها لعلي بن محمد بن الرضا(عليهما السلام) معي فقال له والدي: قد وفّقت في هذا.

قال: وخرج الى حضرة المتوكل وانصرف إلينا بعد أيام قلائل فرحاً مستبشراً فقال له والدي: حدثني حديثك، قال: صرت الى سرّ من رأى وما دخلتها قطّ فنزلت في دار وقلت أحبّ أن أُوصل المائة الى ابن الرضا(عليه السلام) قبل مصيري الى باب المتوكل وقبل أن يعرف أحد قدومي، قال: فعرفت أن المتوكل قد منعه من الركوب وأنه ملازم لداره، فقلت: كيف أصنع؟ رجل نصراني يسأل عن دار ابن الرضا؟ لا آمن أن يبدربي فيكون ذلك زيادة فيما أُحاذره.

قال: ففكّرت ساعة في ذلك فوقع في قلبي أن أركب حماري وأخرج في البلد ولا أمنعه من حيث يذهب لعلّي أقف على معرفة داره من غير أن اسأل أحداً، قال: فجعلت الدنانير في كاغذة وجعلتها في كمّي وركبت فكان الحمار يتخرق الشوارع والأسواق يمرّ حيث يشاء الى أن صرت الى باب دار، فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل، فقلت للغلام: سل لمن هذه الدار، فقيل: هذه

(١) المناقب: ٢/ ٤٥١.

دار ابن الرضا! فقلت: الله أكبر دلالة والله مقنعة.

قال: وإذا خادم أسود قد خرج، فقال: أنت يوسف بن يعقوب؟ قلت: نعم. قال: إنزل، فنزلت فأقعدني في الدّهليز فدخل، فقلت في نفسي: هذه دلالة أُخرى من أين عرف هذا الغلام اسمي وليس في هذا البلد من يعرفني ولا دخلته قط.

قال: فخرج الخادم فقال: مائة دينار التي في كمّك في الكاغذ هاتها! فناولته إيّاها، قلت: وهذه ثالثة. ثم رجع إليّ وقال: ادخل فدخلت إليه وهو في مجلسه وحده فقال: **يا يوسف ما آن لك؟** فقلت: يا مولاي قد بان لي من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى.

فقال: **هيهات إنّك لا تسلم ولكن سيسلم ولدك فلان، وهو من شيعتنا، يا يوسف إن أقواماً يزعمون أنّ ولايتنا لا تنفع أمثالكم، كذبوا والله إنها لتنفع أمثالك امض فيما وافيت له فانّك سترى ما تحبّ.** قال: فمضيت الى باب المتوكل فقلت كلّ ما أردت فانصرفت.

قال هبة الله: فلقيت ابنه بعد هذا ـ يعني بعد موت والده ـ والله وهو مسلم حسن التشيع فأخبرني أن أباه مات على النصرانية، وأنّه أسلم بعد موت أبيه، وكان يقول: أنا بشارة مولاي (عليه السلام)(١).

وروى أبو القاسم البغدادي عن زرارة قال: أراد المتوكّل: أن يمشي علي ابن محمد بن الرضا (عليه السلام) يوم السّلام فقال له وزيره: إنّ في هذا شناعة عليك وسوء قالة فلا تفعل، قال: **لا بد من هذا.** قال: فان لم يكن بد من هذا فتقدم بأن يمشي القوّاد والأشراف كلهم، حتى لا يظن الناس أنك قصدته بهذا دون

(١) بحار الأنوار: ١٤٢/٥٠.

غيره، ففعل و مشى(عليه السلام) وكان الصيف فوافى الدهليز وقد عرق.قال: فلقيته فأجلسته في الدهليز ومسحت وجهه بمنديل وقلت: ابن عمّك لم يقصدك بهذا دون غيرك، فلا تجد عليك في قلبك.

فقال: إيهاً عنك ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ذلك وعد غير مكذوب﴾.

قال زرارة: وكان عندي معلم يتشيّع وكنت كثيراً أُمازحه بالرافضيّ فانصرفت الى منزلي وقت العشاء وقلت: تعال يا رافضي حتى أُحدثك بشيء سمعته اليوم من إمامكم، قال لي: وما سمعت؟ فأخبرته بما قال، فقال: أقول لك فاقبل نصيحتي. قلت: هاتها، قال: إن كان عليّ بن محمد قال بما قلت فاحترز واخزن كلّ ما تملكه فانّ المتوكل يموت أو يقتل بعد ثلاثة أيام. فغضبت عليه وشتمته وطردته من بين يديّ فخرج.

فلما خلوت بنفسي، تفكّرت وقلت: ما يضرّني أن آخذ بالحزم، فان كان من هذا شيء كنت قد اخذت بالحزم، وإن لم يكن لم يضرّني ذلك، قال: فركبت الى دار المتوكّل فأخرجت كل ما كان لي فيها وفرّقت كلّ ما كان في داري الى عند أقوام أثق بهم، ولم أترك في داري إلّا حصيراً أقعد عليه.

فلمّا كانت الليلة الرابعة قتل المتوكل وسلمت أنا ومالي وتشيعت عند ذلك، فصرت إليه، ولزمت خدمته، وسألته أن يدعو لي وتواليته حق الولاية[1].

وباسناده عنه قال: اجتمعنا أيضاً في وليمة لبعض أهل سرّ من رأى وأبوالحسن معنا فجعل رجل يعبث ويمزح ولا نرى له اجلالاً، فاقبل على جعفر وقال: انه لا يأكل من هذا الطعام وسوف يرد عليه من خبر أهله ما ينغص عليه عيشه، فقدمت المائدة فقال: ليس بعد هذا خبر ،وقد بطل قوله فوالله لقد

(١) بحار الأنوار: ١٤٧/٥٠.

غسل الرجل يده وأهوى الى الطعام فإذا غلامه قد دخل من باب البيت يبكي وقال: الحق أُمّك فقد وقعت من فوق البيت وهي بالموت فقال جعفر: قلت: والله لا وقفت بعد هذا وقطعت عليه[1].

الموقف من الغلاة والفرق المنحرفة

ويعتبر موقف الإمام الهادي (عليه السلام) الصارم مع الغلاة خطوة من خطوات التحصين العقائدي للجماعة الصالحة وإبعادها من عوامل الإنحراف والزيغ العقائدي الذي ينتهي الى الكفر بالله تعالى أو الشرك به.

ويكمن نشاطه (عليه السلام) في فضح حقيقة هذا الخط المنحرف كما تجلى في فضح عناصره.

والنصوص التي بأيدينا أشارت الى أن الذين عرفوا بالغلو في عصره هم: أحمد بن هلال العبرطائي البغدادي والحسين بن عبيدالله القمي الذي أخرج من قم لاتّهامه بالغلو، ومحمد بن أرومة، وعلي بن حسكة القمي، والقاسم اليقطيني، والفهري، والحسن بن محمد بن بابا القمي وفارس بن حاتم القزويني.

وأما كيفية تعامل الجماعة الصالحة، مع هؤلاء فقد بيّنه (عليه السلام) فيما يلي:

فعن أحمد بن محمد بن عيسى قال: كتبت إلى الإمام الهادي (عليه السلام) في قوم يتكلمون ويقرأون أحاديث ينسبونها إليك والى آبائك فيها ما تشمئز منها القلوب... وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تأولوها.. فإن رأيت أن تبين لنا وأن تمن على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من هذه الأقاويل

(١) الثاقب: ٢١٤.

التي تصيّرهم إلىٰ العطب والهلاك؟ والذين ادّعوا هـذه الاشـياء، ادعـوا انـهم أولياء ، ودعوا إلىٰ طاعتهم منهم علي بن حسكة والقاسم اليقطيني فما تقول في القبول منهم جميعاً ؟

فكتب الإمام الهادي(عليه السلام): «ليس هذا ديننا فاعتزله»(١)

ظاهرة الزيارة ودورها في التحصين العقائدي

إنّ ظاهرة الاهتمام بالزيارة لأهـل البـيت(عليهم السلام) جـميعاً أو لآحـاد مـن الأئمة(عليهم السلام) كالزيارة المعروفة بالجامعة الكبيرة أو زيارة أمير المؤمنين(عليه السلام) هي خطوة مهمة في مجال تعميق الوعي وترسيخ الولاء والانشداد لأهل بيت الرسالة(عليهم السلام) وفي هذا التعميق الواعي والانشداد العاطفي تـحصين عـقائدي واضح تميّز به الإمام الهادي(عليه السلام).

وحين نقف على جملة المفاهيم التي وردت في هذه الزيارات تلمس بوضوح هذا الخط من التحصين العقائدي فيها.

ولنقف بعض الوقت متأملين عند هاتين الزيـارتين المـأثورتين عـن الإمام الهادي(عليه السلام) :

أولاً: الزيارة الجامعة الكبيرة

عن موسىٰ بن عمران النخعي قـال : قـلت لعلي بـن مـحمد بـن عـلي ابـن مـوسىٰ بـن جـعفر بـن مـحمد بـن عـلي بـن الحسـين بـن عـلي بـن

(١) رجال الكشي: ٥١٧ ح ٩٩٤ و ٩٩٥.

أبـي طالب (عليه السلام) : عـلمني يـاابـن رسـول الله قـولاً أقـوله بـليغاً كـاملاً إذا زرت واحداً منكم فقال(عليه السلام) :

قل: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي ، ومعدن الرسالة، وخزان العلم ، ومنتهى الحلم ، وأصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النعم ، وعناصر الأبرار ، ودعائم الأخيار ، وساسة العباد ، وأركان البلاد ، وأبواب الايمان ، وأمناء الرحمن ، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين ، وعترة خيرة رب العالمين ، ورحمة الله وبركاته .

وتعتبر هذه الزيارة من المصادر الفكرية المهمة ومن الوثائق التي نستل منها ملامح التصور السليم.

ولذا نشير الى بعض ما جاء فيها من مفاهيم:

١ ـ اصطفاء أهل البيت (عليهم السلام)

في المقطع الأوّل الذي بدأت به الزيارة حدّد الإمام(عليه السلام) المعاني التالية :

أ ـ ان الله اختص أهل البيت(عليهم السلام) بكرامته فجعلهم موضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي .

ب ـ ان هذا الجعل الإلهي نابع من الصفات الكمالية التي يبلغون القمة فيها كالعلم والحلم والكرم والرحمة .

ج ـ إنّ أهل البيت(عليهم السلام) هم موضع الرسالة لأنّ الله قد اختارهم لمنصب القيادة العليا للبشرية فضلاً عن قيادة المسلمين .

٢ ـ حركة أهل البيت (عليهم السلام)

وقال الإمام الهادي (عليه السلام) : « السلام على ائمة الهدى ؛ ومصابيح الدجى ، وأعلام التقى ، وذوي النهى ، وأولي الحجى ، وكهف الورى ، وورثة الانبياء ، والمثل الأعلى ، والدعوة الحسنى ، وحجج الله على اهل الدنيا والآخرة والاولى ورحمة الله وبركاته ، السلام على محال معرفة الله ، ومساكن بركة الله ، ومعادن حكمة الله ، وحفظة سر الله ، وحملة كتاب الله ، واوصياء نبي الله ، وذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورحمة الله وبركاته.

السلام على الدعاة إلى الله ، والأدلاّء على مرضات الله ، والمستقرين في أمر الله ، والتامين في محبة الله والمخلصين في توحيد الله ، والمظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ورحمة الله وبركاته » .

وقد دل هذا النصّ على ما يلي:

أ ـ في المسيرة البشرية يبفرز دائماً خطان هما خط الهدى وخط الضلالة ولكلٍ من الخطّين قيادته، وائمة أهل البيت هم ائمة الهدى اما غيرهم ممن يتصدى للإمامة مخالفاً لخطّ الهدىٰ فهو من ائمة الضلال فلذلك لا يكون التلقي إلّا منهم ولا يكون نهج التحرك إلّا نهجهم .

ب ـ اما واقع الأئمة فهم ذوو العقول التامّة وكهف الوري وورثة الانبياء والمثل الاعلى والدعوة الحسنى التي يحتذى بها .

ج ـ ان حركة أهل البيت حركة اسلامية اصيلة ذات جذور ضاربة في الأعماق وهي استمرار المسيرة النبوية الراشدة وكل حركة تدّعي المنهج الديني أو الاصلاح الدنيوي ولا تسير على خطاهم فهي منحرفة . فأهل البيت(عليهم السلام) محل معرفة الله ، ومساكن بركته ، ومعادن حكمته ، وحفظة سره ، وحملة كتابه، وأوصياء نبيه .

د ـ إنّ الدعاة مظاهر اصالة أهل البيت في المسيرة الإلهية كما يلي:

١ ـ أنّهم الدعاة إلىٰ الله والأدلاء على مرضاته .

٢ ـ ويتميّزون بالثبات على أمر الله .

٣ ـ كما يتميّزون بالحب التام لله .

٤ ـ والاخلاص في التوحيد .

٥ ـ والاظهار لشعائر الله من امره ونهيه .

٦ ـ وعدم سبق الله بقول، والعمل بأمره .

٣ ـ الأسس الفكرية للتشيع

ويمكن ان نحدد نقاطاً توضح الأُسس الفكرية التي تقوم عليها دعوة أهل البيت والتي يجب ان تسير الحركة الشيعية عليها وتلتزم بحدودها من خلال قوله(عليه السلام) :

« السلام على الأئمة الدعاة ، والقادة الهداة ، والسادة الولاة ، والذادة الحماة ، واهل الذكر ، وأولي الأمر ، وبقية الله وخيرته، وحزبه وعيبة علمه، وحجته وصراطه، ونوره وبرهانه ورحمة الله وبركاته .

اشهد ان لا إله إلّا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكته وأولوا العلم من خلقه لا إله إلّا هو العزيز الحكيم وأشهد أن محمداً عبده المنتخب ورسوله المرتضى ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

واشهد انكم الأئمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون المطيعون لله القوامون بأمره العاملون بإرادته الفائزون بكرامته.

اصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيبه واختاركم لسره واجتباكم بقدرته واعزكم بهداه وخصكم ببرهانه وانتجبكم لنوره وأيّدكم بروحه ورضيكم خلفاء في ارضه وحججاً على بريته وانصاراً لدينه وحفظة لسره وخزنة لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمة لوحيه واركاناً لتوحيده وشهداء على خلقه واعلاماً لعباده ومناراً في بلاده وادلاء على صراطه.

عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن وطهركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً.

فعظّمتم جلاله واكبرتم شأنه ومجدتم كرمه وادمتم ذكره ووكدتم ميثاقه وأحكمتم عقد طاعته ونصحتم له في السر والعلانية ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وبذلتم انفسكم في مرضاته وصبرتم على الأذى في جنبه وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم في الله حق جهاده حتى أعلنتم دعوته وبينتم فرائضه وأقمتم حدوده ونشرتم شرايع احكامه وسننتم سنته وصرتم في ذلك منه إلى الرضا وسلمتم له القضاء وصدقتم من رسله من مضى».

إنّ العناصر الفكرية الاساسية للتشيع والتي تستفاد من هذا النص هي:

١ ـ الايمان بالله وحده لا شريك له.

٢ ـ محمد عبده المنتخب ورسوله المرتضى.

٣ ـ الأئمة هم بشر راشدون مهديون معصومون مكرمون وقيمتهم نابعة من تكريم الله لهم.

على أنّ الجانب العملي لحركة الأئمة هو كما يلي:

١ ـ تعظيم الله واكبار شأنه وتمجيد كرمه.

٢ ـ توكيد ميثاقه وإحكام عقد طاعته.

٣ ـ النصح له بالسر والعلن.

٤ ـ الدعوة له بالحكمة والموعظة الحسنة.

٥ ـ التضحية المستمرة في سبيل الله ببذل النفس والصبر على المكروه.

٦ ـ اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وممارسة باقي العبادات والحدود الإسلامية.

٧ ـ الحفاظ على سلامة الشريعة من التحريف.

٨ ـ التسليم بالقضاء والقدر.

٩ ـ التأكيد على وحدة المسيرة النبوية وتصديق الرسل.

٤ ـ الموالون لأهل البيت (عليهم السلام)

وبيّن الإمام انّ هناك صنفين من الناس قسم يوالي أهل البيت(عليهم السلام) فيسير في طريق الهدى وآخر يوالي اعداءهم فيسير في طريق الضلال، قال(عليه السلام) :

« فالراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمقصر في حقكم زاهق.

والحق معكم وفيكم ومنكم واليكم وانتم اهله ومعدنه وميراث النبوة عندكم وإياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم وأمره اليكم .

مَنْ والاكم فقد والى الله ومَنْ عاداكم فقد عادى الله ومَنْ أحبّكم فقد أحبَّ الله ومن ابغضكم فقد ابغض الله ومن اعتصم بكم. فقد اعتصم بالله.

وانتم الصراط الأقوم وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء والرحمة الموصولة والآية المخزونة والامانة المحفوظة والباب المبتلى به الناس.

مَنْ أتاكم نجى ومَنْ لم يأتِكم هلك .

إلى الله تدعون وعليه تدلّون وبه تؤمنون وله تسلّمون وبأمره تعملون والى سبيله ترشدون وبقوله تحكمون.

سَعَدَ من والاكم وهلك من عاداكم وخاب من جحدكم وضلّ من فارقكم وفاز من تمسك بكم وأمن من لجأ اليكم وسلم من صدقكم وهدى من اعتصم بكم.

من اتبعكم فالجنة مأواه ومن خالفكم فالنار مثواه ومن جحدكم كافر ومن حاربكم مشرك ومن رد عليكم في اسفل درك من الجحيم».

الحقيقة الثانية: إنّ الموالي لأهل البيت(عليهم السلام) يعلم قيمتهم الحقيقية عند الله لذلك نجده يقول(عليه السلام) :

« أشهدُ أنَّ هذا سابق لكم فيما مضى وجار لكم فيما بقي وان ارواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض.

خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى مَنَّ علينا بكم فجعلكم في بيوت أذِنَ الله ان تُرفع ويُذكر فيها اسمه.

وجعل صلواتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا وطهارة لأنفسنا وتزكية لنا وكفارة لذنوبنا فكنا عنده مسلمين بفضلكم ومعروفين بتصديقنا اياكم» .

الحقيقة الثالثة: الرغبة في انتشار امرهم وتشعشع فضلهم فلا يبقى خير إلّا وأضاءه نورهم الشريف .

« فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في ادراكه طامع حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صدّيق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دنيٌّ ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبّار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلّا عرفهم جلالة امركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه . »

الحقيقة الرابعة: الاقرار الدائم بمعتقدات أهل البيت(عليهم السلام) والعمل بموجبها :

« بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي أُشهد الله وأُشهدكم اني مؤمن بكم وبما آمنتم به ، كافر بعدوكم وبما كفرتم به، مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم موال لكم ولأوليائكم مبغض لاعدائكم ومعاد لهم سِلْمٌ لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم محقق لما حققتم مبطل لما ابطلتم مطيع لكم عارف بحقكم مقر بفضلكم محتمل لعلمكم».

ومن مصاديق الإيمان بقضية أهل البيت قول الإمام(عليه السلام) :

« محتجب بذمتكم ومعترف بكم مؤمن بإيابكم مُصدِّق برجعتكم منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم آخذ بقولكم عامل بأمركم مستجير بكم زائر لكم عائذ بقبوركم مستشفع الى الله عزوجل بكم ومتقرب بكم إليه ومقدمكم امام طلبتي وحوائجي وارادتي في كل احوالي وأموري مؤمن بسركم وعلانيتكم وشاهدكم وغائبكم وأولكم وآخركم ومفوض في ذلك كله اليكم ومسلم فيه معكم وقلبي لكم مسلم ورأيي لكم تبع ونصرتي لكم مُعدَّة حتى يحيي الله تعالى دينه بكم ويردّكم في ايامه ويظهركم لعدله ويُمكّنكم في ارضه فمعكم معكم لا مع غيركم آمنت بكم وتوليت آخركم بما توليت به أولكم وبرئت إلى الله عزوجل من اعدائكم ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم الجاحدين لحقّكم والمارقين من ولايتكم الغاصبين لإرثكم الشاكين فيكم المنحرفين عنكم ومن كل وليجة دونكم وكل مطاع سواكم ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار.

فثبتني الله ابداً ما حييت على موالاتكم ومحبتكم ودينكم ووفقني لطاعتكم ورزقني شفاعتكم وجعلني من خيار مواليكم التابعين لما دعوتم إليه وجعلني ممن يقتصُّ آثاركم ويسلك سبيلكم ويهتدي بهديكم ويحشر في زمرتكم ويكرّ في رجعتكم ويُملَّك في دولتكم ويشرّف في عافيتكم ويُمكّن في ايامكم وتقر عينه غداً برؤيتكم.

بأبي أنتم وأمي ونفسي واهلي ومالي من اراد الله بدأ بكم ومن وحّدهُ قبل عنكم ومن قصده توجه بكم.

مواليّ لا أحصي ثناءكم ولا ابلغ من المدح كنهكم ومن الوصف قدركم وانتم نور الأخيار وهداة الابرار وحجج الجبار.

بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء ان تقع على الارض إلّا باذنه وبكم يُنفّس الهم ويكشف الضر.

وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته والى جدّكم بُعث الروح الامين، آتاكم الله ما لم يُؤتِ احداً من العالمين.

طأطأ كل شريف لشرفكم وبخع كل متكبر لطاعتكم وخضع كل جبار لفضلكم وذل كل شيء لكم واشرقت الارض بنوركم وفاز الفائزون بولايتكم بكم يُسلك إلى الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن.

بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي ذكركم في الذاكرين واسماؤكم في الأسماء وأجسادكم في الاجساد وأرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس وآثاركم في الآثار وقبوركم في القبور فما أحلى اسماءكم وأكرم انفسكم وأعظم شأنكم وأجلَّ خطركم وأوفى عهدكم وأصدق وعدكم.

كلامكم نور وأمركم رشد ووصيتكم التقوى وفعلكم الخير وعادتكم الإحسان وسجيتكم الكرم وشأنكم الحق والصدق والرفق وقولكم حكم وحتم ورأيكم علم وحلم وحزم ، إنْ ذُكِرَ الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه.

بأبي انتم وأُمي ونفسي كيف أصف حسن ثنائكم واحصي جميل بلائكم وبكم أخرَجنا الله من الذل وفرّج عنا غمرات الكروب وأنقذنا من شفا جرف الهلكات ومن النار.

بأبي أنتم وأُمي ونفسي بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا وأصلح ماكان فسد من دنيانا وبموالاتكم تمّت الكلمة وعظمت النعمة وائتلفت الفرقة وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة ولكم المودة الواجبة والدرجات الرفيعة والمقام المحمود والمكان المعلوم عند الله عزوجل والجاه العظيم والشأن الكبير والشفاعة المقبولة .

﴿ ربّنا آمنّا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتُبنا مع الشاهدين ﴾ ﴿ ربّنا لا تُزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ﴾ ﴿ سبحان ربنا ان كان وَعدُ ربنا لمفعولاً ﴾ .

يا أولياء الله ان بيني وبين الله عزوجل ذنوباً لا يأتي عليها إلّا رضاكم فبحق من ائتمنكم على سره واسترعاكم امر خلقه وقرن طاعتكم بطاعته لمّا استوهبتم ذنوبي وكنتم

شفعائي فإني لكم مطيع.

من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله ومن أحبّكم فقد أحبّ الله ومن أبغضكم فقد أبغض الله.

اللهم اني لو وجدت شفعاء اقرب اليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الابرار لجعلتهم شفعائي فبحقهم الذي اوجبت لهم عليك اسألك ان تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم إنّك ارحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ومن هذه الفقرات نستلهم النقاط التالية :

١ ـ ضرورة الإيمان بإيابهم وقيام دولتهم .

٢ ـ أهمية زيارة قبورهم .

٣ ـ أهمية الإيمان بالرجعة .

٤ ـ أهمية الايمان بسرهم وعلانيتهم .

٥ ـ ضرورة الاستعداد لنصرة دولتهم لحد التمكين في الارض .

٦ ـ ضرورة البراءة من عدوهم .

٧ ـ فرح المؤمن بما رزقه الله على يد أهل البيت.

٨ ـ إنّ وحدة المسلمين السليمة لا تتم إلّا تحت لوائهم (عليهم السلام) .

٩ ـ إنّ الايمان بهم لا يكون عاطفياً بل يكون عن وعي وادراك وبحث وتمحيص[1].

(١) منهاج التحرك عند الإمام الهادي : ١١٣ ـ ١٢٠ .

ثانياً ـ زيارة الغدير

من أهم زيارات الأئمة الطاهرين ـ عند الشيعة الإمامية ـ زيارة الغدير فقد اهتموا بها اهتماماً بالغاً ، لانها رمز لذلك اليوم الخالد في دنيا الاسلام ، ذلك اليوم الذي قرّر فيه الرسول (صلى الله عليه وآله) المصير الحاسم لأمته ، فنصب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) خليفة على المسلمين .

وقد زار الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) جدّه أمير المؤمنين في السنة التي أشخصه فيها المعتصم من يثرب إلى سر من رأى[1].

نعم زاره بهذه الزيارة التي هي من أروع وأجل الزيارات ، فقد تحدّث فيها عن فضائل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وما عاناه في عصره من المشاكل السياسية والاجتماعية.

وإليك بعض ما حفلت به هذه الزيارة التي هي من ملاحم أهل البيت (عليهم السلام) :

١ ـ تحدّث الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) في زيارته (الغديرية) عن أنّ جده الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من أسلم وآمن بالله واستجاب لدعوة نبيه ، قال (عليه السلام) مخاطباً جدّه :

« وأنت أوّل من آمن بالله وصلى له ، وجاهد ، وأبدى صفحته في دار الشرك ، والارض مشحونة ضلالة والشيطان يعبد جهرة...» .

لقد تظافرت الأخبار بأن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من أذعن لرسالة خاتم النبيين ، واستجاب لنداء الله ودعى الى دين الله بعد رسول الله ، فقد روى ابن اسحاق، قال :

(١) مفاتيح الجنان : ٣٦٣.

كان أول ذكر آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله) وصلىٰ معه ، وصدق بما جاءه من عند الله علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يومئذٍ ابن عشر سنين[١].

وروى الطبراني بسنده عن أبي ذرّ قال : أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيد علي (عليه السلام) فقال : «**هذا أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة...**» [٢].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعائشة : «**هذا علي بن أبي طالب أول الناس ايماناً**» [٣].

وكثير من أمثال هذه الاخبار قد اعلنت ذلك .

٢ ـ وتحدث الإمام (عليه السلام) في زيارته عن جهاد الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام) وبسالته وشجاعته وصموده في الحروب قائلاً :

« ولك المواقف المشهودة ، والمقامات المشهورة ، والأيام المذكورة يوم بدر ، ويوم الأحزاب ﴿... وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا* هنالك أُبتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً* وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً* وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم بها فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلّا فراراً ﴾[٤].

وقال الله تعالىٰ : **﴿ ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايماناً وتسليماً ﴾**[٥] .

فقتلت عمرهم وهزمت جمعهم ، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً ، ويوم أحد اذ يصعدون ولا يلوون علىٰ احد والرسول يدعوهم في أُخراهم وانت تذود بهم المشركين عن النبي (صلى الله عليه وآله) ذات اليمين

---

(١) السيرة النبوية، ابن اسحاق : ٢٦٢/١ وعنه في الطبري : ٣١٢/٢.

(٢) فيض القدير : ٤ / ٣٥٨ .

(٣) الاستيعاب : ٢ / ٧٥٩ .

(٤) الأحزاب (٣٣): ١٠ ـ ١٣ .

(٥) الأحزاب (٣٣): ٢٢ .

وذات الشمال حتى ردّهم الله تعالىٰ عنها خائفين ونصر بك الخاذلين.

ويوم حنين علىٰ ما نطق به التنزيل ﴿ اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين ﴾ . والمؤمنون انت ومن يليك ، وعمك العباس ينادي المنهزمين يا أصحاب سورة البقرة ، يا أهل بيعة الشجرة ، فاستجاب له قوم قد كفيتهم المؤونة وتكلفت دونهم المعونة ، فعادوا آيسين من المثوبة ، راجين وعد الله تعالىٰ بالتوبة ، وذلك قول الله جل ذكره : ﴿ ثم يتوب الله من بعد ذلك علىٰ من يشاء ﴾ . وأنت حائز درجة الصبر ، فائز بعظيم الأجر.

ويوم خيبر اذ اظهر الله خور المنافقين ، وقطع دابر الكافرين ـ والحمدلله رب العالمين ـ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ، وكان عهد الله مسؤولاً.

واضاف الإمام قائلاً : وشهدت مع النبي (صلى الله عليه وآله) جميع حروبه ومغازيه ، تحمل الراية امامه ، وتضرب بالسيف قدامه ، ثم لحزمك المشهور وبصيرتك في الأُمور أمّرك في المواطن ، ولم يكن عليك أمير...».

٣ ـ وعرض الإمام في زيارته إلىٰ مبيت الإمام على فراش النبي (صلى الله عليه وآله) ، ووقايته له بنفسه حينما اجمعت قريش علىٰ قتله ، فكان الإمام الفدائي الأول في الاسلام ، يقول (عليه السلام) :

« وأشبهت في البيات علىٰ الفراش الذبيح (عليه السلام) اذ أجبت كما أجاب ، وأطعت كما أطاع اسماعيل محتسباً صابراً اذ قال : ﴿ يابنيّ إني أرىٰ في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترىٰ قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ﴾ .

وكذلك انت لما أباتك النبي (صلى الله عليه وآله) وأمرك ان تضطجع في مرقده واقياً له بنفسك اسرعت إلىٰ اجابته مطيعاً ، ولنفسك على القتل موطناً فشكر الله تعالىٰ طاعتك وأبان من جميل فعلك بقوله جلّ ذكره : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ﴾[1] .

---

(١) راجع حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام): ١٤٠ ـ ١٤٧.

التحصين العلمي

إنّ النقطة الجوهرية لتحقيق ورفع المستوى العلمي الذي تحتاجه الجماعة الصالحة هي تربية العلماء والكفاءات العلمية المتخصّصة في مختلف الفروع العلمية الإسلامية. ثمّ إعطاء العلماء بالشريعة الدور المتميّز في المجتمع الإسلامي. وهذا ما سار عليه أئمة أهل البيت(عليهم السلام) بلا استثناء.

وتميّز عصر الإمام الهادي(عليه السلام) بأنه العصر الممهّد لعصر الغيبة حيث ينقطع الناس عن إمامهم ولا يبقى للناس أيّ ملجأ فكريّ وديني سوى العلماء بالله الأُمناء على حلاله وحرامه.

ومن هنا كان اهتمام الإمامين العسكريين بالعلماء بليغاً جدّاً حيث عُبّر عنهم بأنّهم الكافلون لأيتام آل محمد، وكان التبجيل والإجلال في سيرة الإمام الهادي(عليه السلام) لمثل هؤلاء العلماء ملفتاً للنظر جدّاً[١].

ومن يقرأ تراث الإمام الهادي(عليه السلام) يلاحظ استمرار العطاء العلمي في هذا العصر الى جانب الاهتمام بايضاح المنهج العلمي الذي كان يبتغيه أهل البيت(عليهم السلام) والتصدّي منهم لتعميقه.

وتكفي قراءة سريعة لرسالة الإمام الهادي(عليه السلام) الى أهل الأهواز لتلمّس مدى اهتمامه(عليه السلام) بالتأصيل النظري وبالتربية على سلوك المنهج العلمي السليم[٢].

---

(١) راجع الفصل الثالث من الباب الأوّل.

(٢) راجع الفصل الرابع من الباب الرابع، رسالة الإمام الى أهل الأهواز.

التحصين التربوي

بالرغم من كل الظروف التي فرضت على الإمام الهادي(عليه السلام) لعزله عن شيعته ومحبّيه فإنّا نجد الإمام(عليه السلام) يمارس مسؤولياته التربوية بكل ما يتسنى له من الوسائل التي تكون أبلغ في التأثير، فهو تارة يدعو لبعض شيعته ويتوجّه الى الله ليقضي حوائجهم، وأخرى يلبّي حاجاتهم المادية فيسعفهم بمقدار من المال. وثالثة يباشرهم بالكلام الصريح حول المزالق التي تنتظرهم.

فهذا أخوه موسى الذي نصب له المتوكل مصيدة ليوقعه فيما هو غير لائق به ويفضحه ويفضح أخاه الإمام الهادي(عليه السلام) يتصدّىٰ الإمام بنفسه ليواجهه قبل أن يلتقي بالمتوكل ويحاول أن يبصّره بحقيقة ما ينتظره من مخاوف وأخطار معنوية[١].

وفي أكثر من مورد يبادر الإمام(عليه السلام) لتقديم تجربة حسيّة يعيش من خلالها اتباعه معنىٰ التوجه الى الله واللجأ إليه في المهمّات ثم يبصّرهم بعد ذلك أهمية هذا المبدأ.

فعن أبي محمد الفحّام بالإسناد عن أبي الحسن محمد بن أحمد قال: حدثني عمّ أبي قال: قصدت الإمام يوماً فقلت انّ المتوكّل قطع رزقي وما اتّهم في ذلك إلّا علمه بملازمتي لك، فينبغي أن تتفضل عليّ بمسألته فقال: تكفى إن شاء الله فلما كان في الليل طرقني رسل المتوكل رسولاً يتلو رسولاً، فجئت اليه فوجدته في فراشه فقال: يا أبا موسى تشغل شغلي عنك وتنسينا نفسك أي شيء لك عندي؟

فقلت: الصّلة الفلانية، وذكرت أشياء فأمر لي بها وبضعفها، فقلت للفتح وافى عليّ بن محمد الى هيهنا وكتب رقعة؟ قال: لا، قال: فدخلت على الإمام فقال لي: يا أبا موسى هذا وجه الرضّا، قلت: يا سيدي ولكن قالوا انّك ما مضيت

---

(١) راجع الكافي: ١/٥٠٢.

اليه ولا سألت قال: **إنّ الله تعالى علم منّا انّا لا نلجأ في المهمّات إلّا إليه ولا نتوكّل في الملمّات إلّا عليه وعوّدنا إذا سألناه الإجابة ونخاف أن نعدل فيعدل.**

وعن علي بن جعفر قال: عرضت مؤامرتي على المتوكل فأقبل عليّ عبيدالله ابن يحيى فقال: لا تتعبن نفسك، فانّ عمر بن أبي الفرج أخبرني أنه رافضي فانه وكيل علي بن محمد، فأرسل عبيدالله إليّ فعرفني أنه قد حلف ألا يخرجني من الحبس إلّا بعد موتي بثلاثة أيام.

قال فكتبت الى أبي الحسن: ان نفسي قد ضاقت وقد خفت الزيغ، فوقّع إلي: **اما إذا بلغ الأمر منك ما قلت فينا، فسأقصد الله تبارك وتعالى فيك.** فما انقضت أيام الجمعة حتى خرجت من الحبس[١].

ويمكن تلخيص المنهج العام للتربية وبناء الذات عند الإمام الهادي (عليه السلام) بما يلي:

١ ـ التوجيه التربوي من خلال الأحاديث التربوية التي تقدّم للإنسان أهم المفاهيم التربوية[٢].

٢ ـ التأكيد على طاعة الله تعالى.

٣ ـ التأكيد على أهمية التوجه الى الله في الحوائج وعدم طلب الحوائج من غيره[٣].

٤ ـ أهمية الدعاء والالتزام به في بلورة روح التوحيد والتوكّل على الله.

٥ ـ الدعاء للمؤمنين.

٦ ـ السعي في قضاء حوائجهم.

٧ ـ الربط العاطفي بالقدوة الصالحة المتمثلة في أهل البيت (عليهم السلام) من خلال زياراتهم ودراسة سيرتهم.

---

(١) راجع مسند الامام الهادي (عليه السلام): ١١٢ و ١٢١.

(٢) راجع تراثه التربوي والأخلاقي في الفصل الأخير من الباب الرابع.

(٣) راجع تحف العقول: ٣٦١، وكشف الغمة: ١٧٦/٣.

وأما دعاؤه للمؤمنين وسعيه في قضاء حوائجهم فيشهد له ما يلي:

١ ـ ما مرّ من أن الإمام(عليه السلام) أجاب على كتاب عمر بن أبي الفرج إليه بأنّ نفسي قد ضاقت وقد خفت الزيغ فوقع الإمام(عليه السلام) إليه: **أما إذا بلغ الأمر منك ما قلت فينا فسأقصد الله تبارك وتعالى فيك.** فما انقضت أيام حتى خرج من الحبس[1].

٢ ـ روى المجلسي عن الخرائج: روى عن محمد بن الفرج أنه قال: إن أبا الحسن كتب إليّ: **أجمع أمرك، وخذ حذرك**، قال: فأنا في جمع أمري لست أدري ماالذي أراد فيماكتب به إليّ حتى ورد عليّ رسول حملني من مصر مقيّداً مصفّداً بالحديد، وضرب على كلّ ما أملك.

فمكث في السجن ثماني سنين ثم ورد عليّ كتاب من أبي الحسن(عليه السلام) وأنا في السجن **«لا تنزل في ناحية الجانب الغربيّ»** فقرأت الكتاب فقلت في نفسي: يكتب إلي أبو الحسن (عليه السلام) بهذا وأنا في الحبس إنّ هذا لعجيب ! فما مكث إلّا أياماً يسيرة حتى أُفرج عني، وحلّت قيودي وخلّي سبيلي.

ولما رجع الى العراق لم يقف ببغداد لما أمره أبو الحسن(عليه السلام) وخرج الى سرّ من رأى.

قال: فكتبت إليه بعد خروجي أسأله أن يسأل الله ليردّ عليّ ضياعي فكتب إليّ سوف يردّ عليك، وما يضرّك أن لا تردّ عليك.

قال علي بن محمد النوفلي: فلما شخص محمد بن الفرج الى العسكر كتب له بردّ ضياعه، فلم يصل الكتاب إليه حتى مات[2].

وقضاء حوائج المؤمنين بالإضافة الى دوره التربوي يعدّ خطوة من خطوات التحصين الاقتصادي لهم، حيث يشكّل عاملاً من عوامل استقلالهم وعدم اضطرارهم للخضوع الى كثير ممّا يستذلّ به الحكّام رعيّتهم.

(١) مسند الإمام الهادي(عليه السلام): ١٢١.

(٢) بحار الأنوار: ٥٠/١٤٠.

التحصين الأمني

لقد مارس الإمام الهادي (عليه السلام) وظيفته بصفته الإمام والقائد لمواليه والراعي لمصالحهم بالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بالامام (عليه السلام) وبشيعته من تتبع السلطة لهم ومطاردتهم وفرض الاقامة الجبرية على الإمام بعد اشخاصه من المدينة إلى سامراء ليكون قريباً من السلطان وتحت رقابته ، وتتجلى لنا مواقف الإمام (عليه السلام) في هذا الاتجاه في المحافظة التامة على شيعته ورعاية مصالحهم الخاصّة والعامّة وقضاء حوائجهم وتحذيرهم ممّا تحوكه السلطة ضدّهم ، وما يجب أن يتخذوه من حيطة وكتمان لنشاطهم واتصالاتهم حتى لا يقعوا في حبائل السلطة الغاشمة التي كانت تتربص بهم وبالإمام(عليه السلام) الدوائر .

إنّ وصايا الإمام (عليه السلام) لأتباعه تظهر مدى اهتمامه بما يجري في الساحة أوّلاً ، ومدى قربه من الأحداث العامة والخاصة ثانياً . وكانت أوامره تصل الجماعة الصالحة بشكل دقيق وسريع بل قد تكون سابقة للاحداث في بعض الأحيان لتتمكن تلك الجماعة من تجاوز ما يحاك ضدها . كما ان اجراءات الإمام وأساليبه كانت مظهراً لعمل حركي وتنظيمي وعلى درجة عالية من الدقـة والتخطيط ، وهذا ما تكشفه لنا خطابات الإمام (عليه السلام) إلى شيعته والتي كانت تحمل بين طياتها ادوات ووسائل مختلفة ومتعددةلمواجهة الظروف التي تحيط بها . وإليك بعض أساليبه ووسائله وتعليماته الخاصّة بهذا الصدد:

أ ـ الحذر من تدوين الأمور

كان الإمام (عليه السلام) يحذر اصحابه من تدوين وكتابة بعض الأُمور وخصوصاً ماكان يتعلق بعلاقات ووضع الجماعة الصالحة ومواقفها ، فعن داود الصرمي قال : أمرني سيدي بحوائج كثيرة فقال (عليه السلام) لي : **قل كيف تقول ؟** فلم احفظ مثل ما قال لي، فمدّ الدواة وكتب :

«بسم الله الرحمن الرحيم اذكره ان شاء الله والأمر بيد الله »، فتبسمت ، فقال (عليه السلام) : **ما لك ؟** قلت : خير ، **فقال اخبرني ؟** قلت جعلت فداك ذكرت حديثاً حدثني به رجل من اصحابنا عن جدك الرضا (عليه السلام) إذا أمر بحاجة كتب **بسم الله الرحمن الرحيم ، اذكر ان شاء الله** فتبسمت ، فقال(عليه السلام) لي: يا داود ولو قلت : إنّ تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً[1].

فالإمام (عليه السلام) هنا يربط الكتمان والحذر بمفهوم اسلامي وهو «التقية» والتي وردت بها احاديث وآيات كريمة كقوله تعالى : ﴿ **إلا أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ وكذا قوله تعالى : ﴿ **إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ ، وهي الآية التي نزلت في قضية عمار بن ياسر (رضي الله عنه) حيث عذّبه المشركون في مكة لكي ينال من الرسول ويتركوه ، ثم جاء الى الرسول (صلى الله عليه وآله) فقال له: **ان عادوا فعد**. فلم تكن أوامر الإمام (عليه السلام) بهذا الصدد فقط خشية من انكشافها بل إنه طرحها تأكيداً لهذا المفهوم الذي عرفت به الشيعة منذ نشوئها امتثالاً لوصايا الأئمة(عليهم السلام) والقرآن الكريم .

(١) مسند الإمام الهادي (عليه السلام) : ٣٠١ .

ب ـ تغيير الاسماء

كان الإمام (عليه السلام) يذكر في توقيعاته إلىٰ بعض أصحابه وينسبهم إلىٰ عبيد ابن زرارة وكانوا قد عرفوا ببني الجهم وهم من أكابر بيوت الشيعة وأصحاب الأئمة (عليهم السلام)، فعن الزراري (أحدهم) قال : إن ذلك تورية وستراً من قبل الإمام(عليه السلام) ثم اتسع ذلك وسمّينا به وكان(عليه السلام) يكاتبه في أُمور له بالكوفة وبغداد [1].

ج ـ التحذير من الحديث في الأماكن العامة

كان الإمام(عليه السلام) يمنع بعض أصحابه من الحديث والمساءلة في الطريق وغيره من الأماكن التي يكون فيها عيون للسلطان.

فعن محمد بن شرف قال : كنت مع أبي الحسن (عليه السلام) أمشي في المدينة فقال لي : ألست ابن شرف ؟ قلت بلىٰ ، فأردت أن اسأله عن مسألة فابتدأني من غير أن أسأله فقال : **« نحن على قارعة الطريق وليس هذا موضع مسألة»**.

د ـ النفوذ في جهاز السلطة

لقد استولىٰ بنو العباس علىٰ السلطة وتولّوا أمر الأُمّة بالقهر والغلبة بعد سقوط الدولة الأُموية سنة (١٣٢ هـ)، وعاثوا في الأرض الفساد حيث استشرىٰ أمرهم فكان القتل والتشريد وابتزاز الأموال على قدمٍ وساق ولم تكن حكومتهم ذات شرعية اسلامية ، ومن هنا كان العمل معهم غير مشروع ، وقد كتب محمد بن علي بن عيسىٰ ـ أحد أصحاب الإمام (عليه السلام) ـ إلىٰ

(١) تاريخ الكوفة : ٣٩٣.

الإمام الهادي(عليه السلام) يسأله عن العمل لبني العباس وأخذ ما يتمكن من أموالهم، هل فيه رخصة ؟ فقال(عليه السلام) : «**ما كان المدخل فيه بالجبر والقهر فالله قابل به العذر، وما خلا ذلك فمكروه، ولا محالة قليله خير من كثيره، وما يكفر به ما يلزمه فيه من يرزقه ويسبب على يديه ما يسرك فينا وفي موالينا**».

ولما وافى كتاب الإمام (عليه السلام) إلى محمد بن علي بن عيسى بادر فكتب للإمام (عليه السلام) :

« ان مذهبي في الدخول في امرهم وجود السبيل إلى ادخال المكروه على عدوه وانبساط اليد في التشفي منهم بشيء أتقرب به إليهم، فأجاب الإمام (عليه السلام) **من فعل ذلك فليس مدخله في العمل حراماً بل أجراً وثواباً**»[1].

لقد وضع الإمام (عليه السلام) في النصين أعلاه ضوابط العمل مع السلطان الجائر التي تتلخص في توفير وسيلة لإضعاف الظالمين أو تحقيق خدمة لمواليه المظلومين.

نظام الوكلاء

بعد أن أكّد الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) على دورهم القيادي الديني في أوساط الجماعة الصالحة وأوضحوا أهمية الولاء لهم، وأخذت تتسع الرقعة الجغرافية لأتباع أهل البيت(عليهم السلام) ، واحتاجوا الى من يلبّي حاجاتهم الدينية ويكون حلقة وصل بينهم وبين أئمتهم(عليهم السلام) بادر الأئمة(عليهم السلام) الى تعيين الوكلاء المعتمدين لهم في مختلف المناطق وأرجعوا اليهم أتباعهم.

---

(١) مستطرفات السرائر : ٦٨ ح ١٤ وعنه في وسائل الشيعة ١٧: ١٩ ح ٩ ب ٤٥ ، وسائل الشيعة : ١٢ / ١٣٧ .

والمهامّ التي تولّاها الوكلاء لهم تمثلت في بيان الأحكام الشرعية والمواقف السياسية والاجتماعية، وتوجيه النصائح الأخلاقية والتربوية، واستلام الحقوق الشرعية وتوزيعها، وفصل النزاعات وتولّي الأوقاف وأُمور القاصرين الذين لا وليّ لهم.

وتعتبر الوثاقة أو العدالة شرطاً أساسياً في الوكيل فضلاً عن إيمانه ومعرفته بأحكام الشريعة وشؤونها، ولباقته السياسية وقدرته على حفظ أسرار الإمام وأتباعه من الحكّام وعيونهم.

والوكلاء منهم من يرتبط بالإمام(عليه السلام) بشكل مباشر ومنهم من يرتبط به بواسطة وكيل آخر يعتبر محوراً لمجموعة من الوكلاء في مناطق متقاربة .

ويعود تاريخ تأسيس هذا النظام الى عصر الإمام الصادق(عليه السلام) أو من سبقه من الأئمة(عليهم السلام) غير أنه قد اتّسع نطاقه وبدأ يتكامل بعد عصر الإمام الصادق(عليه السلام) نظراً للتطورات السياسية والمشاكل الأمنية التي أخذت تحيط بالجماعة الصالحة وتهدد وجودهم وكيانهم.

ومنذ عصر الإمام الجواد(عليه السلام) وحتى ابتداء الغيبة الصغرى كان لهذا النظام دور فاعل وكبير جداً في حفظ كيان الجماعة الصالحة ووقايته من التفتت والانهيار.

وبفضل هذا النظام والعناصر الفاعلة فيه أصبح الانتقال الى عصر غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) ميسوراً، وقلّت المخاطر الناشئة من ظاهرة الغيبة للإمام المعصوم الى حدّ كان نظام الوكلاء بكل خصائصه قد تطوّر الى نظام النيابة الخاصة في عصر الغيبة الصغرى فكان السفير هو النائب الخاص الذي يقوم بدور الإمام الموجّه لمجموعة الوكلاء... وهو الذي يقوم بدور الوساطة بين الإمام والوكلاء وبين الإمام واتباع الإمام عبر هؤلاء الوكلاء.

أما مناطق النفوذ ومناطق تواجد الوكلاء، ففي الحجاز كانت المدينة

ومكة واليمن، وفي العراق ، كانت الكوفة وبغداد وسامراء وواسط والبصرة، وفي ايران كانت خراسان الكبرى ـ بما فيها نيسابور وبيهق وسبزوار وبخارا وسمرقند وهرات، وقم وآوه والري وقزوين و همدان وآذربايجان وقرميسين والأهواز وسيستان وبست، وفي شمال افريقيا كانت مصر أيضاً من مناطق تواجد أتباع أهل البيت(عليهم السلام) التي استقرّ فيها وكلاؤهم وقاموا بدور همزة الوصل المهمة وحقّقوا بذلك جملة من مهامّ الأئمة(عليهم السلام) .

وكلاء الإمام الهادي(عليه السلام)

قد وقفنا على أسماء جملة من وكلاء الإمام الهادي(عليه السلام) في مختلف المناطق وهم:

١ ـ إبراهيم بن محمد الهمداني.

٢ ـ أبو علي بن راشد.

٣ ـ أحمد بن إسحاق الرازي.

٤ ـ علي بن جعفر الوكيل.

٥ ـ محمد بن إبراهيم بن مهزيار.

٦ ـ الحسين بن عبدربّه.

٧ ـ أبو علي بن بلال.

٨ ـ أيوب بن نوح.

٩ ـ جعفر بن سهيل الصيقل.

١٠ ـ علي بن مهزيار الأهوازي.

١١ ـ فارس بن حاتم.

١٢ ـ علي بن الحسين بن عبدربّه

١٣ ـ عثمان بن سعيد العمري.

وقد انحرف بعضهم عن الطريق الذي رُسم له، وكان الأئمة (عليهم السلام) يوضحون الأمر عند انحراف بعض الوكلاء عن الطريق المقرر لهم حينما كانت تغريهم الأموال التي يحصلون عليها فيستغلون منصب الوكالة لأغراض دنيوية مادية. ولا يسمحون لهم بإغراء الناس واستغلالهم.

إنّ جهاز الوكلاء الذي عرفنا مهامه يعتبر أحد عوامل التحصين الأمني للجماعة الصالحة في عصر الإمام بالنسبة للإمام وبالنسبة لأتباعه أيضاً.

وسوى هذه المهمّة الكبيرة يساهم نظام الوكلاء في التحصين الاقتصادي والقضائي والسياسي للجماعة الصالحة. فهو جهاز حسّاس ومهمّ للغاية، وهذا هو السبب في اهتمام الأئمة (عليهم السلام) به وسعيهم المتواصل لتطويره والسهر على صيانته من عوامل الضعف والانهدام.

وسوف نرى ضرورة تكوين هذا الجهاز من حيث انّه خير وسيلة لإعداد الجماعة الصالحة للدخول في عصر الغيبة والحيلولة دون تأثير صدمة الغيبة والانقطاع عن الإمام المعصوم (عليه السلام) على أتباع أهل البيت (عليهم السلام) الذين ألفوا رؤية الإمام واللقاء به خلال قرنين ونصف قرن من الزمن.

التحصين الاقتصادي

عرفنا ممّا ذكر أن التحصين الاقتصادي هو أحد الأهداف المنظورة في تخطيط أهل البيت (عليهم السلام) للجماعة الصالحة التي أرادوا لها أن تستقل في كيانها وتبتعد عن عوامل الضعف والانهيار التي تفرضها الظروف السياسية أو الاقتصادية العامة.

ولنظام الوكلاء دور مهم في هذا التحصين، كما أن الإمام (عليه السلام) بنفسه كان يباشر قضاء حوائجهم المادية في جملةٍ من الأحيان.

دخل أبو عمرو عثمان بن سعيد وأحمد بن اسحاق الأشعري وعليّ بن جعفر الهمداني على أبي الحسن العسكريّ فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه، فقال : **يا أبا عمر** ـ وكان وكيله ـ **إدفع إليه ثلاثين ألف دينار والى عليّ بن جعفر ثلاثين ألف دينار وخذ أنت ثلاثين ألف دينار**(١).

وعن أبي هاشم قال: شكوت إليه قصور يدي فأهوى بيده الى رمل كان عليه جالساً فناولني منه كفّاً وقال: **اتّسع بهذا**. فقلت لصايغ: اسبك هذا فسبكه وقال: ما رأيت ذهباً أشدّ حمرة منه(٢).

وعن عبدالله بن عبدالرحمن الصّالحي أنّه شكا أبوهاشم الى أبي الحسن(عليه السلام) ما لقي من السوق إليه إذا انحدر من عنده الى بغداد وقال: يا سيّدي أُدع الله لي فمالي مركوب سوى برذوني هذا على ضعفه. قال: **قوّاك الله يا أبا هاشم وقوى برذونك**. قال: وكان أبو هاشم يصلي الفجر ببغداد والظهر بسر من رأى والمغرب ببغداد إذا شاء(٣).

وبهذا نختم الكلام عن الخطوط العامة لدور الإمام(عليه السلام) في إكمال بناء الجماعة الصالحة وتحصينها واعدادها للدخول الى عصر الغيبة الذي سوف تقترب منه بسرعة.

---

(١) المناقب: ٢/٤٨٨.

(٢) المناقب : ٢/٤٨٨.

(٣) المناقب: ٢/٤٤٨.

الفصل الثالث

الإمام الهادي(عليه السلام) في ذمّة الخلود

استشهاد الإمام الهادي(عليه السلام)

ظلّ الإمام الهادي(عليه السلام) يعاني من ظلم الحكّام وجورهم حتّى دُسّ إليه السمّ كما حدث لآبائه الطّاهرين، وقد قال الإمام الحسن(عليه السلام): **ما منّا إلّا مقتول أو مسموم**[1].

قال الطبرسي وابن الصباغ المالكي: في آخر ملكه (أي المعتز)، استشهد وليّ الله علي بن محمد(عليهما السلام)[2].

وقال ابن بابويه: وسمّه المعتمد[3].

وقال المسعودي: وقيل إنّه مات مسموماً[4]؛ ويؤيد ذلك ما جاء في الدّعاء الوارد في شهر رمضان: وضاعف العذاب على من شرك في دمه[5].

وقال سراج الدين الرفاعي في صحاح الأخبار: «وتوفي شهيداً بالسم في خلافة المعتز العباسي...».

وقال محمد عبدالغفار الحنفي في كتابه ائمة الهدى: فلما ذاعت

---

(١) بحار الأنوار: ٢١٦/٢٧، ح ١٨.

(٢) إعلام الورى: ٣٣٩_الفصول المهمة: ٢٨٣.

(٣) بحار الأنوار: ٢٠٦/٥٠، ح ١٨، المناقب: ٤٠١/٤.

(٤) مروج الذهب: ١٩٥/٤.

(٥) بحار الأنوار: ٢٠٦/٥٠ ح ١٩.

شهرته(عليه السلام) استدعاه الملك المتوكل من المدينة المنوّرة حيث خاف على ملكه وزوال دولته .. وأخيراً دسّ إليه السمّ...»[١].

والصحيح أن المعتز هو الذي دسّ إليه السمّ وقتله به .

ويظهر أنّه اعتلّ من أثر السمّ الذي سُقي كما جاء في رواية محمّد بن الفرج عن أبي دعامة، حيث قال: أتيت عليّ بن محمد(عليه السلام) عائداً في علّته التي كانت وفاته منها، فلمّا هممت بالانصراف قال لي: **يا أبا دعامة قد وجب عليّ حقّك، ألا أُحدّثك بحديث تسرّ به؟** قال: فقلت له: ما أحوجني الى ذلك يابن رسول الله.

قال حدّثني أبي محمد بن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن موسى، قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد، قال: حدّثني أبي محمّد بن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين، قال: حدّثني أبي الحسين بن عليّ، قال: حدّثني أبي علي ابن أبي طالب(عليهما السلام) ، قال: قال لي رسول الله(صلى الله عليه وآله) : يا عليّ اكتب: فقلت: وما أكتب؟ فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الإيمان ما وقرته القلوب وصدّقته الأعمال، و الإسلام ما جرى على اللّسان، وحلّت به المناكحة.

قال أبو دعامة: فقلت: يا ابن رسول الله، والله ما أدري أيّهما أحسن؟ الحديث أم الإسناد! فقال: **إنّها لصحيفة بخطّ علي بن أبي طالب(عليه السلام) وإملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله) نتوارثها صاغراً عن كابر**[٢].

قال المسعودي: واعتلّ أبو الحسن (عليه السلام) علّته التي مضى فيها فأحضر أبا محمّد ابنه(عليه السلام) فسلّم إليه النور والحكمة ومواريث الأنبياء والسلاح[٣].

ونصّ عليه وأوصى إليه بمشهدٍ من ثقات أصحابه ومضى(عليه السلام) وله أربعون سنة[٤].

---

(١) راجع : الإمام الهادي من المهد الى اللحد: ٥٠٩ ـ ٥١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٥٠/٢٠٨، مروج الذهب: ٤/١٩٤.

(٣) إثبات الوصية: ٢٥٧.

(٤) بحار الأنوار: ٥٠/٢١٠.

تجهيزه وحضور الخاصّة والعامّة لتشييعه

ولما قضى نحبه تولّى تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ولده الإمام أبو محمّد الحسن العسكري(عليه السلام) وذلك لأنّ الإمام لا يتولّى أمره إلّا الإمام.

وما انتشر خبر رحيله الى الرفيق الأعلى حتّى هرعت الجماهير من العامّة والخاصّة الى دار الإمام(عليه السلام) وخيّم على سامراء جو من الحزن والحداد.

قال المسعودي: وحدّثنا جماعة كل واحد منهم يحكي أنّه دخل الدار وقد اجتمع فيها جملة بني هاشم من الطالبيين والعبّاسيين (والقوّاد وغيرهم)، واجتمع خلق من الشّيعة، ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمد(عليه السلام) ولا عرف خبرهم، إلا الثّقاه الذين نصّ أبو الحسن (عليه السلام) (عندهم) عليه، فحكوا أنهم كانوا في مصيبة وحيرة، فهم في ذلك إذ خرج من الدار الداخلة خادم فصاح بخادم آخر يارياش خذ هذه الرقعة وامض بها الى دار أمير المؤمنين وادفعها الى فلان، وقل له: هذه رقعة الحسن بن علي. فاستشرف النّاس لذلك. ثم فتح من صدر الرّواق باب وخرج خادم أسود، ثم خرج بعده أبو محمد(عليه السلام) حاسراً مكشوف الرأس مشقوق الثياب وعليه مبطنة (ملحمة) بيضاء.

وكان(عليه السلام) وجهه وجه أبيه(عليه السلام) لا يخطئ منه شيئاً، وكان في الدّار أولاد المتوكّل وبعضهم ولاة العهود، فلم يبق أحد إلّا قام على رجله ووثب إليه أبو أحمد [محمّد] الموفّق، فقصده أبو محمّد(عليه السلام) فعانقه، ثم قال له: مرحباً بابن العمّ وجلس بين بابي الرّواق، والناس كلهم بين يديه، وكانت الدار كالسّوق بالأحاديث، فلما خرج (عليه السلام) وجلس أمسك الناس، فماكنّا نسمع شيئاً إلّا العطسة والسعلة، وخرجت جارية تندب أبا الحسن(عليه السلام)، فقال أبو محمد: ماهاهنا من يكفينا مؤونة هذه الجاهلة، فبادر الشيعة إليها فدخلت الدار.

ثم خرج خادم فوقف بحذاء أبي محمّد فنهض(عليه السلام)، وأُخرجت الجنازة، وخرج يمشي حتى أُخرج بها الى الشارع الّذي بإزاء دار موسى بن بغا، وقد كان أبو محمد (عليه السلام) صلّى عليه قبل أن يخرج الى النّاس، وصلّى عليه لمّا أُخرج المعتمد.

قال المسعودي : وسمعت في جنازته جارية سوداء وهي تقول: ماذا لقينا في يوم الاثنين (قديماً وحديثاً)(١).

ودفن في داره بسرّ من رأى، وكان مقامه(عليه السلام) (بسرّ مَن رأى) الى أن توفّي عشرين سنة وأشهراً(٢).

قال المسعودي: واشتدّ الحرّ على أبي محمد(عليه السلام) وضغطه النّاس في طريقه ومنصرفه من الشارع بعد الصلاة عليه، فسار في طريقه الى دكّان لبقّال رآه مرشوشاً فسلّم واستأذنه في الجلوس فأذن له، وجلس ووقف الناس حوله.

فبينا نحن كذلك إذ أتاه شاب حسن الوجه نظيف الكسوة على بغلة شهباء على سرج ببرذون أبيض قد نزل عنه، فسأله أن يركبه فركب حتّى أتى الدار ونزل، وخرج في تلك العشيّة الى الناس ما كان يخرج عن أبي الحسن(عليه السلام) حتّى لم يفقدوا منه إلّا الشّخص(٣).

لماذا دفن الإمام(عليه السلام) في بيته ؟

لقد جرت العادة عند العامة والخاصة أنّه إذا توفي أحدٌ أن يدفن في المكان المعدّ للموتى المسمّى ـ بالمقبرة أو الجبّانة ـ كما هو المتعارف في هذا العصر أيضاً، ولا يختلف هذا الأمر بالنسبة لأي شخص مهما كان له من المكانة

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠٧/٥٠ ح ٢٢، مروج الذهب ١٩٣/٤.

(٢) إعلام الورى: ٣٣٩.

(٣) اثبات الوصية: ٢٥٧، الدمعة الساكبة : ٢٢٢/٨ .

والمنزلة، فقد كان ولا يزال في المدينة المحل المُعدّ للدفن - البقيع - حيث أنّه مثوى لأئمة أهل البيت(عليهم السلام)، وزوجات النبي(صلى الله عليه وآله)، وأولاده، وكبار الصحابة والتابعين وغيرهم، كما وأن مدفن الإمامين الجوادين(عليهما السلام) في مقابر قريش.

وأما السبب في دفن الإمام الهادي(عليه السلام) داخل بيته، يعود الى حصول ردود الفعل من الشيعة يوم استشهاده(عليه السلام) وذلك عندما اجتمعوا لتشييعه مظهرين البكاء والسخط على السلطة والذي كان بمثابة توجيه أصابع الاتهام الى الخليفة لتضلّعه في قتله.

وللشارع الذي أُخرجت جنازة الإمام(عليه السلام) إليه الأثر الكبير، حيث كان محلاً لتواجد معظم الموالين لآل البيت(عليهم السلام) إذ ورد في وصفه:

الشارع الثاني يعرف بأبي أحمد.. أول هذا الشارع من المشرق داربختيشوع المتطبّب التي بناها المتوكل، ثم قطائع قواد خراسان وأسبابهم من العرب، ومن أهل قم، وإصبهان، وقزوين، والجبل، وآذربيجان، يمنة في الجنوب ممّا يلي القبلة(١).

ويشير الى تواجد أتباع مدرسة أهل البيت في سامراء المظفري في تاريخه إذ يقول: فكم كان بين الجند، والقواد، والأُمراء، والكتّاب، من يحمل بين حنايا ضلوعه ولاء أهل البيت(عليهم السلام)(٢).

كلّ هذا أدّى الى اتخاذ السلطة القرار بدفنه(عليه السلام) في بيته، وإن لم تظهر تلك الصورة في التاريخ بوضوح، إلا أنه يفهم ممّا تطرق إليه اليعقوبي في تاريخه عند ذكره حوادث عام (٢٥٤ هـ) ووفاة الإمام الهادي(عليه السلام) حيث يقول:

وبعث المعتز بأخيه أحمد بن المتوكّل فصلّى عليه في الشارع المعروف

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة: ٨٢/١٢.

(٢) تاريخ الشيعة: ١٠١.

بشارع أبي أحمد، فلمّا كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجّتهم، فردّ النعش الى داره، فدفن فيها...[١]

وتمكّنوا بذلك من إخماد لهيب الانتفاضة والقضاء على نقمة الجماهير الغاضبة، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على وجود التحرّك الشيعي رغم الظروف القاسية التي كان يعاني منها أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم من سلطة الخلافة الغاشمة.

انتشار خبر استشهاد الإمام الهادي(عليه السلام) في البلاد

روى الحسين بن حمدان الحضيني في كتاب الهداية في الفضائل: عن أحمد ابن داود القمي، ومحمّد بن عبدالله الطلحي قالا: حملنا مالاً اجتمع من خُمس ونذور من بين ورق وجوهر وحُليّ وثياب من بلاد قم ومايليها، وخرجنا نريد سيّدنا أبا الحسن عليّ بن محمد(عليهما السلام) بها، فلما صرنا الى دسكرة الملك[٢] تلقّانا رجل راكب على جمل، ونحن في قافلة عظيمة، فقصَدَنا ونحن سائرون في جملة الناس وهو يعارضنا بجمله حتى وصل الينا، فقال: يا أحمد ابن داود ومحمّد بن عبدالله الطلحي معي رسالة إليكم، فأقبلنا إليه فقلنا له: ممّن يرحمك الله فقال: من سيّدكما أبي الحسن عليّ بن محمّد(عليهما السلام) يقول لكما:أنا راحل الى الله في هذه الليلة، فأقيما مكانكما حتى يأتيكما أمر ابني أبي محمد الحسن، فخشعت قلوبنا وبكت عيوننا وأخفينا ذلك، ولم تظهره، ونزلنا بدسكرة الملك واستأجرنا منزلاً وأحرزنا ما حملناه فيه، وأصبحنا والخبر شائع

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/٥٠٣.

(٢) الدسكرة: قرية في طريق خراسان قريبة من شهرابان (وهي قرية كبيرة ذات نخل وبساتين من نواحي الخالص شرقي بغداد)، وهي دسكرة الملك (معجم البلدان: ٢/٤٥٥ و٣/٣٧٥).

في الدّسكرة بوفاة مولانا أبي الحسن (عليه السلام) ، فقلنا: لا إله إلّا الله أترى الرّسول الذي جاء برسالته أشاع الخبر في النّاس؟

فلمّا أن تعالىٰ النّهار رأينا قوماً من الشّيعة على أشدّ قلق ممّا نحن فيه، فأخفينا أمر الرسالة ولم نظهره[١].

تاريخ استشهاده(عليه السلام)

اختلف المؤرّخون في يوم استشهاده(عليه السلام) ،كما اختلفوا في مَن دسّ إليه السمّ.

والتحقيق أنّه(عليه السلام) استشهد في أواخر ملك المعتزّ كما نصّ عليه غير واحد من المؤرّخين، وبما أنّ أمره كان يهمّ حاكم الوقت، وهو الذي يتولّى تدبير هذه الأُمور كما هو الشأن، فإنّ المعتزّ أمر بذلك، ويمكن أنّه استعان بالمعتمد في دسّ السمّ إليه.

وأمّا يوم شهادته (عليه السلام) فقد قال ابن طلحة في مطالب السؤول : أنه مات في جمادى الآخرة لخمس ليال بقين منه ووافقه ابن خشّاب[٢] ، وقال الكليني في الكافي: مضى صلوات الله عليه لأربع بقين من جمادى الآخرة[٣]؛ ووافقه المسعودي[٤].

وأما المفيد في الإرشاد، والإربلي في كشف الغمّة، والطبرسي في إعلام الورى، فقالوا: قبض(عليه السلام) في رجب، ولم يحدّدوا يومه[٥].

وقال أبو جعفر الطوسي في مصابيحه، وابن عيّاش ، وصاحب الدّروس:

(١) الدمعة الساكبة: ٢٢٣/٨.
(٢) الدمعة الساكبة: ٢٢٥/٨ و ٢٢٧.
(٣) الكافي: ٤٩٧/١.
(٤) مروج الذهب: ١٩٣/٤.
(٥) الدمعة الساكبة: ٢٢٦/٨ و ٢٢٧، اعلام الورى: ٣٣٩،كشف الغمة ٢: ٣٧٦.

إنّه قبض بسرّ من رأى يوم الاثنين ثالث رجب[١]؛ ووافقهم الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين حيث قال: توفّي(عليه السلام) بـ(سرّ من رأى) لثلاث ليال خلون نصف النّهار من رجب[٢]؛ وللزرندي قول: بأنّه توفي يوم الاثنين الثالث عشر من رجب[٣].

ولكـن الكلّ متفقون على أنّـه استشهد في سنة أربع وخمسين ومائتين للهجرة[٤].

وعن الحضيني أنه قال: حدّثني أبو الحسن عليّ بن بلال وجماعة من إخواننا أنّه لما كان اليوم الرابع من وفاة سيّدنا أبي الحسن(عليه السلام) أمر المعتزّ بأن ينفذ الى أبي محمد(عليه السلام) من يستركبه إليه ليعزّيه ويسأله، فركب أبو محمد(عليه السلام) الى المعتزّ فلمّا دخل عليه رحّب به وقرّبه وعزّاه وأمر أن يُثبت في مرتبة أبيه(عليه السلام)، وأثبت له رزقه وأن يدفعه فكان الذي يراه لا يشكّ أنه في صورة أبيه(عليه السلام).

واجتمعت الشيعة كلّها من المهتدين على أبي محمد بعد أبيه إلّا أصحاب فارس بن حاتم بن ماهويه فإنّهم قالوا بإمامة أبي جعفر محمد بن أبي الحسن صاحب العسكر[٥].

إن ما صدر من المعتزّ هذا كان من باب التمويه والخداع لكي يغطّي على جريمته التي ارتكبها بحق أبيه، وهذا كان ديدن من تقدّمه من الطواغيت تجاه أئمة أهل البيت(عليهم السلام)[٦].

(١) الدمعة الساكبة: ٨/٢٢٥، بحار الأنوار: ٥٠/٢٠٦، ح ١٧.

(٢) روضة الواعظين: ١/٢٤٦.

(٣) الدمعة الساكبة: ٨/٢٢٦.

(٤) راجع: لمحات من حياة الامام الهادي(عليه السلام): ١١٢ ـ ١٢٠ محمد رضا سيبويه.

(٥) الدمعة الساكبة: ٨/٢٢٥.

(٦) لمحة من حياة الإمام الهادي(عليه السلام): ١٢١ ـ ١٢٢.

الفصل الرابع

مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) وتراثه

لقد تميز عصر الإمام الهادي (عليه السلام) عن عصر أبيه الإمام محمد الجواد (عليه السلام) بزيادة الكبت والضغط عليه من قبل السلطة حتى كانت الرقابة الدائمة هي الأمر المميز والفارق الواضح في حياته وحياة ابنه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

كما ان الإمام الهادي (عليه السلام) شارك أباه الجواد (عليه السلام) في تولّي مهمة الإمامة في صغر السن وقبل إكمال عقده الأول من العمر، فكانت الإمامة المبكّرة وتوجّس السلطة من قيادة خط المعارضة الذي دام قرنين وثلاثة عقود من الزمن في عهده (عليه السلام)، وترقّب ظهور المهدي من آل محمد (صلى الله عليه وآله) من ولده هي ثلاث مميزات تميزت بها فترة إمامته، ومن هنا شدّدت الرقابة إلى أقصى حدّ ممكن حتى انتهت الى التصفية الجسدية بعد أن سيطر الخوف والرعب على طغاة عصره.

ومن هنا فإن كثرة أصحاب الإمام - والذين أحصاهم أحد المهتمّين بتأريخ هذا الإمام العظيم[1] حيث ترجم لـ (٣٤٦) شخصاً كانوا قد ارتبطوا بالإمام ورووا عنه - وهو في تلك الظروف العصيبة، لها دلالة كبيرة وواضحة على سعة نشاط الإمام الهادي (عليه السلام) في تلك الظروف الصعبة، وعظمة هذا

(١) راجع الإمام الهادي من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني.

الإمام الذي استوعب بنشاطه السريّ والمنظّم كل تلك العقبات واجتازها بما يحقق له أهدافه من التمهيد فكرياً وعقائدياً ونفسياً لعصر الغيبة المرتقب محافظاً على خط المعارضة بشكل تام ، مراقباً للأحداث بشكل مستمر ومقدّماً لكل ظرفٍ مستجد ما يتطلّبه من الخطوات والأنشطة، مراعياً التقدم الحضاري الذي كانت الأُمة الإسلامية على مشارفه وهو يريد أن تكون الجماعة الصالحة في موقع القيادة والقمّة منه دائماً، وهكذا كان . ومن هذه الزاوية ينبغي أن نطالع ما وصلنا من تراثه ومعالم مدرسته .

وينقسم الحديث في هذا الفصل الى حقلين:

الأوّل مدرسة الإمام الهادي المتمثلة في أصحابه ورواة حديثه.

والثاني تراثه الفكري والعلمي المدوّن أو المروي عنه.

البحث الأوّل: أصحاب الإمام(عليه السلام) ورواة حديثه

كان الإمام الهادي (عليه السلام) مقصداً لطلاب العلوم لتنوع ثقافته وشمول معارفه ، فهو (عليه السلام) المتخصص في جميع العلوم ، والخبير في تفسير القرآن الكريم والمتضلّع في الفقه الإسلامي بشتى حقوله ومستوياته.

وقد مثّل أصحابه الخط الرسالي في الأُمة الإسلامية ، باعتبار اتصالهم بأهل البيت(عليهم السلام) ، فرووا أحاديثه ودونوها في أصولهم . فكان لهم الفضل الكبير على العالم الاسلامي بما دوّنوه من تراث الأئمة الطاهرين فلولاهم لضاعت ثروة كبيرة تشتمل على الإبداع والاصالة وتساير تطور الفكر البشري بل وتتقدم عليه.

وتجدر الإشارة إلىٰ ان كثيراً من ملامح عمل الإمام الهادي (عليه السلام) تنكشف من خلال أنشطة أتباعه المعتمدين وتتعمق هذه الحقيقة بمقدار اشتداد الظروف الداعية للسرية في عمل الإمام (عليه السلام) .

وفيما يأتي تراجم بعض أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام)، وقد رتبناها حسب تسلسل حروف الهجاء:

١ ـ ابراهيم بن عبده النيسابوري :

عدّه الشيخ من اصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) ومن أصحاب الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، وذكر الكشي ان الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بعث رسالة إلىٰ إسحاق بن اسماعيل، سلّم فيها على ابراهيم بن عبده، ونصبه وكيلاً على قبض الحقوق الشرعية وقد بعثه إلىٰ عبد الله بن حمدويه البيهقي، وزوده برسالة جاء فيها: « **وبعد، فقد بعثت لكم ابراهيم بن عبده، ليدفع النواحي، وأهل ناحيتك، حقوقي الواجبة عليكم إليه، وجعلته ثقتي وأميني عند مواليي هناك فليتقوا الله، وليراقبوا وليؤدوا الحقوق، فليس لهم عذر في ترك ذلك ولا تأخيره، ولا أشقاهم الله بعصيان اوليائه ورحمهم الله ـ وإياك معهم ـ برحمتي لهم ان الله واسع كريم.** »[(١)]

٢ ـ ابراهيم بن محمد الهمداني :

عده الشيخ من اصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) ومن اصحاب الإمام الجواد والهادي (عليهما السلام)، وقال الكشي: كان وكيله وقد حج اربعين حجة. وكتب الإمام له: « **قد وصل الحساب تقبل الله منك ورضي عنهم، وجعلهم معنا في الدنيا والآخرة، وقد بعثت اليك من الدنانير بكذا، ومن الكسوة بكذا، فبارك لك فيه، وفي جميع نعمة الله عليك، وقد كتبت إلىٰ النضر أمرته ان ينتهي عنك، وعن التعرض لك وبخلافك، واعلمته موضعك عندي، وكتبت إلىٰ ايوب: أمرته بذلك أيضاً، وكتبت إلىٰ مواليي بهمدان كتاباً امرتهم بطاعتك والمصير إلىٰ امرك، وان لا وكيل لي سواك.** »[(٢)]

ودلت هذه الرواية على وثاقته وجلالة أمره، وسمو مكانته عند الإمام(عليه السلام).

---

(١) معجم رجال الحديث: ٢٣٢/١.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٨٦٩/٢.

٣ـ ابراهيم بن مهزيار:

عده الشيخ من أصحاب الإمام الجواد، ومن أصحاب الإمام الهادي(عليه السلام). قال النجاشي: له كتاب البشارات. وروى الكشي بسنده عن محمد بن ابراهيم بن مهزيار، قال: ان أبي لما حضرته الوفاة دفع إليَّ مالاً، وأعطاني علامة ولم يعلم بها أحد إلّا الله عزوجل، وقال: من أتاك بهذه العلامة فادفع إليه المال، قال: فخرجت إلى بغداد، ونزلت في خان فلما كان في اليوم الثاني جاء شيخ فطرق الباب فقلت للغلام انظر من في الباب، فخرج، ثم جاء وقال: شيخ في الباب فأذنت له في الدخول، فقال: أنا العمري، هات المال الذي عندك، وهو كذا وكذا ومعه العلامة، قال: فدفعت له المال[1].

ودلّت هذه الرواية على ان ابراهيم كان وكيلاً للامام (عليه السلام) في قبض الحقوق الشرعية، ومن الطبيعي انه انما يؤتمن عليها فيما إذا كان ثقة وعدلاً.

٤ـ احمد بن اسحاق بن عبد الله الاشعري القمي:

كان وافد القميين، روى عن أبي جعفر الثاني وأبي الحسن(عليهما السلام) وكان من خاصة أبي محمد (عليه السلام)، وله من الكتب:

١ـ مسائل الرجال للإمام الهادي (عليه السلام).

٢ـ علل الصلاة.

٣ـ علل الصوم.

وهو ممّن رأى الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ ووردت أخبار كثيرة في مدحه والثناء عليه[2].

---

(١) خلاصة الأقوال: ٥١.

(٢) رجال النجاشي: ٩١، وخلاصة الأقوال: ٦٣.

٥ ـ احمد بن محمد بن عيسى الاشعري القمي :

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا والجواد والهادي (عليهم السلام) ، يكنّى أبا جعفر وهو شيخ القميين ووجيههم ، وكان الرئيس الذي يلقى السلطان ، صنّف كتباً منها : كتاب «التوحيد» وكتاب «فضل النبي (صلى الله عليه وآله)» وكتاب «المتعة» وكتاب «النوادر» وكتاب «الناسخ والمنسوخ» وكتاب «فضائل العرب» وغيرها[١] .

٦ ـ أيوب بن نوح بن دراج :

الثقة الامين ، قال النجاشي : انه كان وكيلاً لأبي الحسن ، وأبي محمد(عليهما السلام) عظيم المنزلة عندهما ، مأموناً ، وكان شديد الورع ، كثير العبادة ، ثقة في رواياته ، وابوه نوح بن دراج كان قاضياً بالكوفة ، وكان صحيح الاعتقاد ، واخوه جميل بن دراج[٢] ، قال الشيخ : ايوب بن نوح بن دراج ثقة له كتاب وروايات ومسائل عن أبي الحسن الثالث[٣]. وقال الكشي : كان من الصالحين ومات وما خلف إلّا مائة وخمسين ديناراً ، روى عن الإمام أبي الحسن (عليه السلام) وروىٰ عنه جماعة من الرواة[٤] .

٧ ـ الحسن بن راشد :

يكنى أبا علي مولى لآل المهلب البغدادي ، ثقة.

---

(١) معجم رجال الحديث: ٨٦/٣

(٢) رجال النجاشي : ١٠٢.

(٣) الفهرست: ٥٦.

(٤) رجال النجاشي: ١٠٢ .

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) وعده الشيخ المفيد من الفقهاء الاعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام الذين لا يطعن عليهم بشيء ولا طريق لذم واحد منهم ، وقد نصبه الإمام وكيلاً وبعث إليه بعدة رسائل منها[١] :

١ ـ ما رواه الكشي بسنده إلىٰ محمد بن عيسى اليقطيني ، قال : كتب ـ يعني الإمام الهادي ـ إلىٰ أبي علي بن بلال في سنة (٢٣٢ هـ) رسالة جاء فيها :

« واحمد الله اليك ، واشكر طوله وعوده ، وأُصلّي على محمد النبي وآله ، صلوات الله ورحمته عليهم ، ثم اني اقمت ابا علي مقام الحسين بن عبد ربه ، وائتمنته على ذلك بالمعرفة بما عنده الذي لا يقدمه أحد ، وقد اعلم انك شيخ ناحيتك فاحببت افرادك ، واكرامك بالكتاب بذلك ، فعليك بالطاعة له ، والتسليم إليه جميع الحق قبلك ، وان تحض موالي على ذلك ، وتعرفهم من ذلك ما يصير سبباً إلىٰ عونه وكفايته ، فذلك موفور ، وتوفير علينا ، ومحبوب لدينا ، ولك به جزاء من الله وأجر ، فان الله يعطي من يشاء ذو الاعطاء والجزاء برحمته ، وانت في وديعة الله ، وكتبت بخطي واحمد الله كثيراً »[٢].

ودلت هذه الرسالة على فضل ابن راشد ووثاقته وامانته ، فقد ارجع إليه الشيعة واوصاهم بطاعته والانقياد إليه ، وتسليم ما عندهم من الحقوق الشرعية إليه .

٢ ـ روىٰ الكشي بسنده إلىٰ احمد بن محمد بن عيسى قال : نسخت الكتاب مع ابن راشد إلىٰ جماعة الموالي الذين هم ببغداد المقيمين بها والمدائن والسواد وما يليها ، وهذا نصه :

(١) رجال الطوسي: ٣٧٥.

(٢) معجم رجال الحديث: ٣١٣/٥ ـ ٣١٤.

« واحمد الله اليكم ما انا عليه من عافيته ، واصلي على نبيه وآله افضل صلاته واكمل رحمته ورأفته ، واني اقمت ابا علي بن راشد مقام علي بن الحسين بن عبد ربه ، ومن كان من قبله من وكلائي ، وصار في منزلته عندي ، ووليته ما كان يتولاه غيره من وكلائي قبلكم ليقبض حقي ، وارتضيته لكم ، وقدمته على غيره في ذلك ، وهو أهله وموضعه ، فصيروا رحمكم الله إلى الدفع إليه ذلك وإليّ، وان لا تجعلوا له على انفسكم علّة ، فعليكم بالخروج عن ذلك ، والتسرع إلى طاعة الله ، وتحليل اموالكم ، والحقن لدمائكم ، وتعاونوا على البر والتقوىٰ واتقوا الله لعلكم ترحمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تموتن إلّا وانتم مسلمون ، فقد اوجبت في طاعته طاعتي ، والخروج إلى عصيانه عصياني ، فالزموا الطريق يأجركم الله ، ويزيدكم من فضله ، فإن الله بما عنده واسع كريم ، متطول على عباده رحيم ، نحن وانتم في وديعة الله وحفظه ، وكتبته بخطي ، والحمد لله كثيراً»[1]

وكشفت هذه الرسالة عن سمو مكانة ابن راشد عند الإمام (عليه السلام) وعظيم منزلته عنده حتى قرن طاعته بطاعته (عليه السلام) ، وعصيانه بعصيانه (عليه السلام) .

٣ـ وبعث الإمام أبو الحسن(عليه السلام) رسالة له والى ايوب بن نوح جاء فيها بعد البسملة : « انا آمرك يا ايوب بن نوح ان تقطع الاكثار بينك وبين أبي علي ، وان يلزم كل واحد منكما ما وكّل به ، وأُمر بالقيام فيه بأمر ناحيته ، فإنّكم إذا انتهيتم إلى كل ما امرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي ، وآمرك يا ابا علي بمثل ما امرت به ايوب ، ان لا تقبل من احد من اهل بغداد والمدائن شيئاً يحملونه ، ولا يلي لهم استيذاناً علي ، ومر من أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك ان يصيّره إلى الموكل بناحيته ، وآمرك يا أبا علي في ذلك بمثل ما أمرت به أيوب ، وليعمل كل واحد منكما بمثل ما أمرته به »[2].

(١) معجم رجال الحديث: ٣١٤/٥.
(٢) معجم رجال الحديث: ٣١٥/٥.

لقد كانت لأبي راشد مكانة مرموقة عند الإمام (عليه السلام) ، ومن الطبيعي انه لم يحتل هذه المنزلة إلّا بتقواه وورعه ، وشدّة تحرجه في الدين ، ولما توفّي ابن راشد ترحم عليه الإمام (عليه السلام) ودعا له بالمغفرة والرضوان .

٨ ـ الحسن بن علي :

ابن عمر ، بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الناصر للحق من أصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) . وهو والد جدّ السيد المرتضىٰ من جهة أُمه ، قال السيد (رضي الله عنه) في اول كتابه «شرح المسائل الناصريات» : واما أبو محمد الناصر الكبير وهو الحسن بن علي فنفضله في علمه وزهده وفقهه أظهر من الشمس الباهرة ، وهو الذي نشر الاسلام في الديلم حتى اهتدوا به من الضلالة ، وعدلوا بدعائه بعد الجهالة ، وسيرته الجميلة اكثر من ان تحصىٰ واظهر من ان تخفىٰ[1].

٩ ـ الحسن بن علي الوشا :

عده الشيخ من اصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) .

قال النجاشي : انه ابن بنت الياس الصيرفي الخزاز ، وقد روى الحسن عن جده الياس انه لما حضرته الوفاة ، قال : اشهدوا علي وليست ساعة الكذب هذه الساعة : سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : **والله لا يموت عبد يحب الله ورسوله ويتولى الأئمة فتمسه النار .**

---

(١) الناصريات: ٦٣ .

وروى احمد بن محمد بن عيسى قال : خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن علي الوشا ، فسألته ان يخرج لي كتاب العلاء بن رزين القلا ، وابان بن عثمان الاحمر ، فاخرجهما لي فقلت له : احب ان تجيزهما لي فقال لي : يا هذا رحمك الله ، وما عجلتك ، اذهب فاكتبهما ، واسمع من بعد ، فقلت : لا آمن الحدثان ، فقال : لو علمت ان هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه ، فإني ادركت في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد ، وكان هذا الشيخ عيناً من عيون هذه الطائفة وله كتب منها ثواب الحج ، والمناسك والنوادر(1).

10 ـ داود بن القاسم الجعفري :

يكنى ابا هاشم ، من اهل بغداد ، جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة(عليهم السلام) شاهد الإمام الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر(عليه السلام) ، وروى عنهم كلهم ، وله اخبار ومسائل وله شعر جيد فيهم ، وكان مقدماً عند السلطان وله كتاب .

عدّه البرقي من اصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام الحسن العسكري (عليهم السلام) قال الكشي : قال أبو عمرو : له ـ اي لداود ـ منزلة عالية عند أبي جعفر، وأبي الحسن ، وابي محمد (عليهم السلام) وموقع جليل(2).

---

(1) معجم رجال الحديث: ٣٨/٦.

(2) اختيار معرفة الرجال: ٨٤١/٢.

١١ ـ الريّان بن الصلت :

عدّه الشيخ من اصحاب الإمام الرضا (عليه السلام)، ومن اصحاب الإمام الهادي(عليه السلام) واضاف انه ثقة ، وروىٰ الكشي بسنده عن معمر بن خلاد ، قال : قال لي الريان بن الصلت : وكان الفضل بن سهل بعثه إلىٰ بعض كور خراسان ، فقال: احب ان تستأذن لي على أبي الحسن (عليه السلام) فأسلم عليه واودعه واحب ان يكسوني من ثيابه ، وان يهب لي من الدراهم التي ضربت باسمه ، قال : فدخلت عليه ، فقال لي مبتدئاً : **يا معمر أين ريان ، أيحب أن يدخل علينا فأكسوه من ثيابي ، وأعطيه من دراهمي ؟** قال : قلت : سبحان الله !!! والله ما سألني إلّا ان اسألك ذلك له ، فقال : **يا معمر ان المؤمن موفق ، قل له فليجئ** ، قال : فأمرته فدخل عليه فسلم عليه فدعا بثوب من ثيابه ، فلما خرج قلت : اي شيء اعطاك؟ وإذا بيده ثلاثون درهما[1] . وقد دلّت هذه البادرة على حسن ايمانه وحسن عقيدته .

١٢ ـ عبد العظيم الحسني :

هو السيد الشريف الحسيب النسيب من مفاخر الأُسرة النبوية علماً وتقىً وتحرجاً في الدين . ونلمح إلىٰ بعض شؤونه .

أ ـ نسبه الوضاح: يرجع نسبه الشريف إلىٰ الإمام الزكي أبي محمد الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو ابن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

ب ـ وثاقته وعلمه : كان ثقة عدلاً ، متحرجاً في دينه كأشد ما يكون التحرج ، كما كان عالماً وفاضلاً وفقيهاً فقد روىٰ أبو تراب الروياني ، قال : سمعت أبا حماد الرازي ، يقول : دخلت على علي بن محمد (عليه السلام) بـ(سر من رأىٰ)

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢/٨٢٤.

فسألته عن اشياء من الحلال والحرام فأجابني عنها ، فلما ودعته قال لي : **يا حماد إذا اشكل عليك شيء من امر دينك بناحيتك فسل عنه عبد العظيم الحسني واقرئه مني السلام**[1].

ودلّت هذه الرواية على فقهه وعلمه .

ج ـ عرض عقيدته على الهادي (عليه السلام) : وتشرف السيد الجليل عبد العظيم بمقابلة الإمام الهادي (عليه السلام) فعرض على الإمام اصول عقيدته وما يدين به قائلاً : « يابن رسول الله اني أُريد ان اعرض عليك ديني فإن كان مرضياً ثبتُّ عليه ..».

فقابله الإمام مبتسماً وقال له : « **هات يا أبا القاسم** » .

وانبرى عبد العظيم يعرض على الإمام المبادئ التي آمن بها قائلاً : « اني اقول : ان الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء ، خارج عن الحدين ، حد الإبطال وحد التشبيه ، وانه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر بل هو مجسم الاجسام ومصور الصور وخالق الاعراض والجواهر ورب كل شيء ومالكه وجاعله ومحدثه .

وان محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة ، وان شريعته خاتمة الشرايع فلا شريعة بعدها إلى يوم القيامة ، واقول : ان الإمام والخليفة ، وولي الامر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم انت يا مولاي » .

والتفت إليه الإمام فقال : « **ومن بعدي الحسن ابني ، فكيف للناس بالخلف من بعده ؟** » .

---

(١) معجم الرجال الحديث: ٥٣/١١ .

واستفسر عبد العظيم عن الحجة من بعده قائلاً : وكيف ذاك يا مولاي ؟ قال الإمام (عليه السلام) : « **لأنه لا يرى شخصه ، ولا يحل ذكره باسمه ، حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً** ».

وانبرىٰ عبد العظيم يعلن ايمانه بما قال الإمام (عليه السلام) قائلاً : « اقررت ، واقول : ان وليهم ولي الله ، وعدوهم عدو الله وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله .. واقول : ان المعراج حق والمساءلة في القبر حق وان الجنة حق والنار حق والصراط حق والميزان حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور .

وأقول : ان الفرائض الواجبة بعد الولاية - اي الولاية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) - الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. »

وبارك له الإمام عقيدته قائلاً : « **يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده ، فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة** »[1].

١٣ - عثمان بن سعيد العمري السمان :

يكنىٰ أبا عمرو ، الثقة الزكي ، خدم الإمام الهادي (عليه السلام) وله من العمر احدىٰ عشرة سنة ، احتل المكانة المرموقة عند الإمام (عليه السلام) ، فقد روىٰ احمد ابن اسحاق القمي قال : دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الايام فقلت له : ياسيدي أنا أغيب وأشهد ، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت فقول من نقبل ، وأمر من نمتثل ؟ فقال (عليه السلام) :

(١) كمال الدين : ٣٧٩ ح ١ وعنه في إعلام الورى : ٢/٢٤٤ ، ٢٤٥.

هـذا أبـو عـمرو الثـقة الأمـين ، مـا قـاله لكـم فـعنّي يـقوله ، ومـا اداه اليكـم فعنّي يؤديه .

فلما قضىٰ أبو الحسن(عليه السلام) نحبه رجعت إلىٰ أبـي مـحمد ابنه الحسـن العسكري وقلت له(عليه السلام) ذات يوم : مثل قولي لأبيه ، فقال لي : **هذا أبو عـمرو الثقة الأمين ، ثقة الماضين ، وثقتي في المحيا والممات ، فما قاله لكم فعنّي يقوله ، وما ادىٰ اليكم فعنّي يؤديه**(١) .

ودلّت هذه الرواية على وثاقته ، وانّه قد نال المنزلة الكريمة عند الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ،كما دلّت على فضله وعلمه ، وانه كان مرجعاً للفتيا وأخذ الاحكام .

١٤ ـ علي بن مهزيار الاهوازي الدورقي :

كان من مـفاخر العـلماء ومـن مشـاهير تـلاميذ الإمـام الهـادي (عليه السلام) ونتحدث بايجاز عن بعض شؤونه :

أ ـ عبادته : كان من عيون المتقين والصالحين ، ويقول المؤرخون : انه كان إذا طلعت الشمس سجد لله تعالى ، وكان لا يرفع رأسه حتى يدعو لألف من اخوانه بمثل ما دعا لنفسه ، وكان على جبهته سجادة مثل ركبة البعير من كثرة سجوده(٢).

ب ـ ثناء الإمام الجواد (عليه السلام) عليه : وأثنىٰ الإمام الجواد (عليه السلام) ثناءً عاطراً على ابن مهزيار ، وكان مما أثنىٰ عليه انه بعث له رسالة جاء فيها :

---

(١) معجم رجال الحديث: ١٢٣/١٢.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٨٢٥/٢.

« يا علي قد بلوتك وخبرتك في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير ، والقيام بما يجب عليك ، فلو قلت : إني لم أر مثلك لرجوت ان اكون صادقاً فجزاك الله جنات الفردوس نزلاً . وما خفي علي مقامك ولا خدمتك، في الحر والبرد ، في الليل والنهار ، فاسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامة ان يحبوك برحمة تغتبط بها انه سميع الدعاء »[١].

وكشفت هذه الرسالة عن إكبار الإمام وتقديره ودعائه له ، وانه (عليه السلام) لم ير في أصحابه وغيرهم مثل هذا الزكي تقوى وورعاً وعلماً .

ج ـ مؤلفاته : ألف عليّ مجموعة من الكتب تزيد على ثلاثين كتاباً كان معظمها في الفقه وهذه بعضها : كتاب الوضوء ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصوم ، كتاب الحج ، كتاب الطلاق ، كتاب الحدود ، كتاب الديات ، كتاب التفسير ، كتاب الفضائل ، كتاب العتق والتدبير ، كتاب التجارات والاجارات ، كتاب المكاسب ، كتاب المثالب ، كتاب الدعاء ، كتاب التجمل والمروّة ، كتاب المزار ، وغيرها[٢].

د ـ طبقته في الحديث : وقع علي بن مهزيار في اسناد كثير من الروايات تبلغ (٤٣٧) مورداً ، روى عن الإمام أبي جعفر الثاني وأبي الحسن الثالث وغيرهم . لقد كان علي بن مهزيار من دعائم الفكر الشيعي ، وكان من أفذاذ عصره وعلماء دهره .

(١) معجم رجال الحديث: ٢١١/١٣ .

(٢) رجال النجاشي: ٢٥٣ .

١٥ ـ الفضل بن شاذان النيشابوري :

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ، وهو من أساطين العلماء ، ومن ابرز رجال الفكر الاسلامي في عصره ، خاض في مختلف العلوم والفنون وألّف فيها ، ونعرض بايجاز لبعض شؤونه :

أ ـ ثناء الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عليه :

واشاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بالفضل بن شاذان ، وأثنى عليه ثناءً عاطراً ، فقد عرضت عليه احدى مؤلفاته فنظر فيه فترحّم عليه وقال :

« أغبط اهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان وكونه بين اظهرهم »[١].

ونظر (عليه السلام) مرة اخرى إلى مؤلَّف آخر من مؤلفاته فترحّم عليه ثلاث مرات ، وقال مقرّضاً للكتاب : **« هذا صحيح ينبغي ان يعمل به »**[٢].

ب ـ ردّه على المخالفين : انبرىٰ الفضل للدفاع عن مبادئه ، وإبطال الشبه التي اثيرت حول عقيدته ، وقد قال : انا خلف لمن مضىٰ ادركت محمد بن أبي عمير ، وصفوان بن يحيى وغيرهما ، وحملت عنهم منذ خمسين سنة ، ومضى هشام بن الحكم (رحمه الله) ، وكان يونس بن عبد الرحمن (رحمه الله) خلفه ،كان يرد على المخالفين ، ثم مضى يونس بن عبد الرحمن ولم يخلف خلفاً غير السكاك ، فردّ على المخالفين حتى مضى (رحمه الله) ، وانا خلف لهم من بعدهم

(١) جامع الرواة: ٢/٥.
(٢) طرائف المقال: ٢/٦٣٢.

رحمهم الله »[١] . لقد كان خلفاً لاولئك الأعلام الذين نافحوا وناضلوا عن مبادئهم الرفيعة التي تبناها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

ج ـ مؤلفاته : ألّف هذا العالم الكبير في مختلف العلوم ، كعلم الفقه وعلم التفسير وعلم الكلام والفلسفة واللغة والمنطق وغيرها ، وكانت مؤلفاته تربو على مائة وثمانين مؤلفاً وقد ذكر بعضها الشيخ والنجاشي وابن النديم وغيرهم.

١٦ ـ محمد بن احمد المحمودي :

يكنّى ابا علي ، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ، قال الكشي : وجدت بخط أبي عبد الله الشاذاني في كتابه : سمعت الفضل بن هاشم الهروي يقول : ذكر لي كثرة ما يحج المحمودي ، فسألته عن مبلغ حجّاته فلم يخبرني بمبلغها ، وقال : رزقت خيراً كثيراً والحمد لله ، فقلت له : فتحج عن نفسك او غيرك؟ فقال : عن غيري بعد حجّة الاسلام أحجّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأجعل ما أجازني الله عليه لاولياء الله وأهب ما أثاب على ذلك للمؤمنين والمؤمنات ، فقلت : ما تقول في حجّتك ؟ فقال : اقول : اللهم اني اهللت لرسولك محمد (صلى الله عليه وآله) وجعلت جزائي منك ومنه لاوليائك الطاهرين (عليهم السلام) ، ووهبت ثوابي عنهم لعبادك المؤمنين والمؤمنات بكتابك وسنة نبيك (صلى الله عليه وآله)... إلى آخر الدعاء[٢].

(١) اختيار معرفة الرجال: ٨١٨/٢.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٧٩٨/٢.

١٧ ـ محمد بن الحسن بن أبي الخطاب الزيات :

الكوفي الثقة ، عدّه الشيخ من اصحاب الإمام علي الهادي (عليه السلام) ، قال النجاشي : انه كان جليلاً من اصحابنا ، عظيم القدر ،كثير الرواية ، ثقة ، عين ، حسن التصانيف ، مسكون إلىٰ روايته له كتاب التوحيد ،كتاب المعرفة والبدار ،كتاب الرد على أهل القدر ،كتاب الإمامة ،كتاب اللؤلؤة ،كتاب وصايا الأئمة ،كتاب النوادر .

١٨ ـ محمد بن الفرج الرخجي :

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) كانت له اتصالات وثيقة بالامام (عليه السلام) ، وجرت بينهما عدة مراسلات ، ومنها: ما رواه الكشي بسنده عن محمد بن الفرج : قال :كتبت إلىٰ أبي الحسن (عليه السلام) اسأله عن أبي علي بن راشد ، وعن عيسى بن جعفر بن عاصم وابن بند ، فكتب(عليه السلام) اليّ : **ذكرت ابن راشد (رحمه الله) فإنه عاش سعيداً ، ومات شهيداً ، ودعا لابن بند والعاصمي**[١].

وقد مرّت بعض المراسلات الأُخرىٰ له مع الإمام(عليه السلام) وهي تكشف عن ثقة الإمام بمحمد وتسديده له ، ولما مرض محمد بعث له الإمام أبو الحسن(عليه السلام) بثوب فأخذه ووضعه تحت رأسه فلما توفي كفن فيه .

١٩ ـ معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الكوفي :

عدّه الشيخ من اصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) ، قال النجاشي فيه : انه ثقة جليل من اصحاب الرضا(عليه السلام) قال أبو عبد الله الحسين : سمعت شيوخنا يقولون : روى معاوية بن حكيم أربعة وعشرين أصلاً... وله كتب منها كتاب الطلاق ،كتاب الحيض ، كتاب الفرائض ،كتاب النكاح ،كتاب الحدود ،كتاب الديّات ، وله نوادر[٢].

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢/٨٦٣.

(٢) رجال النجاشي: ٤١٢.

٢٠ ـ يعقوب بن اسحاق :

أبو يوسف الدورقي الاهوازي المشهور بابن السكّيت ، عدّه الشيخ من اصحاب الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ،كان مقدماً عند أبي جعفر الثاني وابي الحسن (عليه السلام) وكانا يختصّانه ، وله عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) رواية ومسائل .كان ابن السكيت حامل لواء علم العربية والادب والشعر واللغة والنحو وله تصانيف كثيرة منها «تهذيب الالفاظ» وكتاب «اصلاح المنطق»... قتله المتوكل لولائه لأهل البيت (عليهم السلام) .

النساء :

ولم يذكر الشيخ الطوسي من النساء اللاتي روين عن الإمام الهادي(عليه السلام) سوى السيدة الكريمة كلثم الكرخية، وقد عدّها الشيخ من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) وأضاف انّ الرّاوي عنها هو عبدالرحمن الشعيري ، وهو أبو عبد الرحمن بن داود البغدادي[1].

(١) اقتبسنا ما ورد في هذا الفصل عن أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) من «حياة الإمام علي الهادي» : ١٧٠ ـ ٢٣٠ للشيخ باقر شريف القرشي.

البحث الثاني: نماذج من تراث الإمام الهادي (عليه السلام)

١ ـ من تراثه التفسيري:

١ ـ روى العياشي باسناده عن حمدويه، عن محمد بن عيسى قال: سمعته يقول: كتب إليه ابراهيم بن عنبسة ـ يعني إلى علي بن محمد(عليه السلام) ـ ان رأى سيّدي ومولاي أن يخبرني عن قول الله: ﴿ **يسئلونك عن الخمر والميسر** ﴾ فما الميسر جعلت فداك؟

فكتب(عليه السلام): **كل ما قومر به فهو الميسر وكل مسكر حرام**[1].

٢ ـ وروى باسناده عن أيوب بن نوح بن دراج قال: سألت أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن الجاموس وأعلمته أن اهل العراق يقولون انه مسخ، فقال: **أو ما سمعت قول الله: ﴿ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ﴾**[2].

٣ ـ وروى العياشي: باسناده عن موسى بن محمّد بن علي عن أخيه أبي الحسن الثالث(عليه السلام) قال: **الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظر الى من فضّل الله عليه وعلى خلايقه بعين الحسد، ولم يجد الله له عزماً**[3].

---

(١) تفسير العياشي: ١ / ١٠٦.

(٢) تفسير العياشي: ١ / ٣٨٠.

(٣) تفسير العياشي: ٩/١.

٢ ـ من تراثه الكلامي

١ ـ عن أحمد بن إسحاق ، قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس ؟ فكتب : **لا تجوز الرؤية ، ما لم يكن بين الرائي والمرئيّ هواء ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئيّ لم تصحّ الرؤية ؛ وكان في ذلك الاشتباه ، لأنّ الرائي متى ساوى المرئيّ في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لأنّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسبّبات**[1].

٢ ـ عن بشر بن بشّار النيسابوريّ قال : كتبت إلى الرّجل (عليه السلام) : إنّ من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد ، فمنهم من يقول : [هو] جسم ومنهم من يقول : [هو] صورة . فكتب إليّ : **سبحان من لا يحدُّ ولا يوصف ولا يشبهه شيء وليس كمثله شي وهو السميع البصير**[2].

٣ ـ عن عليّ بن إبراهيم ، عن المختار بن محمّد بن المختار الهمدانيّ ، ومحمّد بن الحسن ، عن عبد الله بن الحسن العلويّ جميعاً عن الفتح بن يزيد الجرجاني ، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : سمعته يقول : **وهو اللّطيف الخبير السميع البصير الواحد الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، لو كان كما يقول المشبّهة لم يعرف الخالق من المخلوق ولا المنشئ من المنشأ ، لكنّه المنشئ . فرّق بين من جسّمه وصوّره وأنشأه إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً.**

قلت : أجل جعلني الله فداك لكنّك قلت : الأحد الصمد وقلت : لا يشبهه شيء والله واحد والإنسان واحد أليس قد تشابهت الوحدانيّة ؟

قال : **يا فتح أحلت ثبّتك الله إنّما التشبيه في المعاني ، فأمّا في الأسماء فهي واحدة**

---

(١) الكافي : ١ / ٩٧ ، والتوحيد : ١٠٩ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠٢ .

وهي دالّة على المسمّى وذلك أنَّ الإنسان وإن قيل واحدٌ فإنّه يخبر أنّه جثّة واحدة وليس باثنين والإنسان نفسه ليس بواحد لأنَّ أعضاءه مختلفة وألوانه مختلفة ومن ألوانه مختلفة غير واحد وهو أجزاء مجزّأة، ليست بسواء. دمه غير لحمه ولحمه غير دمه وعصبه غير عروقه وشعره غير بشره وسواده غير بياضه وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الاسم ولا واحد في المعنى والله جلّ جلاله هو واحد لا واحد غيره لا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ولا نقصان، فأمّا الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف من أجزاء مختلفة وجواهر شتّى غير أنّه بالاجتماع شيء واحد.

قلت: جعلت فداك فرّجت عنّي فرّج الله عنك، فقولك: اللّطيف الخبير فسّره لي كما فسرت الواحد فإني أعلم أن لطفه على خلاف لطف خلقه المفصل غير أنّي أُحبُّ أن تشرح ذلك لي.

فقال: يا فتح إنّما قلنا: اللّطيف للخلق اللّطيف [و] لعلمه بالشيء اللّطيف أو لا ترى وفّقك الله وثبّتك إلى أثر صنعه في النبات اللّطيف وغير اللّطيف ومن الخلق اللّطيف ومن الحيوان الصغار ومن البعوض والجرجس وما هو أصغر منها ما لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأُنثى والحدث المولود من القديم.

فلمّا رأينا صغر ذلك في لطفه واهتداءه للسفاد والهرب من الموت والجمع لما يصلحه وما في لجج البحار وما في لحاء الأشجار والمفاوز والقفار وإفهام بعضها عن بعض منطقها وما يفهم به أولادها عنها ونقلها الغذاء إليها ثمّ تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياض مع حمرة وأنّه ما لا تكاد عيوننا تستبينه لدمامة خلقها. لا تراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا علمنا أنَّ خالق هذا الخلق لطيف لطف بخلق ما سمّيناه بلا علاج ولا أداة ولا آلة وأنَّ كلَّ صانع شيء فمن شيء صنع والله الخالق اللّطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء[1].

(١) الكافي: ١ / ١١٨، والتوحيد: ١٨٥.

٤ ـ عن عليّ بن إبراهيم ، عن المختار بن محمّد الهمدانيّ وعن محمّد ابن الحسن ، عن عبد الله بن الحسن العلويّ جميعاً ، عن الفتح بن يزيد الجرجانيّ ، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : **إنَّ لله إرادتين ومشيئتين : إرادة حتم وإرادة عزم ، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو يشاء.**

أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى ، وأمر إبراهيم أن يذبح اسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى[1].

٥ ـ عن أيّوب بن نوح أنّه كتب إلى أبي الحسن (عليه السلام) يسأله عن الله عزّوجلّ أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكوّنها ، أو لم يعلم ذلك حتّى خلقها وأراد خلقها وتكوينها ، فعلم ما خلق عند ما خلق وما كوّن عند ما كوّن ؟ فوقّع (عليه السلام) بخطّه : **لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء**[2].

٦ ـ عن الفتح بن يزيد الجرجانيّ عن أبي الحسن (عليه السلام) ، قال : سألته عن أدنى المعرفة ، فقال : **الإقرار بأنّه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير وأنّه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنّه ليس كمثله شيء**[3].

٧ ـ عن معلى بن محمّد ، قال : سئل العالم (عليه السلام) كيف علم الله ؟ قال : **علم ، وشاء ، وأراد ، وقدّر ، وقضى ، وأبدى فأمضى ما قضى ، وقضى ما قدّر ، وقدّر ما أراد ، فبعلمه كانت المشيّة ، وبمشيّته كانت الإرادة ، وبإرادته كان التّقدير ، وبتقديره كان**

---

(١) أصول الكافي : ١ / ١٥١ . واعلم ان الرواية مشتملة على كون المأمور بالذبح اسحاق دون اسماعيل وهو خلاف ما تظافرت عليه أخبار الشيعة.

(٢) التوحيد : ١٤٥ .

(٣) التوحيد : ٢٨٣ .

القضاء ، وبقضائه كان الإمضاء .

فالعلم متقدّم المشيّة والمشيّة ثانية ، والإرادة ثالثة ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فللّه تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء .

فالعلم بالمعلوم قبل كونه ، والمشيّة في المنشأ قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً ، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام .

المدركات بالحواسّ من ذي لون وريح ووزن وكيل وما دبّ ودرج من إنس وجنٍّ وطير وسباع وغير ذلك ممّا يدرك بالحواسّ ، فللّه تبارك وتعالى فيه البداء ممّا لا عين له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء .

والله يفعل ما يشاء ، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها ، وبالمشيّة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها ، وبالتّقدير قدّر أوقاتها وعرف أوّلها وآخرها ، وبالقضاء أبان للنّاس أماكنها ودلّهم عليها ، وبالإمضاء شرح عللها ، وأبان أمرها ، وذلك تقدير العزيز العليم[1].

قال (عليه السلام) : إنّ الله لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه ؛ وأنّى يُوصف الّذي تعجز الحواسّ أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحدّه والأبصار عن الاحاطة به . نأى في قربه وقرب في نأيه ، كيّف الكيف بغير أن يقال : كيف ، وأيّن الأين بلا أن يقال : أين ، هو منقطع الكيفيّة والأينيّة ، الواحد الأحد ، جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه[2].

---

(١) التوحيد : ٣٣٤ .

(٢) تحف العقول : ٣٥٧ .

٨ ـ رسالته (عليه السلام) المعروفة في الرّد على أهل الجبر والتفويض

من عليّ بن محمّد ؛ سلام عليكم وعلى من اتّبع الهدى ورحمة الله وبركاته ؛ فإنّه ورد عليّ كتابكم[1] وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرُّقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم ، ثمّ سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كلّه .

اعلموا رحمكم الله أنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممّن يعقل عن الله جلّ وعزّ لا تخلو من معنيين : إمّا حقٌّ فيُتّبع وإمّا باطل فيُجتنب . وقد اجتمعت الأُمّة قاطبة لا اختلاف بينهم أنَّ القرآن حقٌّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب وتحقيقه ، مصيبون ، مهتدون وذلك بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « لا تجتمع أُمّتي على ضلالة » فأخبر أنَّ جميع ما اجتمعت عليه الأُمّة كلّها حق ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً . والقرآن حقٌّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه . فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأُمّة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب ، فإن [هي] جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة .

فأوّل خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم ؛ حيث قال : « إنّي مخلّف فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي ـ أهل بيتي ـ لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » . فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جلّ وعزّ : ﴿ إنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ والّذينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمونَ الصَّلاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ آمَنُوا فَإنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ

---

(١) رواها الطبرسي بتلخيص في الاحتجاج تحت عنوان رسالته (عليه السلام) إلى اهل الاهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض ، راجع بحار الأنوار: ٥٠/٦٨ .

الغالِبُونَ ﴾ (١) . وروت العامّة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه تصدّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه . فوجدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أتى بقوله : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » وبقوله : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي » ووجدناه يقول : « عليّ يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي » .

فالخبر الأوّل الّذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم ، وهو أيضاً مُوافق للكتاب ؛ فلمّا شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشّواهد الأُخر لزم على الأُمّة الإقرار بها ضرورةً إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة ووافقت القرآن والقرآن وافقها . ثمّ وردت حقائق الأخبار من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الصّادقين (عليهم السلام) ونقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كلّ مؤمن ومؤمنة لا يتعدّاه إلّا أهل العناد . وذلك أنّ أقاويل آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) متّصلة بقول الله وذلك مثل قوله في محكم كتابه : ﴿ إنَّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً ﴾ (٢) ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « من آذى عليّاً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه » وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله) : « من أحبَّ عليّاً فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبَّ الله » . ومثل قوله (صلى الله عليه وآله) في بني وليعة : « لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله قم ياعليُّ فسر إليهم » (٣) . وقوله (صلى الله عليه وآله) يوم خيبر : « لأبعثنّ إليهم غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله كرّاراً غير فرّارٍ لا يرجع حتّى يفتح الله عليه » . فقضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالفتح قبل التّوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلمّا كان من الغد دعا عليّاً (عليه السلام) فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبة وسمّاه كرّاراً غير فرّار ، وسمّاه الله محبّاً لله ولرسوله ، فأخبر أنّ الله ورسوله يحبّانه .

---

(١) المائدة (٥) : ٥٥ ـ ٥٦ .

(٢) الاحزاب (٣٣): ٥٧ .

(٣) بنو وليعة ـ كسفينة ـ : حي من كندة .

وإنّما قدّمنا هذا الشّرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوّة لما نحن مبيّنوه من أمر الجبر والتّفويض والمنزلة بين المنزلتين وبالله العون والقوّة وعليه نتوكّل في جميع أُمورنا فإنّا نبدأ من ذلك بقول الصّادق (عليه السلام) : « لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين وهي صحّة الخلقة وتخلية السّرب [1] والمهلة في الوقت والزّاد مثل الرّاحلة والسّبب المهيّج للفاعل على فعله » ، فهذه خمسة أشياء جمع به الصّادق(عليه السلام) جوامع الفضل ، فإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه ، فأخبر الصّادق (عليه السلام) بأصل ما يجب على النّاس من طلب معرفته ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله ، لأنّ الرّسول(صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) لا يعدون شيئاً من قوله وأقاويلهم حدود القرآن ، فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدها من التّنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداءُ بها فرضاً لا يتعدّاه إلّا أهل العناد كما ذكرنا في أوّل الكتاب ولمّا التمسنا تحقيق ما قاله الصّادق(عليه السلام) من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدّق مقالته في هذا . وخبرٌ عنه أيضاً موافق لهذا ؛ أنّ الصّادق (عليه السلام) سئل أهل أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال الصّادق (عليه السلام) : هو أعدل من ذلك . فقيل له : فهل فوّض إليهم ؟ فقال (عليه السلام) : هو أعزُّ وأقهر لهم من ذلك . وروي عنه أنّه قال : النّاس في القدر على ثلاثة أوجه : رجل يزعم أنّ الأمر مفوّض إليه فقد وهّن الله في سلطانه فهو هالك . ورجل يزعم أنّ الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وكلّفهم ما لا يطيقون فقد ظلّم الله في حكمه فهو هالك . ورجل يزعم أنّ الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلّفهم ما لا يطيقون ، فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ ، فأخبر (عليه السلام) أنّ من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحقّ . فقد شرحت الجبر الّذي من دان به يلزمه الخطأ ، وأنّ الّذي يتقلّد التّفويض يلزمه الباطل ، فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما [2].

---

(١) السرب ـ بالفتح ـ : الطريق والصدر ـ وبالكسر ـ أيضاً : الطريق والقلب ـ . وبالتحريك ـ الماء السائل .

(٢) راجع تمام الرسالة في تحف العقول والاحتجاج، وبحار الأنوار: ٥٠/٦٨.

٣ ـ من تراثه الفقهي

١ ـ عن خيران الخادم قال : كتبت إلىٰ الرّجل ـ أيّ الإمام ـ صلوات الله عليه أسأله عن الثوب يصيبه الخمر ولحم الخنزير أيصلّى فيه أم لا ؟ فإن أصحابنا قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : صلّ فيه فإن الله إنما حرّم شربها وقال بعضهم : لا تصلّ فيه ، فكتب (عليه السلام) : **لا تصلّ فيه فإنه رجسٌ**(١).

٢ ـ عن علي بن ابراهيم ، عن يحيىٰ بن عبد الرّحمن بن خاقان قال : رأيت أبا الحسن الثالث (عليه السلام) سجد سجدة الشكر فافترش ذراعيه فألصق جؤجؤه وبطنه بالأرض فسألته عن ذلك ؟ فقال : **كذا نحبّ**(٢).

٣ ـ وعنه أيضاً ، عن عليّ بن راشد قال : قلت لأبي الحسن (عليه السلام) جعلت فداك إنك كتبت إلىٰ محمد بن الفرج تعلمه أنّ أفضل ما تقرأه في الفرائض بإنا أنزلناه وقل هو الله أحد ، وان صدري ليضيق بقراءتهما في الفجر ، فقال(عليه السلام): **لا يضيقنّ صدرك بهما فإن الفضل والله فيهما**(٣).

٤ ـ سأل داود بن أبي زيد أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن : القراطيس والكواغذ المكتوبة عليها هل يجوز عليها السجود ؟ فكتب : **يجوز**(٤).

٥ ـ عن أيوب بن نوح قال : كتبت إلىٰ أبي الحسن الثالث (عليه السلام) أسأله عن المغمىٰ عليه يوماً أو أكثر هل يقضي ما فاته أم لا ؟ فكتب (عليه السلام) : **لا يقضي الصوم ولا يقضي الصلاة**(٥).

---

(١) الكافي : ٣ / ٤٠٥ .

(٢) الكافي : ٣ / ٣٢٤ .

(٣) الكافي : ٣ / ٢٩٠ .

(٤) من لا يحضره الفقيه : ١ / ٢٧٠ .

(٥) تهذيب الاحكام : ٤ / ٢٤٣ .

٦ـ عن أبي إسحاق بن عبد الله العلوي العريضي قال : وحك في صدري ما الايام التي تصام ؟ فقصدت مولانا أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) وهو بصربا . ولم أبد ذلك لأحد من خلق الله فدخلت عليه فلما بصر بي قال(عليه السلام) : **يا أبا اسحاق جئت تسألني عن الأيام التي يصام فيهن وهي أربعة : أولهن يوم السابع والعشرين من رجب يوم بعث الله تعالى محمداً (صلى الله عليه وآله) إلى خلقه رحمة للعالمين ، ويوم مولده (صلى الله عليه وآله) وهو السابع عشر من شهر ربيع الأول ، ويوم الخامس والعشرين من ذي القعدة فيه دحيت الكعبة ، ويوم الغدير فيه أقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخاه (عليه السلام) علماً للناس وإماماً من بعده** ، قلت : صدقت جعلت فداك لذلك قصدت ، أشهد أنك حجة الله على خلقه[1].

٧ـ عن علي بن مهزيار قال : كتبت إليه : يا سيدي رجل دفع إليه مال يحجّ فيه ، هل عليه في ذلك المال حين يصير إليه الخمس أو على ما فضل في يده بعد الحج ؟ فكتب (عليه السلام) : **ليس عليه الخمس**[2].

٨ـ عن أحمد بن حمزة قال : قلت لأبي الحسن (عليه السلام) : رجلٌ من مواليك له قرابة كلّهم يقول بك وله زكاة أيجوز له أن يعطيهم جميع زكاته ؟ قال : **نعم**[3]

٩ـ عن أبي علي بن راشد قال : قلت لأبي الحسن الثالث (عليه السلام) : إنّا نؤتى بالشيء فيقال هذا كان لأبي جعفر (عليه السلام) عندنا ، فكيف نصنع ؟ فقال : **ما كان لأبي(عليه السلام) بسبب الإمامة فهو لي وما كان غير ذلك فهو ميراث على كتاب الله وسنة نبيه(صلى الله عليه وآله)**[4].

(١) تهذيب الأحكام : ٤ / ٣٠٥ .

(٢) الكافي : ١ / ٥٤٧ .

(٣) الكافي : ٣ / ٥٥٢ .

(٤) من لا يحضره الفقيه : ٢ / ٤٢ .

١٠ ـ عن ابراهيم بن محمد قال : كتبت إلىٰ أبي الحسن الثالث (عليه السلام) ، أسأله عما يجب في الضياع ، فكتب : **الخمس بعد المؤونة** ، قال : فناظرت أصحابنا فقالوا : المؤونة بعدما يأخذ السلطان ، وبعد مؤونة الرجل ، فكتبت إليه أنّك قلت : الخمس بعد المؤونة وإن أصحابنا اختلفوا في المؤونة ؟ فكتب : **الخمس بعدما يأخذ السلطان وبعد مؤونة الرجل وعياله**[١].

١١ ـ كتب محمد بن عيسىٰ بن عبيد اليقطيني إلىٰ أبي الحسن علي بن محمد العسكري (عليه السلام) في رجل دفع ابنه إلىٰ رجل وسلّمه منه سنة بأجرة معلومة ليخيط له ، ثم جاء رجل آخر فقال له : سلّم ابنك مني سنة بزيادة هل له الخيار في ذلك ؟ وهل يجوز له أن يفسخ ما وافق عليه الأول أم لا ؟ فكتب(عليه السلام) بخطه : **يجب عليه الوفاء للأول ما لم يعرض لابنه مرض أو ضعف**[٢].

١٢ ـ عن محمد بن عيسىٰ ، عن ابراهيم الهمداني قال : كتبت إلىٰ أبي الحسن (عليه السلام) وسألته عن إمرأة آجرت ضيعتها عشر سنين علىٰ أن تعطى الأجرة في كل سنة عند انقضائها لا يقدم لها شيء من الأجرة ما لم يمض الوقت فماتت قبل ثلاث سنين أو بعدها هل يجب علىٰ ورثتها إنفاذ الاجارة إلىٰ الوقت أم تكون الاجارة منتقضة بموت المرأة ؟ فكتب (عليه السلام) : **ان كان لها وقت مسمىٰ لم يبلغ فماتت فلورثتها تلك الإجارة فإن لم تبلغ ذلك الوقت وبلغت ثلثه أو نصفه أو شيئاً منه فيعطى ورثتها بقدر ما بلغت من ذلك الوقت إن شاء الله**[٣].

١٣ ـ عن محمد بن رجاء الخياط قال : كتبت إلىٰ الطيب (عليه السلام) إني كنت في المسجد الحرام فرأيت ديناراً فأهويت إليه لآخذه فاذا أنا بآخر ، ثم بحثت

---

(١) تفسير العياشي : ٢ / ٦٣ .

(٢) الكافي : ٤ / ٢٣٩ .

(٣) الكافي : ٥ / ٢٧٠ .

الحصىٰ فاذا أنا بثالث فأخذتها فعرَّفتها ولم يعرفها أحدٌ فما ترىٰ في ذلك ؟ فكتب (عليه السلام) : **إني قد فهمت ما ذكرت من أمر الدّنانير فإن كنت محتاجاً فتصدق بثلثها ، وان كنت غنياً فتصدق بالكلّ**(١).

١٤ ـ عن أحمد بن محمد قال : قال أبو الحسن (عليه السلام) في قول الله عزوجلّ : ﴿ وليطّوفوا بالبيت العتيق ﴾ قال : **طواف الفريضة طواف النساء**(٢).

١٥ ـ روى عليُّ بن مهزيار عن محمد بن اسماعيل قال : أمرت رجلاً أن يسأل أبا الحسن (عليه السلام) عن الرّجل يأخذ من الرّجل حجة فلا تكفيه أله أن يأخذ من رجل آخر حجة أخرىٰ فيتّسع بها فتجزي عنهما جميعاً أو يتركهما جميعاً أن لم تكفه إحداهما ؟ فذكر انه قال : **أحبّ إليّ ان تكون خالصة لواحد فإن كانت لا تكفيه فلا يأخذها**(٣).

١٦ ـ عن القاسم بن محمد الزيات قال : قلت لأبي الحسن (عليه السلام) : إنــي ظاهرت من امرأتي فقال : **كيف قلت ؟** قال : قلت : أنت عليَّ كظهر أُمي ان فعلت كذا وكذا ، فقال : **لا شيء عليك ولا تعد**(٤).

١٧ ـ عن الوشاء قال : كتبت إليه أسأله عن الفقاع ، قال : فكتب **حرام وهو خمر ومن شربه كان بمنزلة شارب الخمر** ، قال : وقال أبو الحسن الأخير (عليه السلام): **لو أنّ الدار داري لقتلت بايعه ولجلدت شاربه** ، وقال أبو الحسن الأخير (عليه السلام) : **حدّه حدُّ شارب الخمر** ، وقال (عليه السلام) : **هي خميرة استصغرها الناس**(٥).

١٨ ـ كتب ابراهيم بن محمد الهمداني إليه (عليه السلام): ميّت أوصىٰ بأن يجري

(١) الكافي : ٤ / ٢٣٩ .
(٢) الكافي : ٥١٢/٤٠.
(٣) من لا يحضره الفقيه : ٢ / ٤٤٤ .
(٤) الكافي : ٦ / ١٥٨ .
(٥) الكافي : ٦ / ٤٢٣ .

علىٰ رجل ما بقي من ثلثه ولم يأمر بإنفاذ ثلثه ، هل للوصي أن يوقف ثلث الميت بسبب الاجراء ؟ فكتب (عليه السلام): ينفذ ثلثه ولا يوقف .

٢١ ـ عن أبي عليّ بن راشد قال : سألت أبا الحسن (عليه السلام) قلت : جعلت فداك اشتريت أرضاً إلىٰ جنب ضيعتي بألفي درهم فلما وفيت المال خبّرت أنّ الارض وقف ؟ فقال : لا يجوز شراء الوقف ولا تدخل الغلة في مالك إدفعها إلىٰ من اوقفت عليه .

قلت لا أعرف لها ربّاً ؟ قال : تصدق بغلّتها[1].

٤ ـ من أدعية الإمام الهادي (عليه السلام)

١ ـ دعاؤه عند الشدائد: وكان يدعو به إذا ألمّت به حادثة أو حلّ به خطب أو أراد قضاء حاجة مهمة ، وكان قبل ان يدعو به يصوم يوم الاربعاء والخميس والجمعة ، ثم يغتسل في أول يوم الجمعة ويتصدق على مسكين ويصلي أربع ركعات فيقرأ في الركعة الاولىٰ سورة الفاتحة وسورة يس وفي الثانية سورة الحمد وحم الدخان ، وفي الثالثة سورة الحمد مع سورة الواقعة وفي الرابعة سورة الحمد وسورة تبارك ، وإذا فرغ منها بسط راحتيه إلىٰ السماء ، ودعا باخلاص قائلاً بعد البسملة[2] :

« اللهم لك الحمد حمداً يكون أحق الحمد بك ، وأرضىٰ الحمد لك ، وأوجب الحمد لك ، وأحب الحمد اليك ، ولك الحمد كما انت اهله وكما رضيته لنفسك وكما حمدك من رضيت حمده من جميع خلقك ولك الحمد كما حمدك به جميع انبيائك ورسلك وملائكتك ، وكما ينبغي لعزك وكبريائك وعظمتك ، ولك الحمد حمداً تكل الالسن عن

(١) الكافي : ٧ / ٣٧ .

(٢) الوسائل : ٥ / ٦٢ .

صفته ويقف القول عن منتهاه ، ولك الحمد حمداً لا يقصر عن رضاك ولا يفضله شيء من محامدك .

اللهم ومن جودك وكرمك انك لا تخيب من طلب إليك وسألك ورغب فيما عندك ، وتبغّض من لم يسألك ، وليس كذلك احد غيرك، وطمعي يا رب في رحمتك ومغفرتك ، وثقتي باحسانك وفضلك حداني على دعائك والرغبة إليك ، وانزل حاجتي بك ، وقد قدمت امام مسألتي التوجه بنبيك الذي جاء بالحق والصدق فيما عندك ، ونورك وصراطك المستقيم الذي هديت به العباد ، وأحييت بنوره البلاد ، وخصصته بالكرامة ، وأكرمته بالشهادة وبعثته على حين فترة من الرسل. اللهم دللت عبادك على نفسك فقلت تباركت وتعاليت :

﴿ وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون ﴾ (١) وقلت : ﴿ قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم ﴾ (٢)

وقلت: ﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ﴾ (٣) اجل يارب نعم المدعو أنت ونعم الرب أنت ونعم المجيب ، وقلت: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ (٤) ، وانا ادعوك اللهم بأسمائك التي إذا دعيت بها أجبت ، وإذا سُئلت بها أعطيت ، وأدعوك متضرعاً إليك مستكيناً ، دعاء من أسلمته الغفلة ، وأجهدته الحاجة ، أدعوك دعاء من استكان ، واعترف بذنبه ، ورجاك لعظيم مغفرتك ، وجزيل مثوبتك .

---

(١) البقرة (٢): ١٨٦ .

(٢) الزمر (٣٩): ٥٣ .

(٣) الصافات (٣٧): ٧٥ .

(٤) الإسراء (١٧): ١١٠ .

٢ ـ دعاء الاعتصام، وهذا نصّه: « يا عدّتي عند العدد ، ويا رجائي والمعتمد ، ويا كهفي والسند ويا واحد يا أحد ، يا قل هو الله أحد ، أسألك بحق من خلقته من خلقك ، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحد أن تصلي عليهم... ثمّ تذكر حاجتك»(١).

٣ ـ مناجاته: وكان الإمام الهادي (عليه السلام) يناجي الله تعالىٰ في غلس الليل البهيم بقلب خاشع ، ونفس آمنة مطمئنة . وكان ممّا يقول في مناجاته :

« إلهي مسيء قد ورد ، وفقير قد قصد ، فلا تخيّب مسعاه وارحمه واغفر له خطاه...».

« الهي صلّ على محمد وآل محمد ، وارحمني إذا انقطع من الدنيا أثري ومُحي من المخلوقين ذكري ، وصرت من المنسيين كمن نسي ، الهي كبُر سني ، ورق جلدي ، ودقّ عظمي ، ونال الدهر مني واقترب اجلي ، ونفدت ايامي ، وذهبت شهواتي وبقيت تبعاتي إلهي ارحمني إذا تغيّرت صورتي...»(٢) .

٥ ـ من تراثه التربوي والأخلاقي

وأثرت عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) مجموعة من الكلمات الذهبية التي عالج فيها مختلف القضايا التربوية والأخلاقية ، والنفسية ، وهذه بعضها :

١ ـ قال (عليه السلام) : « خير من الخير فاعله ، وأجمل من الجميل قائله ، وأرجح من العلم عامله» .

---

(١) راجع حياة الإمام علي الهادي : ١٣١ ـ ١٣٦ .

(٢) حياة الإمام علي الهادي(عليه السلام)، : ١٣٧، عن الدر النظيم.

٢ ـ قال (عليه السلام) : « من سأل فوق قدر حقه فهو أولى بالحرمان» .

٣ ـ قال (عليه السلام) : « صلاح من جهل الكرامة هوانه » .

٤ ـ قال (عليه السلام) : «الحلم أن تملك نفسك، وتكظم غيظك مع القدرة عليه».

٥ ـ قال (عليه السلام) : « الناس في الدنيا بالمال ، وفي الآخرة بالأعمال» .

٦ ـ قال (عليه السلام) : « من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه» .

٧ ـ قال (عليه السلام) : « تريك المقادير ما لا يخطر ببالك» .

٨ ـ قال (عليه السلام) : « شر الرزية سوء الخلق» .

٩ ـ قال (عليه السلام) : « الغنى قلة تمنيك ، والرضى بما يكفيك ، والفقر شره النفس وشدة القنوط ، والمذلة اتباع اليسير ، والنظر في الحقير» .

١٠ ـ سئل الإمام (عليه السلام) عن الحزم ؟ فقال (عليه السلام) : « هو أن تنظر فرصتك وتعاجل ما أمكنك» .

١١ ـ قال (عليه السلام) : « راكب الحرون ـ وهو الفرس الذي لا ينقاد ـ أسير نفسه» .

١٢ ـ قال (عليه السلام) : « الجاهل أسير لسانه » .

١٣ ـ قال (عليه السلام) : « المراء يفسد الصداقة القديمة ، ويحلل العقد الوثيقة وأقل ما فيه أن تكون المغالبة ، والمغالبة أس أسباب القطيعة» .

١٤ ـ قال (عليه السلام) : « العتاب مفتاح التعالي ، والعتاب خير من الحقد» .

١٥ ـ أثنى بعض أصحاب الإمام على الإمام ، وأكثر من تقريظه والثناء عليه ، فقال (عليه السلام) له : « إن كثرة الملق يهجم على الفطنة ، فإذا حللت من أخيك محل الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النية» .

١٦ ـ قال (عليه السلام) : « المصيبة للصابر واحدة ، وللجازع اثنان » .

١٧ ـ قال (عليه السلام) : « الحسد ماحق الحسنات ، والزهو جالب المقت » .

١٨ ـ قال (عليه السلام) : « العجب صارف عن طلب العلم ، وداع إلى الغمط[1] في الجهل» .

١٩ ـ قال (عليه السلام) : « البخل أذم الأخلاق ، والطمع سجية سيئة» .

٢٠ ـ قال (عليه السلام) : « مخالطة الأشرار تدل على شر من يخالطهم» .

٢١ ـ قال (عليه السلام) : « الكفر للنعم امارة البطر ، وسبب للتغيير» .

٢٢ ـ قال (عليه السلام) : « اللجاجة مسلبة للسلامة ، ومؤدية للندامة » .

٢٣ ـ قال (عليه السلام) : « الهزء فكاهة السفهاء وصناعة الجهال» .

٢٤ ـ قال (عليه السلام) : « العقوق يعقب القلة ، ويؤدي إلى الذلة» .

٢٥ ـ قال (عليه السلام) : « السهر ألذ للمنام ، والجوع يزيد في طيب الطعام» .

٢٦ ـ قال (عليه السلام) لبعض أصحابه : « اذكر مصرعك بين يدي أهلك حيث لا طبيب يمنعك ، ولا حبيب ينفعك» .

٢٧ ـ قال (عليه السلام) : « اذكر حسرات التفريط بأخذ تقديم الحزم» .

٢٨ ـ قال (عليه السلام) : « ما استراح ذو الحرص والحكمة» .

٢٩ ـ قال (عليه السلام) : « لا نجع في الطبايع الفاسدة» .

٣٠ ـ قال (عليه السلام) : « من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطى» .

٣١ ـ قال (عليه السلام) : « شر من الشر جالبه ، وأهول من الهول راكبه » .

٣٢ ـ قال (عليه السلام) : « إياك والحسد فإنه يبين فيك ، ولا يعمل في عدوك» .

٣٣ ـ قال (عليه السلام) : « إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن يظن بأحد سوءاً حتى يعلم ذلك منه ، وإذا كان زمان الجور اغلب فيه من العدل فليس لأحد أن يظن

---

(١) غمط الناس: احتقرهم وتكبر عليهم.

بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه» .

٣٤ ـ قال (عليه السلام) للمتوكل : « لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه، ولا الوفاء ممن غدرت به ، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه ، فإنما قلب غيرك لك كقلبك له» .

٣٥ ـ قال (عليه السلام) : « ابقوا النعم بحسن مجاورتها ، والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها ، واعلموا أن النفس أقبل شيء لما اعطيت ، وامنع شيء لما منعت فاحملوها على مطية لا تبطي» .

٣٦ ـ قال (عليه السلام) : « الجهل والبخل أذم الأخلاق» .

٣٧ ـ قال (عليه السلام) : « حسن الصورة جمال ظاهر ، وحسن العقل جمال باطن» .

٣٨ ـ قال (عليه السلام) : « إن من الغرة بالله أن يصر العبد على المعصية ويتمنى على الله المغفرة» .

٣٩ ـ قال (عليه السلام) : « لو سلك الناس وادياً وسيعاً لسلكت وادي رجل عبد الله وحده خالصاً» .

٤٠ ـ قال (عليه السلام) : « والغضب على من تملك لؤم»(١) .

٤١ ـ قال (عليه السلام) : « إنّ لله بقاعاً يحبُّ أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والحير(٢) منها ».

٤٢ ـ وقال (عليه السلام) يوماً : « إنَّ أكل البطّيخ يورث الجذام » ، فقيل له : أليس قد أمن المؤمن إذا أتىٰ عليه أربعون سنة من الجنون والجذام والبرص ؟ قال(عليه السلام) : « نعم ؛ ولكن إذا خالف المؤمن ما امر به ممّن آمنه لم يأمن أن تصيبه عقوبة الخلاف » .

(١) راجع حياة الإمام علي الهادي: ١٥٦ ـ ١٦٥ .

(٢) الحير ـ بالفتح ـ : مخفف حائر والمراد ان الحائر الحسيني (عليه السلام) من هذه البقاع .

٤٣ ـ وقال (عليه السلام) : « الشّاكر أسعد بالشُّكر منه بالنّعمة الّتي أوجبت الشُّكر ، لأنّ النّعم متاع . والشُّكر نعم وعقبىٰ » .

٤٤ ـ وقال (عليه السلام) : « إنّ الله جعل الدُّنيا دار بلوىٰ والآخرة دار عقبىٰ وجعل بلوى الدُّنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدُّنيا عوضاً » .

٤٥ ـ وقال (عليه السلام) : « إنّ الظّالم الحالم يكاد أن يعفي علىٰ ظلمه بحلمه . وإنّ المحقّ السّفيه يكاد أن يطفئ نور حقّه بسفهه » .

٤٦ ـ وقال (عليه السلام) : « من جمع لك ودّه ورأيه فاجمع له طاعتك » .

٤٧ ـ وقال (عليه السلام) : « من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه » .

٤٨ ـ وقال (عليه السلام) : « الدُّنيا سوق ، ربح فيها قوم وخسر آخرون »[1] .

إلى هنا نختم الكلام عن التراث القيّم للإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) تاركين التفصيل إلىٰ مسنده ومصادر ترجمته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) راجع تحف العقول : ٣٦٢ طبعة النجف الأشرف.

الفهرس التفصيلي